فلسفة

Søren Kierkegaard

الطبعة الثانية

سورن كيركَكورد

الخَوفُ والرَعشَةُ

أنشودة ديالكتيكية

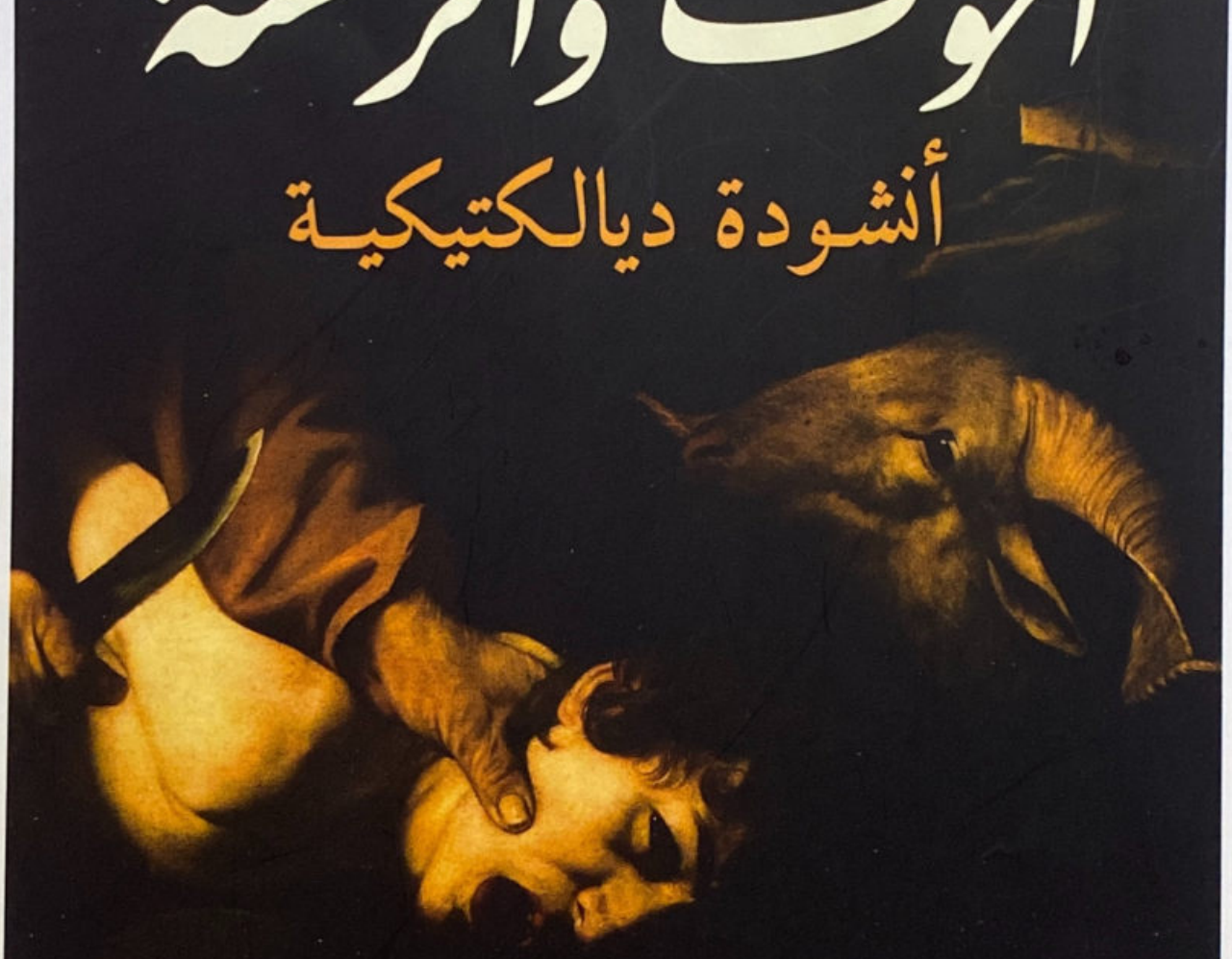

ترجمه عن الدانماركية وقدَّمه
قحطان جاسم

Translated by
Kahttan Jasim

دار الرافدين

سورن كيركَورد

الخوف والرعشة

أنشودة ديالكتيكية

بقلم

يوهانس دي سيلنتو

ترجمة:

قحطان جاسم

كوبنهاكن 1843

www.daralrafidain.com

تُرجمَ الكتاب عن:

Søren Kierkegaards samlede Værker

Udgivet

A.B. Drachmann, J. L. Heiberg og H.O.Lange,

1901, Bind III, s.53 - 168

الفهرس

مقدمة 7

تصدير 13

استهلال 19

في مديح إبراهيم 27

مشكلات 39

ملاحظات تمهيدية 41

مشكلة I 77

المشكلة II 97

المشكلة III 115

خاتمة 167

مقدمة

صدر كتاب سورن كيركَورد «الخوف والرعشة» في اكتوبر عام 1843، في اليوم نفسه الذي صدر كتابه «التكرار». ويحمل الكتاب اسمًا مستعارًا للمؤلف أطلق عليه «يوهانس دي سلينتيو»، ومعناه يوحنا الصامت. أما عنوان الكتاب فقد استمده من كتاب الإنجيل، في إشارة إلى رسالة القديس بولس إلى أهل فيليبي.

يعود كيركَورد في هذا الكتاب، مرة أخرى، إلى قضية تحتل مكانًا جوهريًا في فكره، العلاقة بين الإيمان والعقل، بين الضرورة والحرية، بين القدر والإرادة.

وفي هذا الكتاب أيضًا يستخدم كيركَورد حياته الخاصة، ولو بصورة غير مباشرة، ومعاناته الذاتية التي تنبع من تجاربه الخاصة، ومن بينها علاقة حبه بريجينا أولسن، ثم نهاية هذا الحب المأساوية والمفاجأة، رغم أنه بقي مخلصًا إلى هذا الحب حتى نهاية حياته.

إضافة إلى علاقته الملتبسة بأبيه؛ فقد سعى الأب، من جهة، إلى توفير حياة طيبة وآمنة لكيركَورد، بينما، من الجهة الأخرى، ترعرع كيركَورد في ظل تربية الأب الدينية الصارمة، التي ألقت ظلالها بشكل واضح فيما بعد على حياته وتفكيره.[1]

---

(1) Villads Christensen, Kierkegaard - Dreamaet, København, Nyt Nordisk Forlag Arnold Busck, 1967, s.12 - 15

وبهذا يكون كيركَورد قد أخلص مرة أُخرى إلى فلسفة الكتابة لديه بربط الكلمة بالواقع، والتصور بالوجود، والفكرة بالحدث. وتم«صياغة فلسفته في محاججة ضد التأمل الفلسفي المجرد في عصره، الذي يترفع عن الإنسان الفرد وقضاياه»[1]. فهو لم يكتفِ بسرد الأحداث كما تناولوها قبله، أو كما تناقلتها الكتب، بل يقوم بإعادة سردها في بنى فكرية متراكبة، تمزج بعبقرية بين الأدبي والفلسفي واللاهوتي. ولم يكن في كل ذلك يسعى إلى تسويق فكرة، بقدر ما سعى إلى طرح أسئلة تنفتح على اكثر جواب. ويمكن تلمس ذلك بوضوح كبير في أسلوب السردية وطريقته باستخدام اللغة.[2]

ثيمة النص:

تدور ثيمة كتاب «الرعشة والخوف» في الأساس حول النبي إبراهيم واستعداده للتضحية بابنه إسحاق، بناء على أمر اقتضاه اللّه من إبراهيم. ثم الفزع واليأس أو الأمل الذي يرافق ذلك الحدث على جبل موريّا، والذي كان بمثابة امتحان لا لقوة إيمان إبراهيم فحسب، بل وأيضًا لإرادته كإنسان.

يعدّ كيركَورد هذا الامتحان بمثابة لحظة فاصلة، أيضًا، لبلوغ ما يسميه بالمرحلة الدينية. إن الأيمان بالنسبة لكيركَورد ليس عقيدة أو طقوسًا تقام بصورة جماعية أو مشاهد احتفالية، بل معاناة فردية يعيشها الفرد وحده تماما، وخلال هذه المعاناة والآلام التي يمر بها المؤمن يمكنه أن يبلغ

---

(1) Gert Posselt, (redaction og efterskrift), Søren om Kierkegaard, København, Gyldendal, 2007, s.130

(2) Johannes Møllehave, Kierkegaard og Kristendommen, I Anne Regitze Wivel: Søren Kierkegaard+ citater og perspektiver, Munksgaard, 1994, s.30

درجة المؤمن الحقيقي. كما على المؤمن، إضافة إلى ذلك، أن يتخلى عن كلّ شيء دنيوي.

المعروف أن القصة، كما وصلتنا في شكلها اللاهوتي، قد وردت بأشكال متنوعة، بدءًا من الأساطير اليونانية القديمة ومرورًا بالتوراة والإنجيل وحتى القرآن، وهو الأمر الذي يستفيد منه كيركَورد أيضًا. بيد أنها تؤكد في الكتب الدينية التوحيدية على الإذعان الإيماني المطلق إلى اللّه. ورغم المحتوى المفزع للحكاية، إلا أنها تختتم في هذه الكتب بنهاية سعيدة؛ أيّ، بعودة إسحاق إلى إبراهيم، والتضحية بكبش بدلًا عنه. وذلك رمز عن المكافأة التي يقدمها اللّه إلى عباده، عندما تكون طاعتهم مطلقة إليه.

الا أن كيركَورد، كما تشير الباحثة الدانماركية، إيبن دامغورد، أعاد صياغة سرد القصة في أربع مواضع، ليقدم لنا معايشات سايكولوجية فيها، وهو ما لا تقوله القصة الأصلية. ففي التعديل الأول لا يخبئ إبراهيم عن إسحاق ماذا سيحدث عندما يصلا إلى جبل موريّا. لكنه يغير رأيه، عندما خاف أن يفقد إسحاق إيمانه، ويرمي إسحاق إلى الأرض، ويحاول ان يوهمه انه في الحقيقة يريد قتله. في هذا كان إبراهيم غير واثق من إيمان إسحاق وقلق من تردده. أما في التعديل الثاني، فأنّ كيركَورد يسرد الأحداث، كما جاءت في التوراة مع بعض الاختلاف، أن إبراهيم بعد أن يصير عجوزا يكتئب ويفقد الفرح. وهو تعبير عن أن إسحاق فقد أباه، لأن إبراهيم لم تعد لديه هذه الفرحة التي تصف الإيمان. أمّا التعديل الثالث فيركز على ما يحدث بعد عودة إبراهيم إلى البيت، حيث يرجل إبراهيم هذه المرة وحيدًا إلى جبل موريّا، ويطلب المغفرة من

اللّه، لأنه أراد التضحية بإسحاق رغم التزامه الأخلاقي نحو ولده. هنا لا يجد إبراهيم الراحة في هذا الصراع للواجبات، أي بين الواجب الأخلاقي والواجب الروحي، الذي فرضه اللّه عليه. فهو لا يفهم لماذا هو أب الإيمان مادام يرى نفسه آثما. أما التغيير الرابع في سرد القصة، هو أن إسحاق يرى أن يد إبراهيم ترتجف من اليأس، ومن خلال رؤيته يأس أبيه يفقد إسحاق الإيمان. (1)

ورغم أن الكتاب يتخذ من قصة إبراهيم ذات المغزى الديني منطلقا لها، لكن كيركَورد، في هذه التعديلات، يعالج العديد من القضايا الفلسفية والنفسية التي تواجه الإنسان في وقتنا الحاضر أيضًا، والتي تواجهه في كلّ الأوقات؛ كالشك، واليأس، والتضحية، والحيرة الروحية، والبلاء، والإذعان، وقضية الحرية، والإرادة والموقف من الإيمان.

بدأ سورن كيركَورد في هذا الكتاب حيثما انتهى في كتابه «إما... أو»، الذي صدر في شباط عام 1843 في جزأين، حيث عالج في ذلك الكتاب قضية الصراع بين الأخلاقي والجمالي، بإشارة مقتضبة عن الديني دون أن يتوسع أكثر، حيث يعود سورن كيركَورد من جديد لتناول قضية العلاقة بين الأيمان والشك، بين الموقف الأخلاقي والواجب الديني.

وكانت ثيمة الكتاب التي تدور حول قضية الإيمان، موجهة أيضًا، ضد أفكار عصره، التي كانت تسخر من الإيمان وتحاول أن تحوله إلى مجموعة من المفاهيم المجردة لا غير، بينما يرى يوهانس دي سلينتيو،

---

(1) Iben Damgaard, Frygt og Bæven,i Tonny Aagaard Olsen & Pia Søltoft, Den udødelige Kiekegaard læst værk for værk, København, C.A: Reitzel, 2006, s.89 - 91.

مؤلف الكتاب المستعار، أن الإيمان «هو أسمى عاطفة في الإنسان». فالإيمان ليس قضية سهلة بل هو أصعبها وأعقدها في الوجود.

عادة ما يؤول محتوى الكتاب بأنه يضع الديني أعلى من الأخلاقي، مادام إبراهيم قد اختار إطاعة اللّه بشكل مطلق والتضحية بابنه إسحاق بدلًا من أن يستمع إلى موقفه الأخلاقي إزاء ذلك الفعل، مع ذلك، يمكن رؤية اختيار إبراهيم بطريقة أُخرى؛ كنتيجة لتحولٍ يجعله في حالة أيمان متناقض ينتظر المستحيل: أن يحافظ على إسحاق، أو يسترجعه ثانية. وهكذا تتبدل تأويل الفكرة من الخضوع الأصولي الصارم إلى اللّه إلى توقع ممكن لحب اللّه. فإذا كانت الحكاية أصلا تتحدث عن الطاعة والإذعان باعتبارهما الأمر الحاسم في إيمان إبراهيم، يركز كتاب الخوف والرعشة جزئيًا على «على الفزع والبلاء الذي يمر بهما الإيمان، وجزئيًا على الفرحة، التي يصف الإيمان الذي يحصل على إسحاق ثانية باعتباره هدية من اللّه.[1]

المترجم
قحطان جاسم
الدَنمارك December. 2018

(1) Iben Damgaard, s.91.

ما قاله تاركوينيوس سوبربوس في الحديقة عن الخشاش، فهمه الابن
لكن الرسول لم يفمهمه.[1]

Hamman

(1) Was Tarquinius Superbus in seinem Garten mit den Mohnkopfen sprach, verstand der Schon, aber nicht der Bote. النص في الأصل بالألماني. وتشير إحدى الحكايات إلى أن تاركوينيوس بعد أن استولى على مدنية غابيي سأله ابنه سيكستوس عمّا يفعله بالقادة، لم يجب بشيء لكنه قام بقطع رؤوس الخشخاش التي كانت قربه.

تصدير

ليس في عالم التجارة فحسب، بل وفي عالم الأفكار أيضًا ينظم عصرنا *تنزيلات حقيقية*.[1] ويمكن الحصول على كل شيء بهذه الطريقة بسعر بخس، بحيث تصبح القضية، فيما إذا كان هناك في النهاية من يعرض سعرًا. كل مسجل نقاط[2] يحدد بوعي الاتجاهات المهمة في الفلسفة الحديثة، كل استاذ مساعد، محاضر، طالب، كل من هب ودب على الفلسفة، لا يبقى متوقفا عند الشك بكل شيء، بل يمضي قُدمًا. ربما سيكون هذا مبكرًا وسابقًا وفي غير أوانه أن نسألهم، إلى أين هم حقًا ماضون، لكن من المرجح أن نعدّ بأدب واحترام أنه أمر محسوم حتمًا، إنهم شكّوا بكل شيء، وإلاّ سيكون الأمر على خلاف ذلك، بالتأكيد غريبًا، أن نقول إنّهم مضوا قدمًا. قام الجميع بهذه الحركة الجارية، ومن المحتمل أنهم وجدوا ببساطة جدًا، أن من غير الضروري لقول كلمة واحدة حول كيف، فحتى هذا الذي بحث بفزع وقلق عن معلومة صغيرة، لم يجد بطريقةٍ علامة هادية، أو وصفة غذائية صغيرة حول كيف يتصرف الإنسان في مثل هذه المهمة العظيمة.» لكن ألم يفعل ديكارت ذلك؟ ديكارت مفكر جليل،

---

(1) يعني تنزيلات على البضائع وغيرها. Ein wirklicher ausverkauf في الأصل بالألمانية

(2) Marqueur الكلمة أصلا بالفرنسية ومعناها الشخص الذي يسجل أهدافًا في مباراة أو لُعبة

متواضع، صادق، الذي لا يتمكن أحد قراءة كتاباته دون أن يتأثر بعمقٍ ـ لقد عمل ما قاله، وقال ما فعله. يا للحسرة! يا للحسرة! يا للحسرة! ذلك حدث نادر للغاية في زمننا! ديكارت، كما يكرر هو نفسه غالبًا، لم يكن شاكًّا في قضية الإيمان («لكن علينا، أن نتذكر، ما قيل، إن علينا أن نثق بهذا الضوء الطبيعي فقط، مادام اللّه ذاته لم يوحِ بشيء يناقض هذا... لكن علينا قبل كل شيء أن نغرس في ذاكرتنا باعتبارها أهم قاعدة منزّهة عن الخطأ، أن ما أوحى به اللّه إلينا هو بشكل لا يضاهى أكثر الأمور تأكيدًا من أي شيء آخر؛ والأحرى علينا أن نخضعه إلى سلطة اللّه مما إلى حكمنا، حتى وإن بدا أن نور العقل يقترح لنا بأقصى وضوح ومصداقية، شيئا آخر «ديكارت، مبادئ الفلسفة 1، 28 و1، 76).[1]

لم يصرخ ديكارت «نار»، وجعل الأمر واجبًا على كل إنسان أن يشك، لأن ديكارت كان مفكرًا متوحدًا وهادئًا، وليس حارس شارع صاخبًا؛ وقد أقرّ بتواضع، أن منهجه كان مهمًا لنفسه فقط وله أصوله في معارفه المشوّهة المبكرة. (ولهذا لا يحسب أحد، أنني سأعلن هنا أسلوبًا ينبغى على كلّ فرد أن يتبعه ليسيطر على عقله بصورة صحيحة؛ لأن هدفي هو أن أعرض فحسب هذا الذي أتبعه بنفسي.. لكن حالما أنجزت هذه السلسلة

(1) انظر في الأصل»Memores tamen, ut jam dictum est, huic lumini naturali tamdiu tantum esse credendum, quamdiu nihil contrarium a deo ipso revelatur...præter cætera autem, memoriæ nostræ pro summa regula est infigendum, ea quæ nobis a deo revelata sunt, ut omnium certissima esse credenda;et quamvis forte lumen rationis. Quam maxime clarum et evidens, aliud quid nobis suggerere videretur, soli tamen auctoritati divinæ potius quam proprio nostro judicio fidem esse adhibendam». (Descartes , Principa philosophiae 1,28, og 1,76).

من الدراسات، (أعني دراسات أيام الشباب)، التي يكون الفرد طبقًا لها مسجلًا عادة من بين العلماء، حتى شرعت القيام بأفكار أُخرى مختلفة تمامًا. لأنني لاحظت، بأنني كنت منخرطًا في شكوك كثيرة جدًا وزوغان، بحيث استنتجت، أن كلّ محاولاتي بتعلم شيء قد نفعتني فقط، أنني كشفت جهلي أكثر فأكثر»، (ديكارت، مقالة حول الأسلوب).[1]

ما افترضه أولئك الإغريق القدماء، الذين كانوا يفهمون مع ذلك قليلًا من الفلسفة، أن تكون مهمة تستغرق كامل العمر، لأن المهارة في الشّك لا تُكتسب في أيام وأسابيع؛ وما أحرزه المحارب المخضرم، الذي حافظ على توازن الشك خلال كل الإغراءات، ورفض بلا خوف حكمة الحس والفكر، وتجاوز بيقظة ضمير المخاوف الأنانية وتملق التعاطف ـ طبقًا لذلك يبدأ كلّ فرد في عصرنا.

لا أحد يبقى في زمننا واقفًا مع الإيمان؛ بل يريد أن يمضي إلى أبعد من ذلك. ربما سيكون طيشًا أن نسأل إلى أين يمضون، بينما تكون علامة تحضر وتنشئة جيدة بالتأكيد، أن أفترض من جهتي، أن كلّ فرد لديه إيمان، وإلاّ فسيصبح كلامًا غريبا، التحدث عن أن يمضي إلى أبعد من

(1) «Ne quis igitur putet; me hic traditurum aliquam methodum, quam unusquisque sequi debeat ad recte regendam rationemP illam enim tantum, quam ipsemet secutus sum, exponere decrevi.... Sed simul ac illud studiorum curriculum absolve (sc. Juventutis), quo decurso mos est in eruditorum numerum cooptari, plane aliud coepi cogitare: Tot enim e dubiis totque erroribus implicatum esse animadverti, ut omnes discendi conatus nihil aliud mihi profuisse judicarem, quam quad ignorantian mean magis magisque detexissem.» (Descartes, Dissertatio de method).

ذلك. كان الأمر مختلفًا في تلك الأيام القديمة. لأن الإيمان كان آنذاك مهمة تستغرق كلّ العمر، وليس موهبة يفترض الإنسان أنه يكسبها في أيام أو أسابيع. عندما اقترب الشيخ العجوز المُجرِب من ساعته الأخيرة، وكافح كفاحًا حسنا، وحافظ على إيمانه، كان قلبه وقتئذ ما يزال شابًا بصورة كافية كي لا ينسى الخوف والرعشة اللذين ربيّا شبابه، واللذين لا يتجاوزهما إنسان تمامًا، على الرغم من أنه سيطر عليهما كرجل ـ إلا إذا تمكن، إلى درجة ما، في فرصة ممكنة مبكرة، أن يمضي الى أبعد من ذلك. وحيثما وصلت تلك الشخصيات الموقرة، يبدأ عصرنا، لكي نمضي إلى أبعد من ذلك.

الكاتب الحالي ليس فيلسوفًا بأيّ حال من الأحوال، وهو لم يفهم المنظومة[1]، فيما إذا كانت موجودة، وفيما أنها مكتملة، فلديه ما يكفي لرأسه الهزيل بالنسبة لهذه الفكرة، التي لا بد أن تملكها كل الرؤوس الضخمة في عصرنا، بما أن كل فرد لديه مثل هذه الفكرة العظيمة. حتى وإن كان الفرد قادرا على تحويل كل محتوى الايمان الى شكل مفهوم، فلن ينجم عن ذلك أنه قد فهم الإيمان، وفهم كيف دخل فيه، أو كيف دخل الايمان فيه. الكاتب الحالي ليس باي حال من الاحوال فيلسوفا. إنه بمعنى *شعري وذوّاق*[2]، كاتب احتياطي، الذي لا يكتب عن المنظومة ولا يقدم أية وعود حولها، الذي لا يستنزف نفسه على المنظومة ولا يقيد

---

(1) التي تعني أيضًا نظام، بنية، تكوين، وهي إشارة إلى المذاهب الفلسفية التي تعرض منظومات فكرية تزعم أن لها system ترجمة لعبارة القدرة على تفسير كل شيء ومنها منظومة هيغل التي تهكمها سورن كيركِكورد.

(2) في الأصل ويمكن أيضا ترجمتها «بعبارات شعرية ومنتخبة بصورة جيّدة» poetice et eleganter

نفسه بالمنظومة. إنّه يكتب لأنّ هذا بالنسبة إليه ترف، فكلما يكون مقبولًا وصريحًا، يصبح مَن يشتري ويقرأ ما يكتبه أقل. إنه يتنبأ، في عصر استغنى عن العاطفة ليخدم العلم، بمصيره بسهولة ـ في عصر عندما ينبغي على الكاتب، الذي يتوخى قرّاء، أن يكون حذرًا أن يكتب بطريقةٍ، بحيث يُمكن تصفح كتابه في قيلولة الظهر بيسر، وأن يحذر أن يجعل حضوره الظاهري بمساواة مع الفتى الحدائقي المؤدب في إعلان صحيفة[1] الذي يعرض نفسه، والقبعة في يد وتوصيات حسن سلوك جيدة من مكان العمل السابق، على جمهور محترم. إنه يتنبأ أن يكون مصيره متجاهلًا كليًا؛ ولديه هاجس مرعب، أن سوط النقد الحماسي سيعنّفه مرات عديدة، بل إنه يرتعد لما يخيفه حتى أكثر، أن مُوظفَ محفوظات جريء، مزدردَ بنود (الذي يكون مستعدًا دائمًا، من أجل إنقاذ العلم، أن يفعل بكتابات الآخرين ما فعله تروب[2] بنبلٍ، لكي «يحافظ على الذوق الجيد»، بكتابه هلاك *العنصر الإنساني*)، ـ سيقطعه الى مقاطع من دون رحمة كما فعل الرجل، الذي قسّم، لكي يخدم *علم اللغة حول ترقيم الجملة*[3]، خطابه من خلال عدّ الكلمات، بحيث وضع نقطة بعد كل خمسين كلمة، وبعد كل خمسة وثلاثين فاصلة منقوطة. أجثم أمام كل متطّفل[4] نظامي بكل خضوع عميق: «هذا ليس هو النظام، وليس له علاقة بأصغر شيء بالنظام.

---

(1) إشارة إلى أقدم صحيفة إعلانات في الدانمارك التي استمرت في الفترة 1749 ـ 1904

(2) شخصية في مسرحية جون لودفيغ هايبرغ (1791 ـ 1860). تروب هو طالب دراسة قانون دائم

(3) *Interpunctions - videnskaben*

(4) ترجمة لـ posekigger

أتمنى كل الخير للنظام وللدانماركيين المساهمين في هذه الحافلة[1]؛ لأنها نادرًا ما تصبح برجًا.[2] أتمنى لهم جميعًا وكل فرد على حدة نجاحًا وحظًا سعيدًا.

مع الاحترام.
يوهانس دي سيلنتو

(1) من المحتمل أن تكون استعارة من لوقا، الإنجيل: 14.28 ـ 30
(2) انظر اعلاه

استهلال

كان يا ما كان رجل في قديم الزمان؛ سمع وهو طفل تلك الحكاية الجميلة عن كيف امتحن اللّه إبراهيم، وكيف اجتاز الاختبار، حافظ على إيمانه وأنجب للمرة ثانية ابنا بالضد من كلّ توقع. عندما كبر قرأ القصة نفسها بمزيد من الإعجاب، لأن الحياة فصلت ما كان متآلفا في بساطة الطفل الورعة. وكلما تقدم في العمر، عاد تفكيره غالبًا إلى تلك الحكاية، وصار حماسه أقوى وأقوى، ومع ذلك فهم الحكاية أقل وأقل. أخيرًا، نسى كل شيء آخر عنها؛ وكانت لدى روحه أمنية واحدة، أن يرى إبراهيم، وتوق واحد أن يكون شاهد عيان لذلك الحدث. لم يكن مطلبه أن يرى مقاطعات الشرق الجميلة، ولا مجد أرض الميعاد الدنيوي، ولا الزوجين الورعين اللذين بارك اللّه شيخوختهما، ولا شخصية البطريَرك العجوز المبجلة، ولا الحيوية الشابة التي منحها اللّه إلى إسحاق ـ لم يكن لديه أي اعتراض على أن الشيء نفسه قد حدث على مرج قاحل. إنّ ما حنّ إليه هو أن يُسافر في رحلة ثلاثة أيام، عندما ركب إبراهيم بحزن قبله وإسحاق إلى جانبه. كانت أُمنيته أن يكون حاضرًا في تلك اللحظة عندما رفع إبراهيم عينيه ورأى في البعيد جبل مرويا[3]، اللحظة التي ترك البغال خلفه وصعد إلى الجبل وحيدًا مع إسحاق؛ ما كان يشغله ليس نسيج الخيال الجميل، بل قشعريرة الفكرة.

---

(3) جبل الصخرة

لم يكن ذلك الرجل مفكرًا، لم يشعر بحاجة إلى أن يوغل إلى أبعد من الإيمان. وقد حسب أنه لا بد أن الأمر سيكون عظيمًا أن يتذكروه مثل أبيه، مصيرًا يُحسَد عليه أن يمتلكه، حتى وإن لم يعرفه. لم يكن ذلك الرجل مفسرًا عالمًا، ولا يعرف أيّ يهودي: ولو كان يتقن العبرية؛ فلو كان يعرف العبرية، لكان من السهل عليه ربما، أن يفهم قصة إبراهيم.

I

«وامتحنَ اللّه إبراهيم[1] وقال له، خذ إسحاق، ابنك الوحيد، الذي تحبه، وامضِ إلى أرض الموريّا واصعد به هناك محرقة على أحد الجبال الذي أُريكَ».

نهض إبراهيم مبكرًا في الصباح، شدّ على الحمير، غادر خيمته[2] وأخذ إسحاق معه، لكن سارة نظرت إليهم من النافذة، وتابعتهم بنظراتها خلال الوادي ـ حتى غابوا عن أنظارها.

رحلا صامتين لمدة ثلاثة أيام، وفي صباح اليوم الرابع لم ينبس إبراهيم كلمة، بل رفع عينيه ورأى جبال الموريّا في البعيد. ترك الخادمين الشابين خلفه ومضى وحده ماسكًا يد إسحاق وصعد الجبل. لكن إبراهيم قال لنفسه: «مع ذلك لا أريد أن أُخفي عن إسحاق، إلى أين سيقوده هذا المسير.» وقف ساكتًا، وضع يده على رأس إسحاق لمباركته، وانحنى إسحاق ليستقبل المباركة. ولخص وجه إبراهيم الأبوة، كانت نظرته رقيقة، وكلماته واعظة. لكن إسحاق لم يكن يفهمه، ولم تكن روحه قادرة على الانتشاء؛ أمسك ركبتي إبراهيم، وسجد عند قدمه، وتوسل من أجل

---

(1) استخدمُ هنا اسم إبراهيم آخذا بنظر الاعتبار قرّاء العربية بينما اسمه بالمسيحية واليهودية إبراهام، أو كما يستخدم اسمه كيركجورد في الكتاب.

(2) في الأصل باللاتينية paulum

حياته الشابة، من أجل آماله الجميلة، وذكّره بالفرحة في بيت إبراهيم، ذكّره بالأسى والوحدة.

عندئذ رفع إبراهيم الغلام وذهب معه ماسكًا يده، وكان حديثه مفعمًا بالاطمئنان والموعظة. لكن إسحاق لم يكن يفهمه. صعد جبال موريًا، لكن إسحاق لم يفهمه. صعد إبراهيم جبل مورايا، لكن إسحاق لم يفهمه. حينها ابتعد إبراهيم عنه للحظة، لكن عندما رأى إسحاق وجه إبراهيم للمرة الثانية، فقد تغير؛ كانت نظرته واسعة موحشة، وكل هيئته مرعبة.

مسك إسحاق من صدره، طرحه على الأرض وقال: «أيّها الغلام الأحمق، هل تعتقد أنني أبوك؟ كلا، أنا وثني. هل تعتقد أنه أمر اللّه؟ كلا، هذه رغبتي». عندئذ ارتعش إسحاق وصرخ بألم: «يا إلهي في السماء اشملني برحمتك، يا إله إبراهيم ارحمني، إذا لم يكن لي أب في الأرض، فكن أنت أبي «! لكن إبراهيم ردد مع نفسه بهدوء: «يا ربّ السماوات، أشكرك؛ فمن الأفضل أن يعتقد أنني وحش من أن يفقد الإيمان بك».

عندما ينبغي فطام الطفل، تجعل الأُم ثديها أسودًا. سيكون من الصعب حقًا أن يبدو الثدي شهيًا، عندما يتوجب أن يحرك الطفل منه. وهكذا يعتقد الطفل أن الثدي قد تغير، بينما تكون الأُم ـ ما تزال نفسها، نظرتها تكون عاشقة ورقيقة كما هي دائما. كم هو محظوظ هذا الذي لم يحتج إلى أدوات مرعبة ليفطم الطفل!

II

كان الوقت مبكرًا في الصباح عندما نهض إبراهيم، عانق سارة، عروس شيخوخته، وقبلت سارة إسحاق، الذي كان موضع كبريائها وأملها لكل

الأجيال القادمة. رحلا كل الطريق بصمت، وكانت نظرة إبراهيم مثبتة نحو الأرض، حتى اليوم الرابع، حين رفع عينيه ورأى من بعيد جبال موريّا، لكنه عاد فأطرق ببصره إلى الأرض ثانية. رتب الحطب بصمت، ربط إسحاق، وسحب سكينه بصمت ـ عندئذ رأى الكبش الذي اختاره اللّه. فنحره وعاد إلى البيت. ومنذ هذا اليوم أصبح إبراهيم عجوزًا، ولم يستطع أن ينسى، أن اللّه قد طلب منه أن يفعل ذلك. بينما ترعرع إسحاق كالسابق، لكن عين إبراهيم كانت أكثر عتمة، ولم يرَ فرحا ثانية.

***

عندما يكبر الطفل وينبغي فطامه، تخفي الأم، عندئذ، ثديها بعذرية، بحيث لم يُعد للطفل عندئذ أما. محظوظ هو الطفل، الذي لم يفقد أمه بصورة مختلفة!

III

كان الوقت مبكرا عند الصباح، نهض إبراهيم مبكرًا؛ قبّل سارة، الأم الشابة، وسارة قبّلت إسحاق، غبطتها، فرحتها في كل الأوقات. ورحل إبراهيم يفكر على طول الطريق، فكر بهاجر والابن الذي اصطحبه إلى البريّة. ارتقى جبل موريّا، وسحب سكينه.

كانت ليلة هادئة، عندما رحل إبراهيم وحيدًا، وسافر إلى جبال موريّا؛ انبطح بوجهه على الأرض، وتوسل إلى اللّه أن يغفر له إثمه، أنه كان على استعداد للتضحية بإسحاق، وأن الأب قد نسى واجبه تجاه الأبن. كثيرًا ما قطع طريقه الموحش، لكنه لم يجد سلامًا. لم يستطع أن يفهم، أن ذلك كان إثما، أنه كان على استعداد للتضحية بأفضل ما يملكه إلى اللّه، الملك

الذي كان على استعداد أن يموت من أجله مرات عديدة بفرح، وإذا كان هذا إثما، وإذا هو لم يحب إسحاق على هذا النحو، فهو لم يستطع، إذن، أن يفهم، أنه يمكن غفران هذا الإثم، فأيّ إثم كان أكثر رعبًا هناك؟

***

لا تخلو الأم من الحزن، عندما ينبغي فطام الطفل، لأن الأم والطفل يكونان منفصلين أكثر فأكثر عن بعضهما؛ بحيث إن الطفل، الذي استلقى أولًا تحت قلبها، واستراح لاحقًا عند ثديها، لن يكون قريبًا جدًا منها ثانية أبدًا. فيحزنان الحزن القصير معًا. سعيد هذا الذي احتفظ بالطفل قريبًا جدًا، ولم يحتاج أن يحزن أكثر.

IV

كان الوقت مُبكرًا في الصباح، وكان كل شيء في بيت إبراهيم مستعدًا إلى السفر. ودع سارة، وتبعه اليعازر الخادم الأمين على طول الطريق حتى عاد ثانية. رحل إبراهيم وإسحاق بانسجام على طول الطريق حتى وصلا إلى جبل موريّا. جعل إبراهيم كل شيء جاهزًا بهدوء ورقة للضحية، لكن في اللحظة التي أدار وجهه وسحب سكينه، حينها رأى إسحاق، إن يد إبراهيم اليسرى كانت متشنجة بإحباط، بحيث اجتاحت رعشة كل جسده ـ لكن إبراهيم سحب السكين.

بعد ذلك عادًا مرة أُخرى إلى البيت، وهرعت سارة للقائهم، لكن إسحاق قد الإيمان. ما من كلمة واحدة قيلت عن هذا الأمر في العالم أبدًا، ولم يتحدث إسحاق أبدًا إلى أي إنسان، عمّا رآه، ولم يشك إبراهيم بأن أحدًا قد رأى ذلك.

***

حين ينبغي فطام الطفل، يكون تحت يد الأم عندئذ تغذية أقوى، بحيث لا يموت الطفل. كم محظوظ هذا الذي لديه هذه التغذية الأقوى تحت يديه!

على هذا النحو وبطرق مشابهة عديدة فكر ذلك الرجل، الذي نتحدث عنه في هذا الحدث. كلما عاد آنذاك بعد رحلة إلى جبال موريّا إلى البيت، إنهار من الإعياء، عقد يديه وقال: «لا أحد، مع ذلك، كان كإبراهيم عظيمًا، من هو قادر على فهمه؟»

في مديح إبراهيم

لو لم يملك الإنسان أي وعي أبدي، لو لم يكن هناك في أساس كل شيء سوى قوة طائشة مختمرة، التي تتأجج بمشاعر قاتمة منتجة كلّ شيء، سواء كان عظيمًا أو تافهًا، لو أن خواء بلا قرار لا يشبع أبدًا، يختبئ تحت كل الأشياء، فماذا ستكون الحياة عندئذ سوى قنوط؟ ولو كان الأمر على هذا النحو، لو لم يكن هناك رباط مقدس، الذي يوحد البشرية معًا، لو ظهر جيل بعد جيل كأوراق الأشجار في الغابة، لو حلّ جيل محل جيل آخر مثل أغاني الطيور في الغابات، لو مضت السلالة البشرية خلال العالم كباخرة تمخر البحر، أو مثل ريح عبر الصحراء، إنجاز عقيم وغافل، لو ترصد نسيان أبدي فريسته دائمًا بصورة جائعة، ولم تكن هناك قوة كافية لانتزاعها منه ـ كم ستكون الحياة عندئذ خاوية وعديمة الراحة! لكن لذلك السبب، لم تكن كذلك، وكما خلق اللّه الإنسان والمرأة، فإنه خلق أيضًا البطل والشاعر أو الخطيب. ليس لدى الشاعر أو الخطيب أي شيء يمكن أن يفعلانه مثلما يستطيع ذلك البطل؛ إنه يستطيع أن يعجب فقط، يحب، ويفرح به. لكنه مع ذلك سعيد أيضًا ـ وسعادته ليست أقل من البطل؛ لأن البطل يكون مثل طبيعته الافضل، التي يكون متيما بها، ويفرح بأنه مع ذلك ليس هو ذاته، بحيث يمكن أن يكون حبه إعجاب. إنه عبقري التذكر. لا يقوم بأي شيء عدا أن يذكّر بما تم عمله، لا يفعل أي شيء عدا أن يعجب بما تم عمله.

ولا يأخذ أي شيء مما يخصه، لكنه يكون متحمسًا لما عُهد به إليه. إنه يتبع رغبة أهواء قلبه، لكن بعد أن يجد ما سعى إليه فإنه يتجول أمام دار كل فرد بأغنيته وكلامه بحيث يستطيع الجميع أن يعجبوا بالبطل مثله، وأن يكونوا فخورين بالبطل كما يكون هو. هذا هو عمله، مهمته المتواضعة، وهذه هي خدمته الوفية في بيت البطل. فإذا بقي على هذا النحو مخلصًا لحبه، إذا هو كافح ليل نهار ضد حيل النسيان، التي تريد ان تضله عن بطله، فقد انجز مهمته، وبالتالي يكون متوحدا مع البطل الذي قد أحبه بإخلاص تماما، لأن الشاعر، كما يقال، طبيعة البطل المفضلة، عاجز يقينا، مثلما تكون الذكرى، لكنه يكون متغيرًا مثلما تكون الذكرى. ولهذا لن ينسى أي أحد كان عظيمًا، حتى وإن يتطلب المر وقت، حتى وإن غيمة سوء فهم تجرف البطل بعيدًا، سيأتي حبيبه مع ذلك، وكلما مر وقت اطول، بقي هو مخلصًا لحبيبه.

لا، لا أحد كان عظيمًا في العالم سيكون منسيًا؛ لكن كل إنسان كان عظيمًا بطريقته، وكلّ شخص يتناسب مع عظمة ما أحب. لأن من أحب نفسه أصبح عظيمًا بذاته، ومن أحب الآخرين أصبح عظيما بولائه، لكن هذا الذي أحب اللّه أصبح أعظم من الجميع. يتوجب على الجميع أن يتذكر، إنما كل فرد أصبح عظيما بتناسب مع *توقعاته*. واحد أصبح عظيما من خلال توقع المستحيل، وآخر بتوقع الأبدية؛ لكن هذا الذي توقع المستحيل صار أعظم من الجميع. ينبغي أن يتذكر الجميع، إنما كان كل فرد عظيما كليًا بمقدار جسامة ما *جاهد* به. لأن هذا الذي كافح العالم أصبح عظيمًا بالانتصار على العالم، وهذا الذي جاهد نفسه أصبح عظيمًا بالانتصار على نفسه؛ لكن الذي كافح مع اللّه أصبح أعظم من الكلّ. وعلى هذا النحو فإن هناك صراعًا في العالم، الإنسان ضد الإنسان، واحد ضد

الآلاف، لكن الذي كافح مع اللّه كان أعظم من الجميع. وهكذا كافحوا على الأرض: كان هناك هذا الذي هزم كل شيء بواسطة قوته، والذي غلب اللّه من خلال ضعفه. كان هناك هذا الذي اعتمد على نفسه ونال كل شيء، وإنسان ضحى، وهو مطمئن بقوته، بكل شيء؛ لكن الأعظم من الجميع كان الفرد الذي آمن بالله. كان هناك هذ الذي كان عظيمًا بمقتضى قوته، وهذا الذي كان عظيمًا بفعل حكمته، وهذا الذي كان عظيما بالأمل، وواحد كان عظيمًا بموجب حبه، لكن إبراهيم كان أعظم من الجميع، عظيمًا بتلك القوة التي قدرتها هي العجز، عظيما بتلك الحكمة التي سرها هو الحماقة، عظيمًا بذلك الأمل الذي شكله هو الجنون، عظيما بمقتضى الحب الذي هو كراهية للذات.

هاجر إبراهيم بإيمانه من أرض آبائه وصار غريبا في ارض الميعاد. ترك شيئًا واحدًا خلفه، وأخذ شيئًا آخرًا معه: ترك خلفه فهمه الدنيوي وأخذ معه إيمانه. وإلا فأنه لم يهاجر بالتأكيد؛ بل لحسب الهجرة حتما غير معقولة. بإيمانه كان غريبًا في الأرض الميعاد، لم يكن هناك أيّ شيء يذكّره بما كان عزيزًا، لكن كلّ شيء بجدّته أغرى روحه لشوق حزين. ومع ذلك فأنه كان من اصطفاه اللّه، الذي فرح الرب به! في الحقيقة، لو أنه كان مرفوضًا، ومطرودًا من رحمة اللّه، لاستطاع فهمه بصورة أفضل ـ لكن الآن كما لو أُستهزِئ به وبإيمانه. كان هناك أيضًا في العالم هذا الذي عاش في منفى عن أرض أجداده الحبيبة. لم يلفه النسيان، ولا أغانيه النادبة، عندما سعى فيها بأسى ووجد المفقود. ليس لدينا من إبراهيم أية اغنية ندب. إنه أمر إنساني أن تتظلم، وإنساني أن تنحب مع إنسان ينحب، لكن من الأعظم أن تملك إيمانا، ومبارك أكثر أن تفكرّ في المؤمن.

إنّه الإيمان الذي جعل إبراهيم يقبل الوعد، أن كل أجيال الأرض من ذريته ستكون مباركة. مر الزمن، وكانت الفرصة متاحة، وإبراهيم مؤمنا؛ مر الزمن، وأصبح غير معقول أن لدى إبراهيم إيمانا. كان هناك شخص آخر في العالم الذي كان لديه توقعًا أيضًا. مر الزمن، واقترب المساء، لم يكن تافها للغاية بحيث ينسى توقعه؛ ولهذا لن يكون منسيا أيضًا. عندئذ حزنَ، ولم يخدعه الحزن كما فعلت الحياة؛ لقد فعلت كل ما أمكنها له، وفي عذوبة الحزن نال توقعه المخيّب. إنه لأمر إنساني أن تحزن، أن تحزن مع الحزين، لكن الأعظم أن يكون لديك إيمان، وأكثر مباركة أن تفكّر في المؤمن. ليس لدينا من إبراهيم أية اغنية حزن. لم يعدّ الأيام بحزنٍ، بينما كان الوقت يمرّ، ولم ينظر إلى سارة بنظرات متشككة، مستغربًا، عمّا إذا كانت تشيخ؛ لم يوقف مسيرة الشمس، كي لا تصبح سارة عجوزًا ويهرم معها توقعه؛ ولم يغنِ إلى سارة أغنيته النادبة على نحو مهدئ. أصبح إبراهيم كهلا، وصارت سارة مسخرة في البلاد، ومع ذلك كان هو ممن اختارهم اللّه ووارث الوعد بأن كل أجيال الأرض ستكون مباركة في ذريته. إليس من الأفضل، إذن، لو أنه لم يكن مُختار الله؟ ماذا يعني أن تكون مختارًا من الله؟ هل ينبغي أن تُرفض رغبة الفرد الشابة في شبابه لكي تتحقق بعناء كبير في شيخوخته؟ لكن إبراهيم آمنَ وتمسك بثبات بالعهد. لو كان إبراهيم مترددًا لتخلى عنه. ولقال إلى الله: «ربما إنها لم تكن مشيئتك، أن يحدث هذا: لهذا سأتخلى عن أُمنيتي. إنها كانت أُمنيتي الوحيدة، فرحتي المباركة. روحي بارّة، ومتفتحة؛ ولا أخبئ أيّة ضغينة سريّة لأنك منعتني منها». لما كان نسيهُ أحد، ولكان أنقذ عديدين من خلال مثاله، لكنه مع ذلك لن يصبح أب الإيمان؛ لأنه أمر عظيم أن يتخلى عن رغبته، لكن من الأعظم

أن تتمسك بها، بعد أن يكون قد تخلى عنها؛ أنه أمر عظيم أن يتمسك بثبات بالأبدي لكن من الأعظم أن يتشبث بالدنيوي بعد أن تخلى عنه.

من ثم حلّت نهاية الزمن. لو لم يكن لدى إبراهيم إيمان، لماتت سارة من الأسى حتما، وإبراهيم، الذي بلّده الحزن، لم يفهم تأدية الواجب، بل ابتسم منه كما يبتسم من حلمِ شابٍ. لكن إبراهيم مؤمن، ولهذا كان شابا؛ لأن هذا الذي يأمل دائما الأفضل، يصبح عجوزًا، ويكون مخدوعًا بالحياة، وهذا الذي يكون مستعدًا دائما للأسوأ يصبح بصورة مبكرة عجوزًا، لكن هذا الذي يملك إيمانًا ـ يحافظ على شباب خالد. فلنطرِ ونبجل هذه الحكاية! لأن سارة كانت، رغم أنها متقدمة بالعمر، شابة بصورة كافية لتشتهي فرحة الأمومة؛ وإبراهيم رغم أنه أشيبٌ، كان شابًا بصورة كافية ليرغب أن يكون أبا. ظاهريًا يكمن المدهش في أن الأمر حدث حسب توقعهما؛ بمعنى أكثر عمقًا، تكمن روعة الأيمان في أن إبراهيم وسارة كانا شابين كفاية ليرغبا، وقد حفظ الإيمان رغبتهما وكذلك شبابهما. لقد وافق على تحقيق الوعد، ووافق عليه بإيمان، وقد حدث طبقًا للوعد وحسب إيمانه؛ لأن موسى ضرب الصخرة بعصاه، لكن لم يكن لديه إيمانًا.

كانت هناك فرحة في بيت إبراهيم عندما وقفت سارة كعروسٍ في يوم عيد زواجهما الذهبي.

ومع ذلك لم يبق الأمر على هذا النحو، فقد توجب امتحان إبراهيم مرة أُخرى. لقد كافح تلك القوة الماكرة التي تخترع كلّ شيء، ضد ذلك العدو اليقظ الذي لم يغلبه النعاس أبدًا، ضد ذلك الرجل العجوز الذي عمّر أكثر من كل شيء ـ لقد كافح الزمن وحافظ على إيمانه. والآن كان كل رعب الصراع متركزًا في لحظة واحدة. «وامتحن اللّه إبراهيم وقال له؛ خذ

إسحاق ولدك الوحيد، الذي تحبه، اذهب إلى بلاد موريّا وضحِ به هناك إلى محرقة على جبل الذي سأريك».

بذلك ضاع كل شيء، برعب أكثر حتى مما لو أنه لم يحدث قط! ولهذا كان الرّب يسخر من إبراهيم فقط! لقد جعل المستحيل يتحقق بمعجزة؛ ويريد الآن أن يراه ملغيًا. كان هذا الأمر في الحقيقة ضربًا من حماقة، لكن إبراهيم لم يضحك عليه، كما فعلت سارة، عندما بُشِّرَ بالوعد. ضاع كل شيء! سبعون عامًا من التوقع المخلص، الفرحة القصيرة على تحقيق تأدية الإيمان. من هو إذن الذي انتزع العكاز من الرجل العجوز، من هو الذي يطلب، أن عليه أن يكسره بنفسه؟ من هو الذي يجعل شعر الرجل الأشيب يوقع الغم في النفس، من هو الذي يطلب أن يفعله بنفسه؟ ألا يوجد هناك أيّ تعاطف مع هذا الرجل العجوز الوقور، ولا مع الطفل البريء! ومع ذلك كان إبراهيم مختار اللّه، وكان الرب، الذي فرض هذا الامتحان. والآن سيكون كل شيء ضائعًا! ذكرى الأجيال القادمة المجيدة، الوعد في ذرية إبراهيم، كانت مجرد نزوة، فكرة عابرة، كانت لدى الرب، التي على إبراهيم أن يمحوها الآن. ذلك الكنز الفاخر، الذي كان قديمًا مثل الإيمان في قلب إبراهيم، أكبر بسنوات عديدة من عمر إسحاق، ثمرة حياة إبراهيم، التي تقدّست بالصلوات، ونضجت في الصراع ـ التبريك على شفاه إبراهيم، ينبغي اقتطاف هذه الثمرة الآن في غير موسمها وتصبح بلا معنى؛ فأيّ معنى كان لها، عندما اقتضى التضحية بإسحاق! ذلك الزمن الحزين لكن المبارك عندما كان على إبراهيم أن يودع كل شيء وكلّ ما كان عزيزًا عليه، عندما كان عليه أن يرفع رأسه الكريم مرة أُخرى، عندما كان على عينيه أن تشع مثل عيون الرب، عندما كان عليه أن يجمع كل روحه في

بَرَكَة، كان هناك جبارًا ليجعل إسحاق مباركًا كل الأيام ـ هذه اللحظة لن تأتي! لأن، على إبراهيم، أن يودع في الواقع إسحاق، لكن بطريقة بحيث سيتخلف نفسه عنه؛ سيفرقهم الموت، لكن على نحو أن إسحاق سيصبح غنيمته. على الرجل العجوز أن لا يضع يده، فرحًا بالموت، بمباركة على إسحاق، لكن كان عليه، مرهقًا من الحياة، أن يضع يدًا قاسية على إسحاق. وكان اللّه، الذي امتحنه. ويل، ويل للرسول الذي حمل بمثل هذه الأنباء إلى إبراهيم! من كان يجرؤ على أن يكون رسولًا لهذا الحزن؟ لكنه اللّه الذي امتحن إبراهيم.

مع ذلك كان لدى إبراهيم إيمان، وآمن *بهذه الحياة*. في الواقع، لو كان إيمانه من أجل حياة قادمة فقط، لكان من السهل عليه أن يلقي كل شيء جانبًا لكي يسرع لمغادرة هذا العالم، الذي لا ينتمي إليه. لكن إيمان إبراهيم لم يكن من هذا النوع، لو كان هناك مثل هذا الإيمان على الإطلاق، ففي الواقع أنه ليس الإيمان، بل إمكانية الإيمان إلى أقصى حد بعيد، التي ترى هدفها بضعف على أقصى أُفق بعيد، لكن مفصولة عنه بهاوية فاغرة، التي يمارس في مجالها اليأس لعبته. لكن كان لدى إبراهيم اعتقاد لهذه الحياة بالذات ـ اعتقاد أنه سيصبح معمرًا في هذه البلاد، ومحترمًا بين الشعب، ومباركًا بين الذرية، مذكورا بصورة أبدية في إسحاق، عزيزه في الحياة، الذي عانقه بحب الذي وصف على نحو غير ملائم بالقول، أدى بوفاء واجب الأب أن يحب ابنه، الذي أُكِد عليه في الحقيقة بالطلب: «هذا الابن، الذي تحبه». كان لدى يعقوب اثنا عشر ابنا؛ أحب واحدًا منهم؛ ولدى إبراهيم ولد واحد فقط، الذي أحبه.

لكن لدى إبراهيم إيمان ولم يشك، أنه اعتقد بالمستحيل. لو كان لدى

إبراهيم شك، عندئذ سيفعل شيئًا آخرًا، شيئًا عظيمًا ومجيدًا؛ إذ كيف أمكن أن يفعل إبراهيم أيّ شيء آخر سوى ما هو عظيم ومجيد! كان سيذهب إلى جبل موريّا، يقطع الحطب ويشعل النار، ويسحب السكين - وينادى إلى الله: «لا ترفض هذه الضحية، أنها ليست افضل ما أملك، أعرف ذلك جيدًا؛ فماذا يكون رجل عجوز مقابل طفل الميعاد، لكن هذا هو أفضل ما يمكن أن أُقدمه لك. لا تدع إسحاق يعرف هذا أبدًا، فربما يعزي نفسه بشبابه»[1]. وكان سيغرس السكين في صدره. ولأصبح محترمًا في العالم، ولن يكون اسمه منسيًا أبدًا؛ لكن أن يكون موقرًا شيء، وشيء آخر أن يصبح نجمة هادية تنقذ المفزوع.

لكن لدى إبراهيم إيمان. لم يسترحم من أجل نفسه على أمل أن يؤثر في الرب؛ كان ذلك فقط عندما طال العقاب العادل سدوم وعمورة، حيث تقدم إبراهيم بصلواته.

نقرأ في النصوص المقدسة: «وامتحن اللّه إبراهيم، وقال: يا إبراهيم، يا إبراهيم أين أنت؟ فأجاب إبراهيم: هأنذا.» أنت، يا من يتوجه كلامي إليه، هل كان الأمر على هذا النحو معك؟ عندما رأيت من بعيد المصير العسير يقترب، ألم تقل إلى الجبال، اخفيني»، وإلى التلال، انهاري عليّ»؟ أو لو أنك كنت أقوى، ألم تجرجر قدميك ببطء مع ذلك على طول الطريق، ألم تحن، كما يقال، إلى الدروب القديمة؟ عندما نودي عليك، فهل أجبت حينئذ أم لم تجب، ربما أجبت وبصوت هامس؟ لم يجبه إبراهيم على هذا النحو فرحًا، واثقًا وبصوت عال: أنا هنا. ونواصل القراءة: «ونهض إبراهيم مبكرًا

---

(1) يشير سورن كيركجورد هنا الى ان ابراهيم طلب من اللّه أن لا يخبر اسحاق حول حادثة الذبح لعله يجد السلوان في شبابه

في الصباح». كما لو أنه أسرع، على هذا النحو، إلى حفل، وفي وقت مبكر من الصباح كان في المكان المتفق عليه، في جبل موريا. لم يقل أي شيء إلى سارة، ولا شيء إلى اليعازر ـ من استطاع، مع كل ذلك، أن يفهمه، لو لم تنتزع طبيعة الامتحان عهد الصمت منه؟ «قطع الحطب، أوثق إسحاق، أشعل النار، وسحب السكين.» يا مستمعي! هناك العديد من الآباء الذين حسبوا أنهم بفقدانهم ابنهم قد فقدوا أعز ما لديهم في العالم، وأن يحرموا من كل أمل في المستقبل. ولكن لم يكن هناك مع ذلك أي أحد، الذي كان بهذا المعنى طفل الميعاد، الذي كان إسحاق بالنسبة لإبراهيم. هناك أكثر من أب قد فقد طفله، لكنه كان اللّه عندئذ، إرادة الجبار الراسخة والغامضة، وكانت يده هي التي استردته. ولم يكن كذلك الحال مع إبراهيم. فقد احتفظ بأقسى *امتحان* له؛ ووضع مصير إسحاق مع السكين بيد إبراهيم. وهناك وقف، الرجل العجوز مع أمله الأعزل! لكنه لم يشك، ولم ينظر بغم إلى اليسار أو اليمين، ولم يتحدَ السماء بصلواته. كان يعرف أنه اللّه الجبار الذي كان يختبره؛ وعرف أنها كانت أقسى تضحية التي أمكن طلبها منه؛ لكنه عرف أيضًا، أن ما من تضحية كانت قاسية جدا إذا طلبها اللّه ـ فأستل السكين.

من منح القوة إلى ذراع إبراهيم، من أبقى على ذراعه الأيمن مرفوعًا بحيث لم ينزل بلا قوة إلى الأسفل! كل من ينظر هذا المشهد يكون مشلولًا. من منح إبراهيم العزيمة لروح إبراهيم لئلا تصبح عينه غائمة جدا فلًا يرى إسحاق أو الكبش! هذا الذي ينظر إلى هذا المشهد يصبح أعمى. ومع ذلك ربما نادرًا ما يحصل أن يكون أي أحد مشلولًا أو أعمى، وعلاوة على ذلك نادرًا ما يروي أحد ما حدث كما يستحق أن يُروى. كلنا يعرف هذا ـ أنه كان امتحانًا فقط.

لو أن إبراهيم شك بينما وقف على جبل موريا، لو أنه نظر حوله في حيرة، لو أنه استرق النظر إلى الكبش قبل سحب السكين، لو ان قد سمح له ان يضحي به بدلا عن إسحاق ـ عندها سيكون قد غادر إلى البيت، وكان كل شيء نفسه، لحظي بسارة، واحتفظ بإسحاق، ومع ذلك كم تغيّر! لأن انسحابه كان هروبا، وانقاذه مصادفة، مكافأته مخزية، وربما مستقبله هلاك. ومن ثم لم يكن قد شاهد لا على إيمانه ولا على رحمة اللّه، بل كان قد شهد على كم هو مرعب الذهاب إلى جبل موريا.ومن ثم لن يكون إبراهيم منسيًا ولا جبل موريا. عندها لن يذكر بالطريقة التي ذكر بها جبل آرارات، حيث رست سفينة نوح، بل سيسمى مكان رعب، لأنه كان هنا قد شك إبراهيم.

أيّها الأب الجليل إبراهيم! عندما عدت إلى البيت من جبل موريا لم تكن محتاجا إلى إطراء ليواسيك عمّا فقدته، لأنك حصلت في الواقع على كل شيء وحافظت على إسحاق ـ الم يكن الأمر كذلك؟ فلم يأخذه الرب منك ثانية، بينما جلست سعيدا عند الطاولة معه في خيمتك، كما تفعل في الآخرة إلى كل الآبدين. ايّها الأب إبراهيم الجليل! انقضت آلاف السنوات منذ تلك الأيام، لكنك لا تحتاج إلى عاشق قادم لينتزع ذكراك من سلطة النسيان؛ لأن كل لغة ستتذكرك ـ ومع ذلك تكافئ محبوبك بتمجيد أكبر من أي شخص آخر. وجعلته فيما بعد مباركًا في حضنك، وأسرت عينه وقلبه بصنيعك الباهر. أيها الأب الجليل إبراهيم! يا أب البشرية الثاني! أنت الذي رأى وشهد أولا على تلك العاطفة الهائلة التي استخفت بالصراع المخيف مع غضب العناصر وقوى الأقدار لكي تتصارع مع اللّه. أنت يا من أول من عرف تلك العاطفة العليا، التعبير المتواضع، النقي والمقدس

عن الجنون الالهي الذي أُعجب الوثنيون به ـ سامح هذا الذي يريد أن يمتدحك، إن هو لم يفعل هذا بصورة صحيحة. كان يتحدث في تواضع، كما طلب قلبه، تحدث باختصار، كما يكون خليقًا به؛ لكن عليه أن لا ينسى أبدًا، أنك احتجت إلى مئة عام لتحصل على ابن في شيخوختك ضد كل التوقعات، بحيث كان عليك أن تسحب السكين، قبل الاحتفاظ بإسحاق، وعليه أن لا ينسى أبدًا، أنك في 130 عامًا لم تتقدم إلى أبعد من الإيمان.

مشکلات

ملاحظات تمهيدية

يقول مثل قديم مأخوذ من العالم المرئي والخارجي: «لا يحصل على الخبز إلا هذا الذي يعمل». ومن الغريب حقًا، أن المثل لا ينطبق على العالم، الذي ينتمي إليه المثل، لأن العالم الخارجي يخضع إلى قانون عدم الكمال؛ وهنا يتكرر مرة بعد أُخرى أن الشخص الذي يحصل على الخبز هو الفرد الذي لا يعمل، وأن الشخص الذي ينام يحصل عليه أكثر من الذي يكدح. كل شيء في العالم الخارجي يعود إلى كل من يملكه، العالم الخارجي يكون خاضعًا إلى قانون اللامبالاة، وهذا الذي يملك الخاتم، يطيع جني الخاتم، فيما يكون هو نور الدين أو علاء الدين، وهذا الذي يملك كنوز العالم فهو يملكها بغض النظر عن كيفية حصوله عليها. في عالم الأرواح فالأمر مختلف. فهنا يهيمن نظام إلهي أبدي، هنا لا تشرق الشمس على الخير والشر على السواء، هنا يتعلق الأمر، إن هذا الذي يعمل فقط يحصل على الخبز، هذا الذي كان في فزع فقط يجد الراحة، وهذا الذي ينزل إلى الجحيم فقط، ينقذ حبيبه، وهذا الذي يسحب السكين فقط، يحصل على إسحاق. هذا الذي لا يعمَل لن يحصل على الخبز، بل سيكون مخدوعًا مثلما خدعت الالهة اورفيوس بهيئة هوائية بدلًا عن المحبوب، خدعته لأنه كان رقيق القلب، وليس شجاعًا، خدعته لأنه كان لعوبًا، وليس رجلًا.

هنا لا يساعد أن تتخذ إبراهيم أبا لأحد، أو سبعة عشر قرنا من النسب النبيل؛ هذا الذي لا يريد أن يعمل، هنا يمكن القول ما هو مكتوب حول عذارى إسرائيل، أنه يولد ريحًا، لكن هذا، الذي سيعمل، فأنه يلد أباه.

هناك معرفة، التي تريد بشكل صلف أن تقدم في عالم الروح قانون اللامبالاة نفسه الذي يئن تحته العالم الخارجي. وهي ترى، أنه يكفي أن تملك معرفة عن الحقائق الكبرى. أي عمل آخر لا تحتاج إليه. لكن لهذا لا يحصل على الخبز. ويموت من الجوع، بينما كل شيء يتغير إلى ذهب. وماذا تعرف هذه أيضًا؟ كان هناك آلافا عديدة في عصر اليوناني، وآخرون لا حصر لهم في أجيال لاحقة، الذين يعرفون كل انتصارات ملتيادس، لكن كان هناك واحد فقط من أصابه الأرق عليها. كان هناك أجيال عديدة التي عرفت قصة إبراهيم عن ظهر قلب، كلمة بكلمة: فكم جعلتهم أرقين؟

تملك القصة عن إبراهيم حاليا سمة متميزة، إنها ستكون عظيمة دائما مهما كان فهم الإنسان لها فقيرًا، لكن فقط ـ لأنه صحيح هنا أيضًا ـ، فيما أنه راغب «أن يعمل ويكون متحملا».[1] لكنه لا يريد العمل، ومع ذلك يريد فهم القصة. يتحدث الإنسان إكرامًا لإبراهيم، لكن كيف؟ إن يمنح كل القصة تعبيرًا عامًا تمامًا: «كان أمرًا عظيمًا، أنه أحبّ اللّه على نحو، بحيث إنه أراد أن يضحي له بأفضل شيء يملكه». ذلك حقيقي جدًا، لكن «الأفضل» هو تعريف مبهم. يستطيع المرء أن يطابق بالكلمة والفكرة باطمئنان كاف إسحاق والأفضل، ويمكن الإنسان المتأمل أن يدّخن غليونه تحت التفكير، ويمكن للمستمع أن يمدد ساقية على مهل. لو أن الرجل الشاب الثري الذي

(1) انظر الكتاب المقدس، متي، 11.28

التقى به المسيح في الطريق قد باع كل ممتلكاته وأعطاها إلى الفقراء، فعلينا أن نشيد به، كما نشيد بالصنائع العظيمة، لكننا لن نستطيع فهمه دون عمل. ومع ذلك فأنه لن يصبح إبراهيم حتى لو أنه قدم أفضل ما عنده. ما يتركه المرء من قصة إبراهيم هو الفزع؛ لأنني مقابل النقود لا أملك أي واجب أخلاقي، لكن مقابل الابن فلدى الأب أعلى وأعظم واجب.

مع ذلك فإن الفزع هو قضية خطرة بالنسبة إلى شديد الحساسية، ولهذا ينسى الإنسان هذا، على الرغم من أنه يريد أن يتحدث عن إبراهيم. وهكذا يتحدث عن إبراهيم وفي سياق الكلام يبادل كلمات إسحاق «ب «الأفضل. وكل شيء يمضي بشكل ممتاز. لو حدث أن أحدًا بين المستعين كان يعاني، مع ذلك، من الأرق، سيكون هناك على الأرجح فهما تراجي ـ كوميدي أكثر رعبًا، وأكثر عمقًا. سيذهب إلى البيت، ويفعل مثلما فعل إبراهيم تمامًا؛ لأن الابن هو بالتأكيد أفضل شيء يملكه. لو أن ذلك المتكلم عرف بهذا الأمر، لربما أقبل حينئذ عليه، استجمّع كل مهابته الكهنوتية وصاح: إيّها الإنسان الممقوت، يا حثالة المجتمع، أي شيطان تلبسك بحيث تريد أن تقتل ولدك؟ وهذا القس، الذي لم يشعر ببعض الحرارة أو التعرق بينما كان يعظ عن إبراهيم، اندهش من نفسه، ومن الغضب الجاد، الذي انفجر به ضد ذلك الرجل المسكين: كان سعيدًا مع نفسه، لأنه لم يتحدث أبدًا بمثل هذه الحدّة والحماس سابقًا. قال لنفسه، ولزوجته: أنا خطيب، وكل ما احتجته هو المناسبة: فعندما تحدثتِ عن إبراهيم يوم الأحد لم أشعر متأثرًا البتة. لو كان لدى نفس المتحدث فائضًا قليلًا من الفهم للحفاظ عليه، فأنا متأكد سيفقده، لو أجاب الآثم بهدوء وكرامة: لكن، على أي حال، كان ذلك ما وعظتَ به نفسك يوم الأحد. كيف أمكن القس أن

يحصل أيضًا على مثل هذه الفكرة في رأسه؟ ومع ذلك فعل ذلك، والخطأ الوحيد، هو أنه لم يكن يعرف ما قاله. لماذا لا يتناول شاعر [1] مثل تلك الحالات بدلًا عن الثرثرة والتفاهة اللتين تملآن الكوميديات والروايات؟ يتماس الكوميدي والتراجيدي مع بعضهما هنا بلا نهاية مطلقة. ربما كانت خطبة القس في حد ذاتها مضحكة بشكل كافٍ، لكنها أصبحت مضحكة إلى ما لا نهاية في تأثيرها، ومع ذلك كان ذلك الأمر طبيعيًا تمامًا. أو أفترض أن الآثم الخنوع أقنعته محاضرة القس العيفة؛ افترض أن ذلك القس المتحمس ذهب إلى البيت سعيدًا ـ سعيدًا بمعرفته أن تأثيره لم يكن محصورا على المنبر فحسب، بل كان علاوة على ذلك يملك سلطة لا تقاوم كمرشد روحي، طالما أنه ألهم جموع المصلين يوم الأحد، بينما هو في يوم الإثنين، مثل شاب أدرك سن البلوغ يضع نفسه بسهم ملتهبٍ أمام هذا الذي أراد أن يكذب بأفعاله ذلك المثل القديم القائل، أن الأمور لا تجري في العالم كما يعظ القس.[2]

لكن إذا بقي الآثم، على العكس من ذلك، غير مقتنع، فوضعه يكون تراجيديًا حقًا. ومن ثم، صار من المحتمل أما أنه أعدم أو أرسل إلى المصحة العقلية. بشأن ما يسمى الواقع، أصبح تعيسًا؛ أنا متأكد أن إبراهيم جعله، بمعنى آخر، سعيدًا؛ لأن الذي يعمل لن يهلك.

---

(1) مرة اخرى يستخدم كيركجورد هنا مفردة Digter وهي بمعنى شاعر، لكنها يمكن أن تأتي بمعنى سارد نثر او سارد شعر

(2) قيل في الايام السالفة: «من المحزن ان لا تمضي الامور بالطريقة التي يعظ بها الكاهن» لكن ربما سيأتي هذا الزمن، وعلى الاخص بمساعدة الفلسفة، عندما يقول الانسان، «من المحظوظ ان الاشياء في العالم لا تمضي على نحو يعظ بها الكاهن، لأنه يوجد معنى قليل، مع ذلك، في الحياة، ولا يوجد هناك في موعظته معنى على الاطلاق.»

كيف يمكن للمرء أن يوضح تناقضا مثل تناقض ذلك الخطيب؟ هل لأن إبراهيم حصل على حق مكتسب بأن يكون رجلًا عظيمًا، بحيث إن كلّ ما يفعله، يكون عظيمًا، وعندما يفعل آخرٌ الشيء نفسه، يكون إثما، إثما صارخًا؟ على أي حال لا أرغب أن أُشارك بهكذا مديح غبي. إذا لم يستطع الإيمان أن يجعل قتل ولده عملًا مقدسًا، فلينزل الحكم ذاته على إبراهيم مثلما على أي شخص آخر. وإذا تنقص المرء الشجاعة أن يطبق فكرته، أن يقول، إن إبراهيم كان قاتلًا، فمن الأفضل بالتأكيد أن يمارس تلك الشجاعة بدلًا من إضاعة الوقت في خطابات بمدائح لا يستحقها. إن التعبير الأخلاقي عما فعله إبراهيم هو أنه أراد قتل إبراهيم؛ أما التعبير الديني فهو أنه أراد التضحية بإسحاق؛ لكن في هذا التناقض بالذات يكمن الفزع، الذي يمكن أن يجعل الإنسان في الحقيقة أرقا؛ ومع ذلك، فلن يكون إبراهيم، على ما هو عليه، دون هذا الفزع. أو ربما لم يقم إبراهيم إطلاقًا بما تقوله القصة، وربما كان ما فعله، في سياق ظروف عصره، شيئًا مختلفًا تمامًا. إذن دعونا ننساه. لأنه ما قيمة أن نتذكر ماضيًا لا يمكن استعادته في الحاضر؟ أو ربما قد نسى ذلك المتحدث شيئًا، الذي يعادل النسيان الأخلاقي، أن إسحاق كان الابن. بكلمات أُخرى، عندما يلغى الإيمان بجعله صفرًا أو لا شيء، فكل ما يتبقى هو الحقيقة القاسية، إن إبراهيم أراد قتل إسحاق، الذي يكون سهلًا للغاية لأي شخص بلا إيمان أن يقلده؛ أي الإيمان، الذي يجعل الأمر صعبًا له.

من جانبي لا تنقصني الشجاعة للتفكير بفكرة كاملة: فلم ترعبني أي فكرة حتى الآن، فلو واجهت فكرة كهذه، عندها آمل، إنني أملك على أقل تقدير الصدق لأقول: إنني أخاف من هذه الفكرة، إنها تثير شيئًا في داخلي

ولهذا لا أريد أن أفكر بها فلو كنت على خطأ بعمل هذا، سأنال عقابي بلا شك. لو أنني اعترفت بحكم الحقيقة، أن إبراهيم كان قاتلًا، فلست متأكدًا بأنني قادر على إخفاء تبجيلي له. لكن لو أنني فكرت بذلك، فمن المحتمل أنني سأبقى صامتًا، لأن على المرء أن لا يطلع الآخرين على مثل هذه الأفكار. مع ذلك، إبراهيم ليس وهما؛ وهو لم ينم حتى شهرته؛ وغير مدين لها بشيء إلى القدر.

هل يمكن أن يتحدث المرء عن إبراهيم بلا تحفظ، ومن دون أن يتعرض إلى خطر، أن يخرج فرد ما عن طوره ويفعل الشيء نفسه؟ إن لم أجرؤ على هذا، فسألتزم الصمت عن إبراهيم تمامًا، وعلاوة على كل شيء، لأن أقلل من شأنه على نحو يجعله بذلك، بالذات، أحبولة للضعيف. لو يجعل الفرد الإيمان كل شيء ـ أي أن يجعله إلى ما هو ـ فأنني أعتقد بالتأكيد، أنني أجرؤ أن أتحدث عنه من دون خطر في عصرنا، الذي نادرًا ما يكون مفرطًا في الإيمان، وبالإيمان فقط يحقق المرء المساواة مع إبراهيم، وليس عن طريق القتل. لو جعل المرء الحب مزاجًا عابرًا، مشاعرًا شهوانية في إنسان، فسينصب الشراك فقط إلى الضعيف، عندما يتحدث المرء عن مآثر الحب. لكل إنسان مشاعر عابرة بالتأكيد، لكن لو كل فرد لهذا السبب أراد القيام بأشياء مرعبة، التي قدسها الحب كصنيعة خالدة، فسيكون كل شيء خاسرًا، المأثرة وهذا الذي خُدِع.

سيكون من المسموح، إذن، التحدث عن إبراهيم، فلا يمكن إيذاء العظيم إطلاقًا، عندما يفهم في عظمته؛ إنه مثل سيف ذي حدين، الذي يقتل وينقذ. لو أُلقي على عاتقي أن أتحدث عنه، فسأبدأ بعرض، أي رجل مؤمن وخائف من اللّه كان إبراهيم، يستحق أن يسمى مختار اللّه. شخص كهذا

فقط يكون خاضعا لمثل هذا الامتحان؛ لكن من هو مثل هذا الشخص؟ بعد ذلك سأصف كيف أحب إبراهيم إسحاق. ومن أجل ذلك الهدف سأطلب من كل الأرواح الطيبة أن تقف إلى جانبي بحيث إن كل ما أقوله سيكون متوهجًا مثلما يكون حب الأبوي. وعندها آمل أن أصفه بطريقة، بحيث لا يوجد العديد من الآباء في ممالك وبلدان الملك، الذي يجرؤ الزعم على أنه أحب على هذا النحو. لكن إذا هو لم يحبه كما إبراهيم، فإن كل فكرة حول التضحية بإسحاق مضللة. أمكن المرء أن يتحدث حول هذا الموضوع في العديد من الآحاد، ولهذا ليس هناك حاجة للاستعجال. لو حُدِث بصورة صحيحة، عند ذاك ستكون النتيجة، أن بعض الآباء لم يطلبوا سماع المزيد، بل سيكونون سعداء حاليًا لو أنهم نجحوا حقًا أن يحبوا على هذا النحو، كما فعل إبراهيم. لو كان هناك أحد، بعد أن سمع عن العظيم وكذلك المخيف في صنيعة إبراهيم، تجرأ أن يسلك طريقه، عندها سأسرج حصاني وأرحل معه. عند كل محطة توقف وحتى نصل جبل الموريا سأشرح له أنه ما يزال بإمكانه العودة، يستطيع أن يندم على سوء الفهم، بأنه أُستدعي ليمُتحن في مثل هذا الصراع، ويستطيع أن يقر بافتقاره إلى الشجاعة، بحيث إن على الله نفسه أن يأخذ إسحاق، لو شاء. أنا على قناعة أن مثل هذا الإنسان لا يُرفض، أنه يمكن أن يكون مباركًا مع الآخرين جميعًا، لكنه لا يكون مباركًا في نطاق زمنٍ. هل يمكن تمرير حكم على هذا النحو، حتى في أكثر الأزمنة إيمانًا، على مثل هذا الإنسان؟ أعرف إنسانا كان باستطاعته أن ينقذ حياتي مرة لو كان شهمًا. قال بوضوح: «إنني أرى بصورة كافية ما أستطيع عمله، لكنني لا أجرؤ على هذا، أخاف أن تعوزني العزيمة لاحقًا، وأنني سأندم عليه.» لم يكن شهمًا، لكن من يكف عن حبه على ذلك الأساس؟

عندما تحدثت عندئذ بتلك الطريقة، وأثرت بالمستمعين، بحيث وعوا صراعات الإيمان الديالكتيكي وعاطفته الهائلة، فلن أكون مذنبًا بخطأ من جانب المستمعين، بحيث يعتقدون: أن لديه إيمان بدرجة عالية، بحيث إن كل ما علينا عمله هو أن نتمسك بأذيال معطفه.» فسأضيف بالتأكيد: «ليس لدي الإيمان البتة. أنا عقل ذكي بالفطرة، ولدى كل عقل مثل هذا صعوبات كبيرة دائمًا للقيام بحركة الإيمان، دون أن أسبغ مع ذلك *أية قيمة بذاتها على الصعوبة التي نقلت العقل الذكي من خلال التغلب عليها إلى النقطة التي يصلها الإنسان العادي والبسيط بسهولة أكبر.*

في الحقيقة لدى الحب كهنته في الشعراء، ويسمع المرء أحيانًا صوتًا يعرف كيف يبجله، لكنه لا يسمع أية كلمة عن الإيمان. مَن يتحدث تكريما لهذه العاطفة؟ تمضي الفلسفة قدما. الثيولوجيا تجلس متبرجة عند النافذة تتودد إحسانها، وتعرض إلى الفلسفة مفاتنها. من المفترض أن يكون فهم هيغل أمر صعب، لكن أن تفهم إبراهيم فهو قضية ليست ذات شأن. أن تتجاوز هيغل، هو عمل إعجازي، لكن أن تتجاوز إبراهيم فهو أسهل من كل شيء. كرست من ناحيتي أوقات عديدة لفهم الفلسفة الهيغلية، وأعتقد أيضًا أنني فهمتها إلى حد ما؛ وأنني جريء بصورة كافية للاعتقاد، أنني لا أستطيع أن أفهمه عند نقاط معينة، على الرغم من المشقة المبذولة، فأنه نفسه لم يكن واضحًا تمامًا. كل هذا أفعله ببساطة وبصورة طبيعية ومن دون أن يسبب لي أي إرهاق. لكن عندما يكون علي من جانب آخر أن أُفكر بإبراهيم فإنني أكون هالكًا. إنني أبصر في كل لحظة تلك المفارقة الهائلة التي هي محتوى حياة إبراهيم، وفي كل لحظة أصبح مُبعدًا، ولا تستطيع أفكاري، على الرغم من عاطفتها،

أن تتوغل فيها، ولا تتقدم قيد شعرة إلى الأمام. أجهد كل عضلة لكي أحصل على منظر، وفي اللحظة نفسها أغدو مشلولًا.

لست غريبًا عمّا نال الإعجاب في العالم باعتباره عظيمًا وشهمًا، ولهذا تشعر روحي بصلتي معه، وبكل تواضع أكون واثقًا أن القضية التي يكافح من أجلها البطل هي أيضًا قضيتي، وفي لحظة تأمل أهتف إلى نفسي: «الآن قضيتك معرضة للخطر.» [1]

أتصور نفسي في البطل، لكنني لا أستطيع أن أتصور نفسي في إبراهيم؛ عندما أبلغ تلك الذرى، أسقط، لأن ما قُدم لي هو مفارقة. أنا لا أستنتج في كل الاحوال، أن الإيمان هو شيء دوني، بل على العكس، أنه أسمى شيء، وأنه من غير المشرف للفلسفة أيضًا أن تقدم شيئًا آخرًا بدلًا عنه، وتستخف بالدين. لا يمكن للفلسفة وليس عليها أن تعطينا الإيمان، بل عليها أن تفهم نفسها، وتعرف فحسب ما الذي تقدمه، ولا تخفي أي شيء، ولا تخدع الناس على أقل تقدير بشيء لم يكن شيئًا. لستُ جاهلًا بمقتضيات الحياة ومخاطرها، ولا أخاف منها، وسأواجهها بثقة. لست جاهلًا بالمرعب، ذاكرتي زوجة مخلصة وخيالي، بعكس نفسي، خادمة صغيرة مثابرة التي تجلس بهدوء كل النهار في عملها، وفي المساء تتحدث على نحو جميل معي، بحيث علي أن أنظر إليها حتى وإن لم تكن هناك على الدوام مناظر أو أزهار أو «قصص رعوية» [2] ما ترسمها. لقد رأيت الرعب وجها لوجه، ولم أهرب منه بفزع، لكنني أعرف جيدًا جدًا رغم أني أواجهه بشجاعة، فأن

---

(1) في الاصل *Jam tua res agitur* اشارة الى رسائل هوراس، 84،18 ،1، «لكن سلامتك تكون معرضة الى الخطر، عندما يحترق بيت الجار»

(2) في الأصل Schafer – historier

شجاعتي هي ليست شجاعة إيمان ولا تقارن على الإطلاق به. لا أستطيع القيام بحركة الإيمان، لا يمكنني أن أغلق عيني وأنغمر بثقة في العبث، سيكون هذا مستحيل بالنسبة لي، لكنني لا أطري نفسي لذلك. أنا موقن بان اللّه هو الحب؛ تملك هذه الفكرة بالنسبة لي قيمة غنائية أصيلة. عندما تكون حاضرة عندي فإنني سعيد بصورة لا توصف، وعندما تكون غائبة فإنني أحن إليها بشدة أكبر من الحبيب إلى حبيبته. لكنني لا أملك إيمانا؛ هذه الشجاعة تنقصني. حب اللّه بالنسبة لي، سواء بمعنى مباشر أو على خلاف ذلك، *غير قابل للقياس* مع كل الواقع. عارفًا بأنني لست جبان كفاية بحيث أنوح وأتذمر، ولكنني أيضًا لست غدّارًا كفاية لأنكر أن الإيمان هو شيء أسمى بكثير. أستطيع أن تحمل بصورة جيدة العيش بطريقتي، أنا سعيد ومقتنع، لكن سعادتي هي ليست سعادة الإيمان وبالمقارنة بذلك، فأنه شقاء. لا أزعج اللّه بأحزاني الصغيرة، التفاصيل لا تقلقني؛ أنا أُحدق فقط بحبي وأُحافظ على لهيبه العذري نقيًا وصافيًا؛ الإيمان مقتنع أن اللّه قلق حول أصغر الأشياء. أنا راضٍ في هذه الحياة بزواج أيسَر[1]؛ الإيمان متواضع كفاية ليطالب بالإيمان[2]؛ ولأنه متواضع فلا أنكره ولن أنكره قط.

لكنني أستغرب فيما أن أحدًا من عصري قادر على القيام بحركة الإيمان؟ إذا لم أكن على خطأ، يميل معاصريَّ أن يكونوا فخورين بالقيام بما لا يعتقدوا حتى أنني على الأرجح قادر عليه، أعني، عدم الكمال. روحي ضد القيام بما يحدث هناك عادة، الحديث بصورة لا إنسانية عن العظمة كما لو أن بضع قرون من السنوات كانت مسافة شاسعة. أفضل

---

(1) ترجمة لـ Venstre hand بمعنى اليد اليسرى .

(2) den højer ترجمة حرفية

الحديث بصورة إنسانية عن العظمة. كما لوا أنها حدثت أمس، تاركًا العظمة ذاتها أن تكون المسافة التي أما تمجد أو تدين. إذًا أنا (بقدرة بطل تراجيدي، لا أستطيع الوصول إلى أعلى) أُمرت أن أقوم بمثل هذا الرحلة الملكية الاستثنائية مثل تلك الرحلة إلى جبل موريا، فإنني أعرف جيدًا جدًا ما الذي يمكن أن أفعله. لم أكن جبانًا كفاية للبقاء في البيت، ولا تلكأت أو تسكعت على الطريق أو نسيت السكين لكي بحيث أخلقُ بعضًا من التأخير؛ أنا متأكد تمامًا إلى أنني سأكون هناك بدقة في الموعد وكل شيء جاهز- وأكثر من ذلك، ربما وصلت بصورة مبكرة جدا لكي يُجرى كل شيء على وجه السرعة. لكنني أعرف أيضًا أي شيء آخر يمكن أن أفعله. في اللحظة التي امتطيت فيها الجواد، كنت سأقول لنفسي: «والآن ضاع كل شيء، اللّه يطلب إسحاق، وأنا أُضحي به، ومعه كل فرحي - ومع ذلك فإن اللّه هو الحب ويستمر كذلك بالنسبة لي.» ففي الحياة الدنيا لا نستطيع اللّه وأنا أن نتحدث معًا، لا نملك لغة مشتركة. ربما يوجد في زمننا شخص ما أحمقا للغاية، وحسودًا بصورة كفاية لما هو عظيم، بحيث يريد أن يوهم نفسه ويوهمني بالإيمان بأنني إذا فعلت هذا فعلًا، لكان بإمكاني أن أفعل شيئًا أعظم مما فعله إبراهيم؛ لأن استسلامي الجسيم كان أكثر مثالية وشعرية إلى حد بعيد من ضيق أفق إبراهيم. لكن هذا هو كليًا أكبر كذبة، لأن استسلامي الجسيم سيكون بديلًا عن الإيمان. لن أكون قادرًا على فعل أكثر من جعل الحركة اللامحدودة لكي أجد نفسي ثانية مستريحًا في نفسي. ولن أكون قد أحببت إسحاق كما أحبه إبراهيم. أما إنني كنت عازمًا على جعل الحركة فقد يبرهن على شجاعتي، بتعبير إنساني - أما أنني أحببته بكل روحي هو شرط مسبق دونه تصبح كل القضية جريمة، لكنني

مع ذلك لم أحب كما أحب إبراهيم؛ وإلا أكون قد ترددت في نفس اللحظة الاخيرة، من دون أن أصل مع ذلك متأخرًا جدًا إلى جبل موريًا. فضلًا عن ذلك، فقد كان يمكن أن أفسد بسلوكي كل القصة، لأنني لو استعدت إسحاق ثانية، لكنت عندئذ في وضع محرج. ما كان الأسهل لإبراهيم كان يمكن أن يكون صعبًا بالنسبة ـ أن أكون فرحًا بإسحاق ـ لأن هذا الذي بكل لانهائية روحه،» بموافقته وعلى مسؤوليته»[1] قام بالحركة اللانهائية ولا يستطيع القيام بالمزيد، يحتفظ بإسحاق بألم فقط.

لكن ماذا فعل إبراهيم؟ فهو لم يصل مبكرا جدًا ولا متأخرًا جدًا. إنما أمتطى الحمار، وقطع الطريق ببطء. وآمن في كلّ الوقت؛ آمن، إن اللّه لن يطلب إسحاق منه، مع أنه كان مستعدًا للتضحية به لو طُلب منه ذلك. لقد آمن بمقتضى اللامعقول، فلم يكن ممكنًا الحديث عن تقدير إنساني، وكان الأمر غير معقول بالتأكيد، أن اللّه الذي طلب هذا منه، سيسحب في لحظة لاحقة الطلب. تسلق الجبل، وكان لديه إيمان حتى في اللحظة التي لمعت فيها السكين ـ بأن اللّه لن يطلب إسحاق. كان مندهشًا حتما من النتيجة عندئذ، لكن بلغ عن طريق الحركة المضاعفة وضعه الأول، ولهذا استقبل إسحاق بفرح أكبر من المرة الأولى. دعونا نذهب أبعد. نسمح التضحية بإسحاق فعلًا. وكان إبراهيم مؤمنا. لم يؤمن، أن يكون مباركًا في زمن الآخرة، بل أن يكون سعيدًا في الدنيا. بوسع اللّه أن يمنحه إسحاق جديدًا، ويعيد ثانية الضحية المضحى بها إلى الحياة. لقد آمن بمقتضى اللامعقول، لأن كل الحسابات البشرية كفّت منذ فترة طويلة. من الواضح أن الحزن يمكن أن يجعل الشخص مريضًا نفسيًا، وهذا ما نراه، وهو صعب للغاية؛

---

(1) *باللاتنية* في الاصل هذا منه *Proprio motu et prpriis auspiciis*

ومن الواضح أيضًا أن هناك قوة إرادة يمكن أن تنجذب إلى الريح بقوة كبيرة بحيث تنقذ العقل، على الرغم من أن الإنسان يصبح غريبًا إلى حد ما، وهذا ما نراه أيضًا (ولست أنوي الاستخفاف بهذا). لكن أن يكون المرء قادرًا على فقدان عقله ومن ثم كلّ شيء نهائي، الذي يكون سمسار أسهمه، ومن ثم أن يربح بمقتضى اللامعقول النهائي نفسه، ثانية ـ فهذا يذعر روحي، لكن لذلك لا يجعلني أقول، إنه أمر تافه؛ طالما أنه، على خلاف ذلك، الأُعجوبة الوحيدة.

يرى المرء عادة، أن ما ينتجه الإيمان ليس عملًا فنيًا، وإنّما عمل فظ ومبتذل يناشد الطبائع الخرقاء فقط؛ مع أن الأمر أبعد من ذلك. ديالكتيك الإيمان هو أكثر سموًا وأكثر روعة من كل شيء، إنه يملك رفعة شأن أستطيع أن أصوغ عنه تصورًا، ولكن ليس أكثر. أستطيع أن أقوم بقفزة ترامبولين [1] كبيرة أعبر معها إلى اللانهائي، ظهري يشبه ظهر راقص حبال، اعوّج في طفولتي،[2] ولهذا يكون من اليسير لي؛ أستطيع العدّ؛ واحد، اثنان، ثلاثة، وأمشي على رأسي في الحياة، لكنني لا أستطيع القيام بالشيء التالي، لأنني لا أستطيع القيام بالمعجز، بل أندهش تجاهه فحسب. في الحقيقة، لو أن إبراهيم قد قال لنفسه، في اللحظة التي ألقى ساقه على ظهر الحمار: الآن فُقِد إسحاق، كنت أستطيع أن أُضحي به هنا في البيت أيضًا بدلًا من الرحلة الطويلة إلى موريا» ـ إذن، لا أحتاج إلى إبراهيم، بينما أنحني الآن إلى اسمه سبع مرات وإلى صنيعه سبعون مرة.[3] لم يفعل هذا، ما أستطيع

(1) بمعنى قفزة في الهواء يقوم بها عادة البهلوان لإمتاع الجمهور
(2) إشارة إلى حدث تعرض له كيركورد في طفولته وعرضه إلى عاهة
(3) انظر الإنجيل، متي، 18:21

عليه، أنه كان فرِحًا بتلقي إسحاق، فرح قلبي صادّق، بحيث إنه لم يكن يحتاج إلى أي تحضير، ولا أي وقت ليهيئ نفسه إلى النهائي وفرحه. لو لم يكن الأمر كذلك مع إبراهيم، لربما كان قد أحب عندئذ اللّه، لكنه لن يكون لديه إيمان؛ لأن من يحب اللّه من دون إيمان، يتفكّر في نفسه، بينما الشخص الذي يحب اللّه بإيمان يتبصر في اللّه.

عند هذه الذروة يقف إبراهيم. أما المرحلة الأخيرة التي تغيب عن بصره هي الإذعان المطلق. لقد مضى في الحقيقة أبعد وبلغ الإيمانَ؛ لأن كل تلك التصورات المحرّفة عن الإيمان ـ البلادة الفاترة، البائسة التي تفكر: ليس هناك حاجة ملحة، وليس هناك قيمة للحزن قبل الأوان»، يقول الأمل الجدير بالاحتقار» لا يعلم المرء ما سيحصل، فقد يكون الأمر ممكنا على كل حال ـ تلك التصورات المحرّفة هي من صميم تفاهة الحياة، وقد احتقرها الإذعان اللانهائي بصورة لانهائية فعلًا.

لا أستطيع فهم إبراهيم، لا أستطيع بمعنى محدد أن أتعلم أي شيء منه سوى أن أندهش. لو أن أحدًا يوهم نفسه بالتفكير أنه يمكن أن ينتقل إلى الإيمان عن طريق التأمل بنتيجة تلك القصة، فأنه سيخدع نفسه، وسيخدع اللّه عن حركة الإيمان الأولي؛ أنه سيفرغ الحكمة الدنيوية من المفارقة. ربما ينجح أحد ما؛ لأن زمننا لا يبقى ساكنا عند الإيمان، ولا عند معجزته، أن يحوّل الماء إلى نبيذ، أنه يمضي إلى أبعد، فيجعل النبيذ ماءً.

ألا يكون من الأفضل، أن تتوقف عند الإيمان، أو ليس هذا مفزعًا، إن كل شخص يريد أن يمضي إلى أبعد؟ عندما لا يريد الإنسان في زمننا أن يبقى واقفًا عند الحب، ويجري الوعظ عن هذا بطرق مختلفة، فإلى أين ستصل الأمور عندئذ؟ إلى حكمة دنيوية، إلى حساب صغير، إلى تفاهة وخسّة، إلى كل

ذلك الذي يجعل أصل الإنسان الإلهي في شك؟ أليس من الأفضل أن تبقى واقفًا عند الأيمان، وبالنسبة لهذا الذي يقف لينظر إليه بحيث أنه لا يسقط؛ لأنه ينبغي جعل حركة الإيمان باستمرار بمقتضى اللامعقول، لكن مع ذلك بطريقة، أرجوك أن تلاحظ، أن الفرد لا يفقد المتناهي بل يحصل عليه كاملًا وسالمًا. أستطيع من جهتي على ما يبدو أن أصف حركات الإيمان، ولكن ليس بوسعي عملها. عندما يريد الإنسان أن يتعلم حركات السباحة، فعليه أن يتدلى بحزام تحت السقف، ومن المفترض عندئذ أن يصف الحركات، لكنه لا يسبح. وعلى هذا النحو أستطيع أن أصف حركات الإيمان، لكن عندما يُلقى بي في الماء، فحينها على الأرجح سأسبح (لأنني لا أنتسب إلى الخوّاضين)، لكنني أقوم بحركات أُخرى، أقوم بحركات للانهائية، بينما يقوم الإيمان بالمعاكس، يقوم، بعد أن يقوم بحركات لا نهائية، بحركات نهائية. محظوظ هو الفرد الذي يقوم بتلك الحركات، فأنه يقوم بالمعجزة، وعليّ أن لا أتعب أبدًا من احترامه، فيما إذا كان إبراهيم أو الخدم في بيت إبراهيم، فيما كان أستاذ فلسفة أو خادمة فقيرة ـ فهذا بالنسبة بنسبة لي غير ذي بال على الإطلاق، إذ إنني أنظر إلى الحركات فقط. لكن تلك أنظر إليها أيضًا، ولن أسمح لنفسي أن أكون أحمقًا لا بواسطتي ولا بواسطة شخص آخر. إن فرسان الإذعان اللانهائي يمكن التعرف عليهم بسهولة ـ مشيتهم خفيفة لكن ثابتة. لكن أولئك الذين يلبسون جوهرة الإيمان يمكن أن يخيبوا على الأرجح، لأن مظهرهم الخارجي يحمل شبهًا جديرًا بالملاحظة مع *ضيق الأفق البرجوازي الصغير*[1]، التي يزدريها الإذعان اللانهائي والإيمان بعمق.

(1) ترجمة غير حرفية لمفردة Spidsborgerlighed التي لا يوجد لها مقابل بالعربية والتي تعني ضيف الأفق البرجوازي الصغير

أعترف بصدق، لم أعثر في تجربتي على بعض الأمثلة الموثوقة، دون أن أنكر لهذا السبب، أن من الممكن أن يكون كل واحد من بين اثنين مثل هذا النموذج. بينما كنت مع ذلك أبحث عنه ولعدة سنوات، لكن بلا جدوى. يسافر الناس عادة حول العالم لكي يروا الأنهار والجبال، وكواكبًا جديدة، طيورًا بألوان صارخة، سمكًا غريبًا، أجناس بشرية مضحكة، فيستسلم المرء إلى خدر حيواني مفاجئ[1]، الذي يحدق بالحياة، ويعتقد أنه شاهد شيئًا. أنا لست منشغلًا بهذا. لكن لو أنني عرفت أين عاش فارس الإيمان هذا لرحلت إليه مشيًا على الأقدام، لأن هذه الأُعجوبة تشغلني بشكل مطلق. وما تركته لحظة واحدة، بل راقبته كل دقيقة كيف يقوم بالحركات؛ ولاعتبرت نفسي مهتما بالحياة، ولو وزعت وقتي بين مراقبته وبين ممارستي التمارين بنفسي، وعلى هذا النحو أنفق كل وقتي بتبجيله. كما قلت، لم أعثر على مثل هذا الشخص؛ مع ذلك، أستطيع أن أتخيله بصورة جيدة. إنه هنا. تم التعارف، وتم تقديمي إليه. في اللحظة نفسها التي وقعت نظرتي عليه أبعدته على الفور عني، أقفز إلى الخلف، أضرب يدًا بيد وأقول بصوت مرتفع قليلًا: يا إلهي الطيب! هل هذا هو الإنسان، هل هذا هو حقًا، أنه يبدو في الواقع مثل موظف بلدية.[2] لكن هذا هو في الواقع. اقترب منه أكثر، أراقب أقل حركة لأرى فيما إذا تظهر جزءًا صغيرًا من رسالة برقية متنافرة من اللانهائي، نظرة، تعبير وجه، إشارة، أسى، ابتسامة خانت اللانهائي في تناقضه مع النهائي. كلا أنني أتفحص شكله من قمة الرأس إلى أخمص قدميه لأرى إن يكن هناك صدع يختلس من خلاله اللانهائي نظرة.

---

(1) ترجمة لـ Stupor

(2) ترجمة لمفردة Rodermester لا تستخدم حاليًا في اللغة الدانماركية الحديثة.

كلا! أنه صلد من أوله إلى آخره. موضعه؟ قوي، ينتمي كليا إلى النهائي، لا يخطو أيّ رجل متمدن ذي مظهر حسن على الأرض بعد ظهر يوم أحد في فرديركسبيرغ،[1] بثبات أكبر. إنه ينتمي كليًا إلى العالم، لا ينتمي أيّ برجوازي صغير ضيق الأفق إليه أكثر. لا شيء يكون قابلًا لاكتشاف ذلك الكائن الغريب والنبيل الذي يعرف المرء من خلاله الفارس اللانهائي. إنه يفرح بكل شيء، ويشترك في كل شيء، وكل مرة يراه الإنسان يساهم في شيء ما، يحدث هذا بالإصرارِ الذي يسم الإنسان الدنيوي، الذي تتمسك روحه بثبات بهذا الشيء. إنه يهتم بعمله. وعندما يراه المرء حينئذ، سيظن أنه كان ورّاقًا الذي خسر روحه إلى محاسب إيطالي، إلى هذا الحد كان مضبوطًا. يأخذ عطلًا في الآحاد. يذهب إلى الكنيسة. لا تخونه أية نظرة سماوية أو أي علامة أخرى *غير قابلة للقياس*؛ لو لم يعرفه أحد، لكان من المستحيل تمييزه عن بقية الحشد؛ لأن أُغنيته للمزمور القوية المعافاة، تبرهن بقدر عال على أن لديه صدرًا جيدًا. بعد الظهر يذهب إلى الغابة. وهو يغتبط لكل شيء يراه؛ حشود الناس، الحافلات الجديدة[2]، الصوت. سيعتقد المرء عندما يلتقيه على طريق الساحل أنه روح تجارية يمتع نفسه. إنه يجد الفرحة بهذه الطريقة بالضبط؛ لأنه ليس شاعرًا، وقد سعيت عبثًا أن أستدرج منه اللامقايسة الشعرية. باقتراب المساء يذهب إلى البيت، خطواته متعبة مثل خطوات ساعي البريد. في الطريق يفكر، أن زوجته ستعمل له حتما طبقًا حارًا صغيرًا خاصًا عندما يعود إلى البيت ـ مثلًا رأس خروف

---

(1) منطقة جزء من محافظة كوبنهاكن

(2) دخلت هذه الباصات التي تجرها الخصن إلى كوبنهاكن قبل صدور كتاب «الخوف والرعشة» بثلاث سنوات.

مشوي مع خضروات. لو أنه التقى بمثيله، لواصل الحديث معه كل الطريق حتى أوستبورت[1]، حول هذه الوجبة بشغفٍ يناسب صاحب مطعم. من المصادفة أنه لا يملك أربعة قروش،[2] ومع ذلك يعتقد برسوخ أن زوجته أعدت وجبة الطعام اللذيذة تلك له. فإذا فعلت هذا، فسيكون منظره وهو يأكل عندئذ موضع حسد من النخبة والإنسان العادي، لأن شهوته أقوى من عِيسو.[3] لكن لم يكن لدى زوجته هذا ـ غريب للغاية ـ ويكون نفسه تمامًا. في الطريق يمر بموقع بناء ويلتقي برجل آخر. يتحدثان للحظة معًا، يبنى عمارة في لمح البصر، فتحت تصرفه كل القِوى التي يحتاجها لذلك. يتركه الغريب وهو يحمل فكرة: كان رأسماليا بالتأكيد،» على حين يفكر فارسي الموقر: حسنا، لو وصل الأمر إلى ذلك، فإنني أستطيع الحصول عليه بسهولة. يجلس عند نافذة مفتوحة وينظر إلى المنطقة التي يعيش فيها، وإلى كل شيء كان يحدث ـ إلى جرذ يتسلل تحت غطاء البالوعة، إلى أطفال يلعبون، فكل شيء يشغله بهدوء في الحياة، كأنه كان فتاة ذات 16 عامًا. ومع ذلك فهو ليس عبقري.؛ لأنني سعيت أن أترصد عبثًا تفرد العبقري فيه. يدخن غليونه في المساء، عندما يراه المرء سيقسم أنه كان أمام قصاب الذي يحيا حياة خمول في المساء. وهو يدع كل خمسة تساوي واحدًا مطمئنا، كأنه كان كسولًا خاليًا من الهم ومع ذلك يشتري كل لحظة، يحياها، الوقت الملائم بأغلى سعر، لأنه لا يفعل أقل شيء إلا بمقتضى اللامعقول. ومع ذلك، مع ذلك، ـ نعم، يمكنني أن أكون غاضبًا

(1) منطقة في كوبنهاكن

(2) هذه ترجمة غير حرفية فقد كانت العملة اسمها «دِيله» في عهد كير ككورد

(3) Esaus انظر الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين،25 ، 29 – 34

حول ذلك، إن لم يكن لسبب آخر، فبسبب الحسد ـ ومع ذلك فإن هذا الإنسان قد فعل ويقوم في كل لحظة بحركة اللانهاية. إنه يفرّغ في الإذعان اللانهائي حزن الوجود العميق، إنه يعرف غبطة اللانهائي، لقد أحس بألم العزوف عن كل شيء، العزيز الذي لديه في العالم، ومع ذلك، فطعم اللانهائي هو جيد إليه مثلما إلى هذا الذي لا يعرف أي شيء أسمى، لأن بقاءه في النهائي ليس له أي أثر لملل مفزع مرعوب، ومَع ذلك فلديه هذا الاطمئنان الذي يجعله مبتهجًا فيه كما لو أن النهائي كان أكثر حكمة من الكل. ومع ذلك، مع ذلك، كل الشخصية الأرضية التي يقدمها هي خلق جديد على أساس اللامعقول. لقد أخضع كل شيء بصورة لانهائية، من ثم أدرك كل شيء بمقتضى اللامعقول. إنه يقوم بحركة لانهائية باستمرار، لكنه يعملها على نحو دقيق وثقة، بحيث إنه يحصل باستمرار على النهائي منها، ولا أحد يشك أبدًا بأي شيء آخر. يفترض أن تكون أعظم مأثرة لراقص باليه القفز بوضعية خاصة بهذه الطريقة بحيث إنه لن يتعب أبدًا، لكنه يتظاهر بالوضعية في القفزة نفسها. ربما لا يوجد هناك راقص باليه يستطيع أن يقوم بها ـ لكن هذا الفارس قام بها. أكثر الناس تعيش منهمكة تمامًا في أحزان وأفراح دنيوية؛ فهم احتياط الذين لا يشاركون في الرقص. فرسان اللانهائي هم راقصو باليه ولهم رفعة شأن. يقومون بالحركة إلى الأعلى ثم يهبطون ثانية، وهذه أيضًا ليست تسلية محزنة ولا كريهة أن تنظر إليها. لكن كل مرة يهبطون، لا يستطيعون أن يتخذوا الوضعية على الفور، إنهم يتمايلون للحظة، ويظهر هذا التمايل بأنهم طارئين في العالم. ربما يكون هذا بادٍ قليلًا أو كثيرًا طبقًا لموهبتهم، لكن لا يستطيع حتى أكثر الموهوبين من أولئك الفرسان أن يخبئ هذه التمايل. لا يحتاج المرء أن

يراهم في الهواء، يحتاج المرء أن يراهم فحسب في اللحظة التي يصلون فيها ويلمسون الأرض ـ ومن ثم يعرفهم. لكن أن تتمكن من النزول على نحوٍ بحيث يبدو للحظة كما لو أن الفرد ينهض ويمشي، ويغير القفزة في الحياة إلى مسير، وليعبر بصورة مطلقة عن الجليل في السير ـ وحده ذلك الفارس الذي يمكنه القيام به ـ وهو الشيء الوحيد والمدهش فحسب.

مع ذلك بوسع هذا المدهش أن يخدع بسهولة بحيث إن عليّ أن أصف الحركات في حالة خاصة يمكن أن تبين علاقاتها بالواقع، فهذه هي القضية المركزية. يقع فتى في حب أميرة، يكمن كل مغزى حياته في هذا الحب، بالرغم من أن العلاقة هي على نحوٍ بحيث لا يمكن تحقيقها ممكنًا، ومن المستحيل ترجمتها من المثالي إلى الواقعي.)[1] من الطبيعي أن يصرخ عبيد النهائي، الضفادع في مستنقع الحياة، يصرخون بالطبع: ذلك نوع من الحب هو حماقة؛ والأرملة صانعة الجعة الغنية هي صنو جيد وقوي تمامًا.» دعهم ينقنقون بلا إرباك في المستنقع. هذا ليس أسلوب فارس الإذعان اللانهائي، فهو لا يتخلى عن الحب، ولا حتى لكل مجد العالم. إنه ليس أحمقًا. إنه يضمن لنفسه أولًا، أن هذا هو حقًا مضمون حياته، وأن روحه سالمة وفخورة جدًا لتفرط بأقل شيء على سُكرة. إنه ليس جبانًا، ولا يخاف أن يدع حبه يتغلغل في أسراره، ويدع أكثر أفكاره القصية أن تلتف وتضفر نفسها جدائل لا حصر لها حول كل عصب من وعيه ـ لو

---

(1) وغني عن البيان أن أي مصلحة أخرى ركز فيها الفرد كل الواقع الحقيقي، يمكن، إذا تبين أنها غير ممكنة التحقيق، تحض على حركة التسليم. اخترت قصة حب لأبين الحركات، لأن هذه المصلحة تكون أكثر سهولة للفهم بلا شك، وبهذه الطريقة تعفيني من كل التقديرات الأولية التي أمكن أن تكون مثار قلق، بمعنى عميق، لعدد قليل جدًا من الأفراد فقط.

يصبح الحب تعيسًا، فلن يكون قادرًا أبدًا على أن ينتزع نفسه منه. وهو يشعر بنشوة سعيدة حين يدع الحب يُرجف كل عصب من أعصابه، ومع ذلك فروحه مهيبة مثل روح هذا الذي شرب كأس السم ويشعر باختراق الشراب لكل قطرة دم ـ لأن هذه هي لحظة حياة وموت. عندما ينهمك على هذا النحو بهذا الحب وينغمر فيه، فلا تعوزه الشجاعة عندئذ كي يحاول ويخاطر بكل شيء. إنه يتفحص كلّ ظروف حياته، يجّمع الأفكار السريعة التي تطيع مثل حمامات مدربة كل إشارة، يلوّح بعصاه إليها، فتندفع في كل الاتجاهات. لكن عندما تعود كلها الآن، كلها كرسالة حزن وتوضح له أن هذا مستحيل، يصبح حينئذ هادئًا، ويصرفها، يبقى وحيدًا، ثم يقوم بالحركة. لو أن ما أقوله هنا يكون له أي معنى، تكون القضية حينئذ أن الحركة بصورة طبيعية.[1]

وعليه سيكون لدى الفارس أولًا القوة لتركيز كل مضمون الحياة ومعنى الواقع في أمنية واحدة. فاذا يفتقر الإنسان إلى هذا التركيز، فستكون روحه مبددة من البداية على المتعدد، ومن ثم فإنه لن يقدر على القيام بالحركة

---

(1) *تتطلب العاطفة لهذا الأمر. تحدث كل حركة لانهائية بالعاطفة، ولا يمكن لأي تأمل أن ينتج حركة. وهذه هي القفزة المستمرة في الوجود التي تفسر الحركة، بينما التأمل هو وهم عقلي، الذي يفترض عند هيغل أن يفسر كل شيء والذي هو أيضا الشيء الوحيد الذي لم يحاول أبدا أن يفسره.* مجرد أن تقوم بتمييز سقراطي الشهير بين ما يفهمه المرء وما لا يفهمه يتطلب عاطفة؛ وحتى أكثر من ذلك، طبعًا (العاطفة ضرورية لكي) للقيام بالحركة السقراطية الأصيلة، حركة الجهل. ما يفتقر اليه عصرنا ليس التأمل بل العاطفة. لهذا فان عصرنا، بمعنى ما، هو في الواقع متشبث بالحياة جدًا بحيث لا يريد الموت، لان الموت هو أكثر القفزات لافتة للنظر، وقد جذبتني قصيدة قصيرة كثيرًا جدا لأن الشاعر، بعد عن عبر بجمال وببساطة رغبته إلى الأشياء الجميلة في الحياة بأربعة أو خمسة أسطر ختمها كما يلي:

قفزة مباركة في الخلود Ein seliger Sprung in die Ewigkeit

أبدًا؛ ويعمل بدهاء في الحياة كما يتعامل رجال الأعمال، الذين يضعون أموالهم في كل الاستثمارت المختلفة ليربحوا من واحدة لو أنهم خسروا في أُخرى ـ باختصار، إنه ليس فارسًا. ثانيًا، يريد الفارس أن يملك قوة ليركز خاتمة كل تفكيره على عمل واحد للوعي. لو يفتقر إلى هذا التركيز، فستتوزع روحه منذ البداية، ومن ثم لن يكون له الوقت إطلاقا للقيام بالحركة، ولن يجد الوقت أبدًا للقيام بالحركة؛ وسيعدو باستمرار لأداء مهمة في الحياة، ولن يدخل إطلاقا في الخلود؛ لأنه حتى في اللحظة التي يكون قريبًا منها، سيكتشف فجأة أنه قد نسي شيئًا ما وأن عليه أن يعود. سيفكر في اللحظة التالية، أنه ممكن، وهذا صحيح تمامًا؛ لكن المرء لن يقوم عبر مثل هذه التأملات بالحركة أبدًا، بل سيغوص بمساعدتها أعمق وأعمق في الوحل.

من ثم، يقوم الفارس بالحركة، لكن أية حركة؟هل يريد أن ينساها كلها، لأن هذا أيضًا يشكل ضربًا من التركيز؟ كلا! لأن الفارس لا يناقض نفسه، وهو تناقض أن ينسى كل محتوى حياته ومع ذلك يبقى نفسه. إنه لا يشعر بأي ميل ليصبح شخصًا آخرًا، ولا يعدّ بأي حال هذا الأمر كشيء عظيم. الكائنات المنحطة فقط تنسى نفسها وتصبح شيئًا جديدًا. وعلى هذا النحو، فقد تنسى الفراشة تمامًا أنها كانت يرقة، وربما يمكنها أن تنسى ثانية، إنها كانت فراشة بصورة كاملة جدًا، بحيث يمكن أن تصبح سمكة. أما الكائنات العميقة فلا تنسى نفسها أبدًا ولا تصبح أبدًا شيئًا آخرًا مما كانت عليه. ولهذا سيتذكر الفارس كل شيء؛ لكن هذه الذكرى هي الألم بذاته، ومع ذلك فإنه يكون في الإذعان اللانهائي متصالحًا مع الوجود. أصبح حبه إلى تلك الأميرة بالنسبة إليه تعبير عن حب أبدي، واتخذ طابعًا دينيًا، وتجلى في

حب إلى الكائن الخالد، الذي أنكر فعلًا الإداء، لكن صالحه مع ذلك مرة أخرى في الوعي الخالد حول مصداقيته بشكل أبدي، بحيث لا يستطيع أي واقع أن يأخذه منه. يقول الحمقى والشباب أن كل شيء يكون ممكنا للإنسان. لكن ذلك خطأ بصورة إجمالية. كلّ شيء يكون ممكنًا من وجهة نظر روحية، لكن في العالم المحدود فهناك الكثير الذي لا يكون ممكنًا. مع ذلك يجعل الفارس هذا المستحيل ممكنًا بالتعبير عنه روحيًا، لكنه يعبر عنه من خلال التخلي عنه. الأمنية، التي أرادت أن تفضي به إلى الواقع، لكن التي استقرت عند المستحيل، تنعطف الآن نحو الداخل، لكنها لم تُفقد لذلك السبب ولم تنسَ أيضًا. إنها عواطف الرغبة المبهمة فيه أحيانًا، التي توقظ الذكرى، وفي أحيان أُخرى، فهو نفسه الذي يوقظها، فهو من الأنفة جدا بحيث يكون راغبًا للسماح بما كان كل محتوى حياته، ليكون قضية لحظة عابرة. إنه يحافظ على هذا الحب شابًا، وهو يكبر معه في السنوات والجمال. لكنه لا يحتاج، بالمقابل، إلى فرصة محددة لنموها. فمنذ اللحظة التي يقوم بها بالحركة تكون الأميرة مفقودة. إنه لا يحتاج إلى تلك المداعبات الإيروتيكية لدى رؤية الحبيبة إلخ، ولا هو بحاجة بمعنى محدد أن يودعها باستمرار، لأنه بمعنى خالد يتذكرها، ويعرف جيد جدًا، أن العشاق، الذين يكونون متلهفين لرؤية أحدهم الآخر للمرة الأخيرة ليقولوا وداعًا مرة أُخرى، لهم الحق أن يكونوا متلهفين، الحق أن يفكروا، أنها ستكون المرة الأخيرة؛ لأنهم سينسون بعضهم بعضا الآخر قريبًا. لقد أدرك السر العميق أن على المرء حتى في حب شخص آخر أن يكون ذاته حقًا. ولا يولي المزيد من الاهتمام النهائي لما تفعل الأميرة، وهذا يبرهن بالذات على أنه قد جعل الحركة لانهائية. هنا لدينا الفرصة كي نرى فيما أن

الحركة لدى الفرد أصلية أم مزورة. كان هناك من اعتقد، أنه قام بالحركة أيضًا، لكن انظر فقد مر الوقت، وقامت الأميرة بشيء آخر ـ تزوجت، مثلًا، من أمير ـ وفقدت روحه حينها مرونة الاستسلام.[1] وعليه عرف، أنه لم يقوم بالحركة بصورة صحيحة؛ فبالنسبة لهذا الذي استسلم بصورة لانهائية سيكون كافيًا لنفسه. لم يلغِ الفارس استسلامه، إنه يحافظ على حبه شابا تماما مثلما كان في اللحظة الأولى؛ إنه لن يتركه أبدًا، لأنه قد قام تحديدًا بالحركة بصورة لانهائية. ما تفعله الأميرة لن يتمكن من إزعاجه، فقط الكائنات المنحطة فقط التي تستمد قانون نشاطاتها من شخص آخر، وتقع مسلمات أفعالها خارج ذواتها. لو تكن الأميرة، على خلاف ذلك، بنفس المزاج فعندئذ يظهر شيء جميل. حينها ستنظم إلى نظام الفروسية، الذي لا يقبل فيه الأعضاء عن طريق الاقتراع السري، بل الذي يكون فيه عضوًا كل من لديه الشجاعة ليسجل نفسه في نظام الفروسية، الذي يبرهن فيه على خلوده، من خلال عدم التمييز بين الرجل والمرأة. هي ستحافظ أيضًا على حبها شابًا وسالمًا، وهي ستنتصر على فزعها، حتى وإن لم، كما تقول الأغنية الشعبية، «كل ليلة تضطجع إلى جانب سيدها».[2] هذان الاثنان يكونان منسجمان إلى الأبد *بانسجام مثبت مسبقا* [3]، بحيث لو أن اللحظة تحل ذات يوم ـ لحظة، التي مع ذلك لا تشغلهما نهائيًا، لأنهما

---

(1) يزعم أن كيركجورد كتب هذا بعد سماعه خطبة ريجينا، الحادثة التي تسببت له بإعادة كتابة خاتمة التكرار بطريقة بحيث ستلمّح لها بموافقته. الواقع أن هذه المقطع وضع رد كيركجورد على الخطبة بالأحرى في ضوء مغاير سيبين أن كتاب «الخوف والرعشة» كتب بعد التكرار، على الرغم من الترتيب الذي يظهران فيه في الأعمال الكاملة يكون مغايرًا.

(2) من اغنية دانماركية شعبية

(3) في الاصل *Harmonia praestabilita*

عندئذ سيشيخان ـ لو ذات مرة حلت اللحظة، التي سمحت أن تمنح الحب تعبيره في الزمن، حينها سيكون بوسعهما البدء هناك بالضبط، حيثما أرادا أن يبدآ، لو كانا متحدين أصلًا. هذا الذي يفهم هذا، سواء يكون رجلًا أو امرأة، لا يمكن أبدًا خداع فالكائنات الواطئة فقط، التي توهم نفسها، أنها خدعت. لا توجد فتاة لا تملك هذا الكبرياء تفهم حقًا ماذا يعني أن تحب، لكن إن تكن أبيّة جدا، فلن تتمكن كل حيل العالم والدهاء أن تخدعها.

في الاستسلام اللانهائي يكون هناك سلام وراحة؛ كل إنسان يبتغي هذا، الذي لم يذلّ نفسه بازدراء نفسه ـ وهو أمر يكون أكثر فظاعة من أن يكون متكبرًا جدًا ـ وأن يحطّ من نفسه، يمكن أن يدرب نفسه للقيام بهذه الحركة، التي تتصالح في ألمها مع الوجود. الاستسلام اللانهائي هو ذلك القميص في الحكاية الخرافية القديمة. يغزل الخيط بالدموع، ويبيّض بالدموع، والقميص يخاط بالدموع، لكنه عند ذاك يحمي بصورة أفضل أيضًا من الحديد والصلب. الخلل في الحكاية هو أن عنصرًا ثالثًا قادرًا على عمل الملابس. السر في الحياة هو أن على كل فرد أن يحيك هذا بنفسه؛ والشيء اللافت للنظر هو أن الرجل يستطيع أن يُحيكه مثل المرأة تمامًا. في الاستسلام اللانهائي هناك سلام وراحة وسلوان في الألم، ويمكن القول، عندما يُقام بالحركة بصورة طبيعية. لم يكن صعبًا بالنسبة لي، مع ذلك، أن أكتب كتابًا كاملًا، عندما أريد أن أعرض بالتفصيل الالتباسات المختلفة، والمواقف الخرقاء، والحركات غير المتقنة التي واجهتها في تجربتي القصيرة فقط. هناك إيمان قليل جدًا بالروح، ومعٌ ذلك فإن الأمر الجوهري للقيام بهذه الحركة يتعلق بالضبط بالروح. ومن الجوهري أن

لا يكون نتيجة لإكراه *ضرورة قاسية* [1] من جانب واحد»، فكلما كان هذا حاضرًا، يصبح مشكوكًا به دائما أن تكون الحركة طبيعية. عندما يرى المرء على هذا النحو، أن الضرورة الباردة العقيمة ينبغي أن تكون موجودة بصورة ضرورية، حينها يقول المرء عليه، أن لا يجرب أحد الموت، قبل أن يموت فعلًا، وهذا يبدو لي مادية مسرفة. مع ذلك، فالناس أقل اهتمامًا في عصرنا للقيام بحركات خالصة. إذا كان شخص ما أراد أن يتعلم الرقص، توجب عليه القول: لقرون من السنوات جيل بعد جيل تعلم أوضاع الرقص، وآن الأوان أن أغتنم الفرصة من هذا وأبدأ على الفور *برقص مشترك من النوع المبهج* [2] ـ سيضحك الناس على الأرجح قليلاً عليه؛ لكن هذا في عالم الروح هو أمر مقبول منطقي. ما هي التربية إذن؟ أعتقد أنها كانت حلقة دراسية يمر بها الفرد لكي يدرك نفسه؛ وهذا الذي لا يريد أن يمرّ في هذه الحلقة الدراسية، فلن يعينه كثيرًا أنه ولد في أكثر عصر متنور.

الاستسلام اللانهائي هي المرحلة الأخيرة قبل الإيمان، لهذا فإن كل فرد لم يقم بهذه الحركة، ليس لديه إيمان؛ لأنه في الاستسلام اللانهائي فقط أصبح واعيًا لحقيقتي الأبدية، وعندها فقط يمكن الحديث عن فهم الوجود بمقتضى الإيمان.

والآن دعونا نلتقي بفارس الإيمان بالمناسبة التي أشرنا إليها سابقًا. إنه يقوم بنفس ما فعله الفارس الآخر تمامًا، أنه يتخلى بشكل لانهائي عن الحب، الذي هو محتوى حياته، فقد تصالح في الألم؛ لكن تحدث عندئذ الأعجوبة، إذ يقوم بحركة إضافية حتى أكثر روعة من كل الحركات، لأنه

---

(1) باللاتينية في الاصل Dira necessitas

(2) في الأصل francaiser

يقول: مع ذلك لدي اعتقاد أنني سأحصل عليها ـ أي، بمقتضى اللامعقول بالذات، وبمقتضى حقيقة أن كل شيء بالنسبة إلى اللّه ممكن.

لا ينتمي اللامعقول إلى الاختلافات التي تقع ضمن الإطار المناسب للإدراك. أنه لا يتطابق مع غير المحتمل، اللامتوقع، غير المرئي. ففي اللحظة التي استسلم فيها الفارس، كان مقتنعًا بالمستحيل، وبتعبير إنساني؛ ذلك كان استنتاج العقل، وكان يملك طاقة كافية للتفكير به. لكن، بالمعنى اللانهائي كان ذلك ممكنا، أي، من خلال التنازل عنه؛ لكن هذا التملك هو في كل الأحوال تنازل أيضًا. مع ذلك فإن هذا التملك بالنسبة للعقل فإن هذا التملك ليس لامعقولا، إذ يستمر العقل بأن يكون صحيحًا في التمسك بأنه في العالم المحدود حين يهيمن هذا التملك كان ويستمر أن يكون مستحيلًا. وقد أدرك فارس الإيمان هذا بوضوح تمامًا؛ ومن ثم، يمكن انقاذه بواسطة اللامعقول فقط، وقد وعى هذا بالإيمان. بالنتيجة فإنه يقرّ المستحيل، وفي اللحظة نفسها فإنه يؤمن باللامعقول، فلو أنه يريد أن يتصور أنه يملك إيمانًا دون أن يعترف بالمستحيل بعاطفة من كل قلبه وروحه، فإنه يخدع نفسه، ولن يكون لشهادته وزن في أي مكان، طالمًا أنه لم يبلغ حتى الاستسلام اللانهائي.

لأن الاستسلام يكون بالضبط سابقًا، لا يكون الإيمان لهذا السبب عاطفة جمالية، بل شيئًا أسمى، إنه ليس غريزة القلب العفوية بل مفارقة الوجود. عندما تؤكد فتاة على هذا النحو رغم كل الصعوبات التي تواجهها أن أمنيتها ستتحقق حتمًا، فإن هذه الثقة هي على أي حال ليست هي ثقة الإيمان، حتى وإن تكون تربية والدين مسيحيين، وربما لديها تعليمات تعميد لعام كامل من القس. إنها مقتنعة بكل سذاجتها وبراءتها الطفولية،

وهذه الثقة يبجل طبيعتها ويمنحها شأنا ما فوق طبيعي، بحيث إنها تستطيع *كصانع معجزات*[1] أن تستحضر قوى الوجود النهائية، وتجعل حتى الحجر يبكي، بينما تستطيع هي في حيرتها من الجهة الأخرى أن تجري إلى هيرودت وإلى بيلاتوس أيضًا وتحرك كل العالم بتضرعاتها. قناعتها آسرة غالبًا، ويمكن للمرء أن يتعلم الكثير منها؛ لكن هناك شيئًا واحدًا لا يمكنه أن يتعلم منها ـ أن لا يقوم بالحركات ـ لأن قناعتها لا تجرؤ على مواجهة المستحيل في ألم الاستسلام.

هكذا أستطيع أن أدرك، أن ذلك يتطلب قوة وطاقة وحرية الروح للقيام بحركة الاستسلام اللانهائية؛ وأستطيع أن أدرك أيضًا أنه يمكن القيام بذلك. (الحركة) القادمة تذهلني، ويميد دماغي في رأسي؛ لأنه، بعد أن قام بحركة الاستسلام، ومن ثم يحصل بمقتضى اللامعقول على كل شيء، أن يحصل على الأمنية كاملة تمامًا ـ وهذا فوق الطاقات البشرية، أنه معجزة. لكنني أتمكن من إدراك هذا، بأن يقين الفتاة الشابة هو مجرد طيش مقارنة بثبات الإيمان بالاعتراف الكامل للمستحيل. كل مرة أريد أن اقوم بهذه الحركة، تسوّد الدنيا في عيني؛ في اللحظة نفسها التي أعجب بصورة مطلقة، يطبق فزع هائل على روحي، إذ ما معنى أن تغوي اللّه؟ ومع هذا فهذه الحركة هي حركة الإيمان وتستمر كذلك، حتى وإن ترد الفلسفة لكي تربك المفاهيم، بأن توهمنا أن لديها الإيمان، حتى وإن يكن اللاهوت راغبًا لبيعه بسعر بخس.

فعل الاستسلام لا يتطلب إيمانًا، لأن ما أربحه في الاستسلام هو وعيي

---

(1) في الأصل thaumaturg

الخالد. وهذه هي حركة فلسفية خالصة، التي أغامر للقيام بها، عندما تكون مطلوبة وأستطيع أن أُمرّن نفسي للقيام بها، ففي كل مرة يريد النهائي أن يفرض سلطته علي، أجوّع نفسي الاستسلام حتى أقوم بالحركة؛ لأن وعيي الأبدي هو حبي لله، وهو بالنسبة لي أعلى من أي شيء. لا يتطلب فعل الاستسلام إيمانًا، لكن للحصول على القليل اكثر بصورة قليلة من وعيي الأبدي يتطلب إيمانًا، لأن هذه هي المفارقة. غالبًا ما يخلط بين الحركات. يقال، إن الإيمان مطلوب للتخلي عن كل شيء. في الحقيقة، يسمع المرء ما هو حتى أكثر غرابة، إن الإنسان يشتكي من أنه فقد الإيمان، وعندما نراجع المقياس لنرى أين يكون مقامه، يجد الإنسان بغرابة كافية، أنه بلغ فقط إلى النقطة، حيث عليه أن يقوم بحركة الاستسلام اللانهائية. بالاستسلام أتنازل عن كل شيء. أقوم بكل هذه الحركة بنفسي، وإذا لا أقوم بها، فذلك لأنني جبان جدًا وضعيف ويعوزني الحماس ولا أشعر بقيمة الكرامة السامية الممنوحة لكل إنسان، أن يكون رقيبه الذاتي، الذي يكون أكثر رفعة من أن يكون رقيبًا عامًا لكل الجمهورية الرومانية. أقوم بهذه الحركة بنفسي، ولهذا فما أربحه هو وعيي الأبدي، في تجانس مبارك مع حبي للجوهر[1] الخالد. لكنني لا أتخلى خلال الإيمان عن كل شيء، بل على العكس من ذلك، أحصل بالإيمان عن كل شيء، بل على العكس، بالإيمان أحصل على كل شيء تمامًا بالمعنى الذي يقال فيه، أن هذا الذي لديه إيمان بمقدار حبة خردل يمكنه زحزحة جبل.[2] تحتاج إلى

---

(1) هذه ترجمة لـ Væsen التي يمكن ان تترجم ايضا الى مخلوق، كائن، جوهر، وجود، وهنا يعني به الوجود الالهي.

(2) جاء في الكتاب المقدس، انجيل متي، 17:20 «ان هذا الذي لديه ايمان قدر حبة خردل..الخ»

شجاعة بشرية صافية للتخلي عن كل الدنيوي لكي تفوز بالخالد، لكنني في الحقيقة سأفوز بهذا ولن أتخلى عنه إلى الأبد ـ فهذا تناقض ذاتي. لكنه يحتاج إلى شجاعة مفارقة ومتواضعة لفهم كل ملكوت الدنيا الآن على أساس اللامعقول، وهذا هي شجاعة الإيمان. لم يتخل إبراهيم بالإيمان عن إسحاق، بل حصل إبراهيم بالإيمان على إسحاق. توجب على ذلك الشاب الغني أن يتخلى الرجل، بمقتضى إذعانه، عن كل شيء، لكن لو أنه فعل ذلك، لقال له فارس الإيمان عندئذ: ستسترد بمقتضى اللامعقول كل قطعة فضة، أتصدق هذا!» ولا ينبغي أن يعامل الشاب الغني سابقًا هذه الكلمات بأي حال من الأحوال لا اكتراث، لأنه إذا كان عليه أن يتخلى عن ممتلكاته لأنه كان سئم منها، فإن إذعانه لن يكون له أهمية كبيرة.

الدنيوي، النهائي ـ هو ما يدور كل شيء حوله. أستطيع بقوتي الخاصة أن أتخلى عن كل شيء، وأجد السلام والراحة في الألم، أستطيع أن أتحمل كل شيء، حتى وإن ذلك الشيطان المرعب، الاكثر رعبًا من الشخص العظمي، الذي يخيف الناس، حتى وإن وضع الجنون رداء حماقته أمام عيني، وفهمت من وجهه، بأنه أنا من كان علي أن أرتديه ـ فما أزال أستطيع أن أنقذ روحي طالما أن قلقي بأن يكون حبي للّه الذي يتصارع في داخلي أكبر من قلقي أنني أحقق السعادة الدنيوية. ما يزال الإنسان يستطيع في لحظته الأخيرة ذاتها أن يجمع كل روحه في نظرة واحدة نحو السماء، التي تأتي منها كل الهدايا الجيدة، وهذه النظرة ستكون مفهومة منه ومن قبل الذي يسعى ليفهم، أنه كان صادقًا لحبه. عندئذ سيرتدي بهدوء الرداء. إن هذا الذي تنقصه هذه الرومانسية قد باع روحه، سواء يحصل على مملكة أو قطعة نقود فضية تافهة من أجلها. لكن لا أستطيع بقدراتي الخاصة

أن أحصل على أقل شيء صغير الذي يعود إلى النهائي، لأنني أستخدم طاقتي باستمرار للتنازل عن كل شيء. أستطيع بقدرتي الخاصة أن أتخلى عن الأميرة، ولن أكون عبوسًا حول هذا، بل أجد سعادة وسلامًا وراحة في ألمي، لكنني لن أقدر بقدراتي الخاصة أن أحصل عليها ثانية، لأنني أستخدم كل طاقتي في الإذعان. من الجانب الآخر، بالإيمان، يقول ذلك الفارس المدهش، بالإيمان ستحصل عليها بمقتضى اللامعقول.

لكن هذه الحركة ليس بوسعي القيام بها. حالما أريد أن أبدأ ينقلب كل شيء وأهرب إلى عائدًا إلى ألم الاستسلام. أستطيع أن أسبح في الحياة، لكنني ثقيل جدًا لهذا التحليق الغريب. إن توجد على هذا النحو، بحيث إن تناقضي مع الوجود يعبر عن نفسه على الدوام كأفضل انسجام جميل وآمن معه ـ وهذا لا أقدر على فعله. ومع ذلك، أقول مرارًا، لا بد أن يكون رائعًا الحصول على الأميرة. وفارس الاستسلام، الذي لا يقول هذا، مخادع؛ ولم يملك أية أمنية، ولم يحافظ على أمنيته يافعة في ألمها. ربما كان هناك أحد ما الذي وجد أن هذا مريحًا تمامًا بحيث لم تعد الأمنية حيّة، وأن سهم ألمه صار بطيئًا؛ لكن مثل هذا الشخص لا يكون فارسًا. إن روحًا ولدت حرة الذي يقبض على نفسه تفعل هذا، سيحتقر نفسه، ويبدأ من جديد، وعلاوة على كل ذلك، لن يسمح لروحه أن تكون مخدوعة بذاتها. ومع ذلك سيكون رائعًا الحصول على الأميرة، وفارس الإيمان هو الإنسان الوحيد السعيد، الوارث للنهائي، بينما فارس الاستسلام يكون غريبا وأجنبيا. إن تحصل على الأميرة بهذه الطريقة، أن تعيش معها بفرح وسعادة يومًا بعد آخر (ومن المعقول أيضًا أن فارس الاستسلام يمكن أن يحصل على الأميرة، لكن روحه تملك وضوحًا كاملًا في استحالة فرحتهم

المستقبلية) أن تعيش على هذا النحو بصورة فرحة وبسعادة في كل لحظة بمقتضى اللامعقول، أن ترى في كل لحظة السيف مسلطًا فوق رأس المحبوبة ومع ذلك أن لا تجد الراحة في ألم الإذعان، بل تجد فرحة على أساس اللامعقول ـ هذا هو المدهش. والشخص الذي يفعل هذا، عظيم، وهو العظيم الوحيد؛ التفكير حول هذا يثير روحي، التي لم تبخل قط في الانبهار بالعظيم.

لو أن كل واحد من جيلي حاليًا الذي لا يكون راغبًا الوقوف عند الإيمان هو إنسان حقًا الذي فهم رعب الحياة، وفهم ما يعنيه داوب [1]، عندما يقول، إن الجندي الذي يقف في حراسته وحيدًا مع بندقية مشحونة بمخزن إطلاقات في ليلة عاصفة تخطر بباله أفكارًا غريبة؛ لو أن كل فرد لا يكون راغبًا حقًا الآن للوقوف عند الإيمان هو شخص يملك حقًا قوة روحية ليفهم، أن الأُمنية كانت مستحيلة، ومن ثم ليأخذ وقتًا ليكون منفردًا مع هذه الفكرة؛ لو أن كل فرد لا يرغب أن يبقى واقفًا عند الإيمان، هو شخص تصالح في الألم وتمت مصالحته خلال الألم، لو أن كل فرد لا يرغب أن يبقى واقفًا عند الإيمان، هو شخص أنجز لاحقًا (وإذا هو لم يعمل بكل ما سبق، فعليه أن لا يزعج نفسه، عندما يكون الحديث عن الإيمان)، المندهش وفهم الوجود بكليته بمقتضى اللامعقول ـ إذن فما أكتبه هو أسمى مديح إلى الجيل، يكتبه أقل أعضائه مرتبة، الذي استطاع أن يقوم بحركة الاستسلام فقط. لكن لماذا لا يريد الإنسان أن يبقى عند الإيمان، لماذا يسمع المرء أحيانًا، إن الناس يخجلون من الاعتراف بان

(1) اشارة الى كارل داوب اللاهوتي الالماني (1765 ـ 1836). اشارة كيركجورد عن داوب تحيل الى حديث داوب مع الفيلسوف الالماني كارل روزنكران 1805 ـ 1878)

لديهم إيمانًا؟ ذلك لا أستطيع فهمه. لو أنني أتمكن ذات يوم لأكون قادرًا على القيام بهذه الحركة، سأستقل في المستقبل عربة ذات أربعة خيول.

هل حقا أن الأمر على هذا النحو، هل أن كل ضيق الأفق البرجوازي الصغير[1] هذا، الذي أراه في الحياة ـ الذي لا أسمح لنفسي أن أُدينه بكلماتي بل بأفعالي ـ ليس على ما يبدو حقًا، هو أعجوبة؟ أنه أمر وارد بالتأكيد، لأن بطل الإيمان كان يشبهه فعلًا شبهًا مدهشًا، لأن بطل الإيمان لم يكن حتى من المتهكمين أو الظرفاء بل شيئًا أسمى كثيرًا. قيل الكثير في زمننا حول التهكم والفكاهة، خصوصًا من قبل الناس الذين لم ينجحوا أبدًا في ممارستهما، لكن الذين يعرفون، مع ذلك، كيفية توضيح كل شيء. لست جاهلًا تمامًا بهذين العاطفتين، أنا أعرف شيئًا أكثر عنهما مما هو موجود في الملخصات الألمانية والألمانية ـ الدانماركية. ولهذا أعرف أن هذين العاطفتين يختلفان جوهريًا عن عاطفة الإيمان. التهكم والفكاهة يتأملان أيضًا بنفسيهما وبذا ينتميان إلى مجال الاستسلام اللانهائي، أنهما مدينان بمرونتهما إلى عدم إمكانية قياس الفرد بالواقع.

هذه الحركة الأخيرة، حركة الإيمان المفارقة لا أستطيع القيام بها، سواء كانت واجبًا أو أي شيء آخر ـ رغم أنني لا أتمنى أي شيء أكثر. فيما إذا كان إنسان له الحق أن يقول هذا، فلا بد أن يكون قراره؛ فيما بوسعه أن يصل إلى اتفاق وديّ في هذا الشأن هي قضية بينه وبين الجوهر[2] الأبدي، الذي هو هدف الإيمان، فيما إذا كان هو سيصل إلى اتفاق وديّ معه في هذا

---

(1) صعوبة ترجمة spidsborgerlig ويمكن أن تترجم إلى التحفظ، أو ضيق الأفق، أو النفور البرجوازي الصغير من الثقافة الرفيعة

(2) أو الكائن الأبدي

المجال. ما يستطيع كل فرد عمله، هو، أنه يستطيع القيام بحركة الاستسلام اللانهائية، ولن أتردد من ناحيتي لأسمّي أي فرد جبانًا، الذي يتصور أنه لا يستطيع القيام به. فلا تفكر مرتين حول إعلان أي شخص جبانًا الذي يفكر أنه لا يستطيع. القضية مختلفة مع الإيمان. لكن ما ليس لأحد الحق لفعله هو أن يوهم آخرين، بأن الإيمان هو شيء في مرتبة أقل، أو أنه قضية سهلة، حين يكون هو في الواقع الأعظم والأكثر صعوبة من كل شيء.

فُهمت قصة إبراهيم بطريقة أُخرى. نحن نسبح برحمة اللّه، لأنه أعاد إسحاق إليه مرة أُخرى وأن كل القضية كانت مجرد امتحان. امتحان، هذه الكلمة يمكن أن تقول الكثير أو القليل، ومع ذلك فقد انقضى الأمر حالما تم قوله. نمتطي حصانا مجنحا، في تلك اللحظة ذاتها نجد أنفسنا على جبل موريا، وفي اللحظة نفسها نرى الكبش. ننسى أن إبراهيم سافر على ظهر بغل فقط، الذي يقطع الطريق بصورة بطيئة، وكانت لديه رحلة ثلاثة أيام فقط، بحيث إنه احتاج إلى بعض الوقت ليقطع الحطب، ويربط إسحاق ويشحذ السكين.

ومع ذلك نثنى على إبراهيم! وهذا الذي عليه أن يلقي خطبة، يمكنه أن ينام حتى ربع الساعة الأخير قبل أن يتحدث، قد يغفو سامعه في النوم أثناء خطبته؛ فكل شيء يسير بروعة من دون أي إزعاج من كلا الطرفين. لو كان هناك رجل حاضرًا، الذي عانى من الأرق، لربما ذهب إلى بيته، جلس في زاوية وفكر: كل شيء انقضى في ثانية، كل ما عليك عمله هو أن تنتظر دقيقة وسترى الكبش ويكون الامتحان منتهيا.» لو قابله الخطيب في هذا الوضع، لاعتقدت عندئذ، أنه سيتقدم إليه بكل وقاره ويقول: أي إنسان تعيس لتسمح لروحك لتغوص في مثل هذه الحماقة؛ لن تحصل أي

معجزة، وكل الحياة امتحان ». كلما أصبح الخطيب مسرفًا في التعبير عن العاطفة كلما صار هو أكثر وأكثر عاطفيًا، وأصبح أكثر وأكثر فرحًا بنفسه، ورغم أنه لم يلحظ أي *صعود قوي للدم إلى رأسه*[1]، عندما تحدث عن إبراهيم، فقد أحس الآن، كيف انتفخت الأوردة على جبهته. ربما سيكون مشدوهًا لو أن الآثم بهدوء واحترام أجاب: ومع كل ذلك، كان ذلك ما وعظت به الأحد الماضي.»

دعونا إذن إما أن نشطب كل شيء حول إبراهيم أو نتعلم أن نكون مرعوبين بالمفارقة الرهيبة التي هي المغزى لكل حياته، بحيث نستطيع أن نفهم أن عصرنا مثل أي زمن آخر يمكن أن يكون سعيدًا لو أنه يملك إيمانًا. لو أن إبراهيم لم يكن نكرة، شبحًا، استعراضًا يُستخدم لقضاء الوقت، فلا يمكن أن يكمن الخطأ أبدًا في أن الآثم يريد أن يعمل مثله، بل أن المسألة هي أن نرى عظمة ما فعله إبراهيم، ليقدر المرء أن يحكم بنفسه فيما يمتلك الرسالة والشجاعة ليمتحن في شيء مثل هذا الأمر. كان التناقض المضحك في سلوك الخطيب أنه جعل إبراهيم إلى شيء تافه، وأراد مع ذلك أن يمنع الآخر من يتصرف بالطريقة نفسها.

فعل علينا إذن أن لا نجرؤ الحديث عن إبراهيم؟ أنا متأكد أننا نستطيع. لو كان علي أن أتحدث عنه فإنني سأصف أولًا ألم الامتحان. لهذا الهدف أريد أن أمتص كعلقة كل الخوف والشقاء والعذاب من معاناة أب لكي أكون قادرًا على وصف ما عاناه إبراهيم، على الرغم من أن كل ما كان لديه خلالها الإيمان. أود أن أذكر أن السفرة دامت ثلاثة أيام وجزءًا من اليوم

---

(1) في الأصل Blodcongestion

الرابع؛ في الحقيقة، كان يمكن أن تكون تلك الثلاثة أيام ونصف أطول بلا حدود من بضعة آلاف من الأعوام التي تفصلني عن إبراهيم. أود أن أذكر ـ وهذه وجهة نظري ـ رأيي، أن كل إنسان ما يزال يستطيع أن يتراجع قبل البدء بمثل هذا الأمر، ويستطيع أن يعود نادمًا في أي وقت. لو فعل الإنسان هذا، فأنا لست قلقًا؛ ولا أخاف أن أوقظ رغبة في الناس كي تمتحن مثل إبراهيم. لكن أن نبيع نسخة رخيصة لإبراهيم ومع ذلك نمنع أي شخص أن يفعل كذلك، فذلك فهو شيء مضحك.

لكن ما أنويه الآن هو أن أستخلص من قصة إبراهيم على شكل مشكلات[1]، الملامح الديالكتيكية، التي تكمن في قصة إبراهيم، لكي أرى مفارقة الإيمان المدهشة، المفارقة التي تجعل جريمة قتل فعلًا مقدسًا وعملًا يسعد اللّه، مفارقة تعيد إسحاق إلى أبيه، التي لا يمكن لأي فكر أن يفهمها، لأن الإيمان يبدأ بالضبط حيثما يكف التفكير.

(1) في الأصل باللاتيني Proplmata

مشكلة I

هل هناك تعطيل غائي للأخلاقي؟

الأخلاقي بحد ذاته هو العام[1]، وباعتباره العام فإنه يطبق على كل شخص، الذي يمكن التعبير عنه من وجهة نظر أُخرى على نحو، بحيث إنه يطبق في كل لحظة. إنه يستقر بشكل جوهري في ذاته، ولا يملك أي شيء خارج ذاته، وذلك هو هدفه[2] لكنه هو نفسه الهدف لكل شيء خارج ذاته، وعندما يتشرب الأخلاقي هذا في ذاته، فلن يمضي إلى أبعد من ذلك. وحين يكون الفرد مؤهلًا حسيًا وروحيًا في المباشر، فإنه يكون الفرد الذي هدفه في العام، وهذا هو واجبه الأخلاقي، أن يعبر عن نفسه باستمرار في هذا، ليلغي خصوصيته[3] لكي يصبح عامًا. وحالما يريد الفرد أن يؤكد نفسه في فرادته، أمام العام، فإنه يأثم، ويمكن من خلال الاعتراف بهذا فقط أن يكون متصالحًا ثانية مع العام. وكل مرة يشعر الفرد، بعد أن يكون قد دخل العام، باستعجال ليؤكد نفسه باعتباره فردًا، فإنه يكون في حالة شك[4]،التي يستطيع أن يخلص نفسه منها فقط بالاستسلام بندم كفرد في

---

(1) ترجمة لـ almene ويمكن ترجمتها أيضًا عمومي، عام، واسع الانتشار وعادي

(2) في الأصل Telos

(3) أو فرادته

(4) ترجمة لـ *Anfægtelse*

العام. فإذا كان هذا هو أسمى ما يمكن أن يقال عن الإنسان وعن وجوده، إذن يكون للأخلاقي نفس الطبيعة مثلما لخلاص الفرد الأبدي، الذي هو هدفه إلى الأبد وفي كل لحظة: طالما سيكون هذا تناقضا، فانبغى التخلي عنه (أي، عُطل بصورة غائية)، لأنه طالما ان هذا يكون معطلا فإنه متروك، على حين أن ما يكون معطلًا لا يكون متروكًا بل يكون محفوظًا بالضبط في العالي، الذي يكون *هدفه*.

إذا كان ذلك هو الحال، يكون هيغل إذن على حق في «الخير والضمير»،[1] حينما يصف الإنسان مجرد فرد ويعتبر هذا الوصف كشكل «أخلاقي للشر»،[2] التي ينبغي أن يلغى في غائية الأخلاق بطريقة بحيث إن الفرد الذي يبقى في تلك المرحلة أما أن يأثم أو غائصًا في شك روحي. لكن هيغل على خطأ، حين يتحدث عن الإيمان، وهو خاطئ حين لا يعترض بصوت عال وواضح ضد الاحترام والعظمة التي تمتع بها إبراهيم باعتباره أب الإيمان، عندما توجب إحالته إلى أقل محكمة وعُرض كمجرم.

الإيمان هو هذه المفارقة بالذات، بحيث يكون الفرد أعلى من العام ـ لاحظ رجاء، أن الحركة تكرر نفسها على نحو، بحيث أنه كفرد يعزل، بعد أن كان في العام، نفسه بصورة أعلى من العام. إذا لم يكن هذا هو الإيمان، إذن يكون إبراهيم خاسرًا، ومن ثم لم يكن الإيمان موجودًا قط في العالم وعلى وجه الضبط لأنه كان موجودًا دائمًا. فلو أن الأخلاقي ـ أي، الأخلاق الاجتماعية ـ هي الأعلى وإذا لم يبق أي شيء قابل للقياس في الإنسان بطريقة ما بحيث إن عدم المقايسة هذه ليست هي الشر (أعني،

---

(1) Hegel Philosophie des Rechts 2. Udg.(1840 - 41)

(2) انظر بصورة خاصة هيغل فلسفة الحق

الفرد الذي ينبغي التعبير عنه في العام)، فلا يحتاج المرء إلى مقولات أُخرى مما كان لدى الفلسفة الإغريقية، أو ما يمكن أن يكون مستنبطا بتفكير منسجم منهم. كان على هيغل أن لا يخفي هذا؛ لأنه درس في كل حال من الأحوال الفلسفة الإغريقية.

الناس الذين ينقصهم التعليم ويضيعون في كليشيهات يمكن سماعهم يقولون مرارًا أن الضوء يشرق على العالم المسيحي، بينما يخيّم الظلام على الوثنية. يبدو لي هذا النوع من الحديث دائمًا غريبًا، طالما أن كل مفكر عميق، كل فنان اكثر جدية يجدد نفسه من خلال شباب الإغريق الخالد. يكون تفسير مثل هذا العبارة، أنهم لا يعرفون ما عليهم أن يقولوا، بل أن عليهم أن يقولوا شيئًا ما فحسب. من الصحيح تماما القول إن الوثنية لا تملك إيمانا، لكن إذا افترضنا قول شيئًا ما في ذلك، فعليه أن يملك عندئذ فهما أكثر وضوحا عمّا هو الإيمان، وإلا فإن المرء سيسقط ثانية في مثل هذه الكليشيهات. من السهل أن توضح كل الوجود، بما فيه الإيمان، دون أن تمتلك مفهومًا عمّا هو الإيمان، والفرد الذي يعتمد على كونه معجبًا لمثل هذا التوضيح لا يكون ضربًا من محاسب سيء؛ لأنه مثلما يقول بوالو[1]: «يجد الأحمق دائمًا أحمقا أكبر منه، الذي يعجب به.»[2]

الإيمان هو بالضبط المفارقة، بحيث إن الفرد كفرد يكون أسمى من العام، أنه مبرر قبله، وليس كتابع بل كأعلى ـ ومع ذلك، لاحظ رجاء، بطريقة، يصبح الفرد الذي، بعد أن يكون خاضعًا كفرد إلى العام، الآن عن طريق العام الفرد الأعلى، أن الفرد كفرد يقف في علاقة مطلقة مع المطلق.

---

(1) نيكولا بوالو (1636 ـ 1711) وهو كاتب وشاعر فرنسي وناقد

(2) في الأصل«Un sot trouve toujours un plus sot, qui l'admire

هذا الوضع لا يمكن مصالحته، لأن كل مصالحة تحدث بمقتضى العام فقط؛ وتكون وتبقى إلى الأبد مفارقة، منيعة على الفكر. ومع ذلك يكون الإيمان هذه المفارقة وإلا (هذه هي الاستنتاجات، التي أطلب من القارئ أن يحملها في ذهنه دائمًا، على الرغم من أنها ستكون مسهبة جدًا بالنسبة لي كي أُسجلها كلها)، وإلا فلم يكن هناك إيمان قط، لأنه ببساطة موجود دائمًا، وإلا فإن إبراهيم يكون خاسرًا.

من الصحيح بالتأكيد أن يستطيع الفرد أن يخلط بسهولة بين المفارقة والامتحان الروحي [1]، لكن ينبغي عدم إخفائها لذلك السبب. ومن الصحيح أيضًا، أنه ربما يكون تكوين أشخاصٍ عديدين على نحوٍ ينفرهم منها، لكن ينبغي على الإنسان لهذا أن لا يجعل الإيمان شيئًا آخرًا، لكي يتمكن من امتلاكه أيضًا: بل يتوجب بالأحرى عليه أن يعترف بعدم امتلاكه له، بينما ينبغي على أولئك الذين لديهم إيمان أن يستعدوا لتوضيح بعض الصفات التي يمكن من خلالها تمييز المفارقة عن المحنة الروحية.

تحتوي قصة إبراهيم مثل هذا الإلغاء الغائي للأخلاقي. ليس هناك عقول ذكية وباحثين دقيقين الذين وجدوا مقارناتٍ له. ما بلغته حكمتهم هو المبدأ الرائع بأن كل شيء هو نفسه. لو نظر المرء بصورة أدق فإنني اشك كثيرا جدا فيما سيجد الفرد في كل العالم نظيرًا واحدًا، باستثناء النظير اللاحق الذي لا يبرهن على أي شيء إذا كان حقًا أن إبراهيم يمثل

---

(1) هنا يعطي كيركجورد معنى آخر لهذه العبارة وجاء في تعريف القاموس الدانماركي ما يلي: شعور بشك عميق، الذي يستبد بالفرد، عندما يقوم بتجربة، بحيث تنهار تصوراته او قناعاته. ولهذا فان تكون العبارة ذات طابع ديني.
انظر http: / /denstoredanske.dk /Sprog/.2C_religion_og_filosofi /Religion_og_ mystik /Reformationen_og_lutherske_kirke /anfægtelse

الإيمان، وأنه يجد تعبيره بصورة معيارية فيه، الذي لا تكون حياته الكثر مفارقة فحسب، التي يمكن إدراكها، بل هي أيضًا مفارقة جدا بحيث إنها ببساطة لا يمكن التفكير بها. إنه يعمل بمقتضى اللامعقول، لأنه اللامعقول بالذات أنه كفرد يكون أسمى من العام. لا يمكن مصالحة هذه المفارقة، فحالما هو يبدأ إبراهيم ذلك فعليه أن يعترف إنه في شك روحي، وإذا تكون تلك هي الحال، فإنه لن يضحي بإسحاق أبدًا، أو إن هو ضحى بإسحاق، فعليه أن يعود نادمًا إلى العام. استرد بمقتضى اللامعقول إسحاق ثانية. ولذلك لم يكن إبراهيم في أي لحظة البطل التراجيدي، بل شيء مختلف تمامًا، أما قاتل أو رجل إيمان. يعوز إبراهيم الحد الوسط الذي ينقذ البطل التراجيدي. ولهذا السبب أستطيع أن أفهم بطلًا تراجيديًا، لكنني لا أستطيع أن أفهم إبراهيم، رغم أنني بمعنى مخبول محدد أحترمه اكثر من الآخرين.

علاقة إبراهيم بإسحاق، بالتعبير الأخلاقي، هي ببساطة التالي: على الأب أن يحب الابن أكثر من نفسه. مع ذلك لدى الأخلاقي في مجاله مستويات عديدة. سنرى فيما إذا تحتوي هذه القصة أي تعبير عالي عن الأخلاقي، الذي يمكن أن يوضح سلوكه أخلاقيًا، وسيستطيع أن يبرر أخلاقيًا لتعليقه الواجب الأخلاقي تجاه الابن، لكن من دون المضي إلى أبعد من غائية الأخلاقي.

عندما يمنع مشروع مهم لكل الامة، عندما يوقف مثل هذا المشروع عن التداول بواسطة غضب سماوي، عندما يرسل الإله الغاضب نظرة هادئة التي تسخر بكل المساعي، عندما يؤدي العرّاف مهمته الصعبة ويعلن أن الإله يقتضي فتاة شابة كضحية ـ لا بد حينئذ أن يجلب الأب هذه الضحية ببطولة. عليه أن يخفي محنته بنبل رغم أنه قد يتمنى أنه

كان «الرجل البائس الذي يجرؤ على النحيب»[1] وليس الملك الذي ينبغي أن يتصرف بطريقة ملكية. ورغم أن المحنة الموحشة تتغلغل في صدره، وهناك ثلاثة أشخاص فقط في كل الأمة، الذين يعرفون بمحنته، سيكون كل السكان معنيين حالا بمحنته وأيضًا بصنيعه، أنه من أجل رفاهية الجميع سيضحي بها، ابنته، هذه العذراء الشابة المحبوبة. أوه، أي صدر! أوه أي خدود جميلة! أي شعر ذهبي لامع![2] وستحرك الابنة مشاعره بدموعها، وسيشيح الأب وجهه عنها، لكن البطل سيرفع سكينه. وعندما تصل الأخبار عن هذا الأمر إلى بيت الأسلاف، حينها ستتورد خدود عذراوت اليونان الجميلات تتورد من الحماس، وإذا كانت الابنة عروسة، لن يكون الخطيب غاضبًا، بل سيكون فخورًا ليساهم في صنيعة الأب، لأن الفتاة تخصه برقة أكبر مما تنتمي إلى الاب.

عندما يربط الحاكم الجسور، الذي أنقذ إسرائيل في ساعة عوز، نفسه واللّه في زفرة واحدة بالوعد نفسه، فعليه أن يحّول ببطولة فرحة الفتاة الشابة، فرحة البنت المحبوبة، إلى حزن، وستحزن كل إسرائيل على شبابها العذري؛ لكن كل رجل مولود حرًا سيفهم، وكل امرأة بقلب طيب تحترم ياباثا[3]، وكل عذراء في إسرائيل عليها أن تتمنى أن تفعل مثل ابنته؛ فما ينفع في أن ياباثا انتصر بعهده، عندما لا يلتزم به، ألا ينبغي تجريد الناس مرة أُخرى من الانتصار؟

---

(1) اشارة الى Eurpidies, Iphigenia in Aullis, v.448, in C. Wilster's trans. Agamemnon says, «How lucky to be born in lowly station where one may be allowed to weep».

(2) انظر Iphigeneia I Aulis, v. 687

(3) Jephath يفتاح بالعبرية هو أحد الشخصيات في الكتاب المقدس، سفر اقضاة، انظر، 30 ـ 11، 40 ـ

عندما ينسى ابن واجبه، عندما تفوض الدولة إلى الأب بسيف الحكمة، عندما تتطلب القوانين العقاب على يد الأب، حينها على الأب أن ينسى ببطولة أن الشخص المذنب هو ابنه. عليه أن يخبئ بنبلٍ ألمه، لكن لا يوجد شخص واحد من الشعب، ولا حتى الابن، سيمتنع عن احترام الأب، وفي كل وقت تُأوَّل قوانين روما، فينبغي تذكّر أن العديد أوّلها بمعرفة أكبر، لكن لا أحد بشكل رائع أكثر من بروتوس.[1]

لكن إذا أرسل أغاممنون [2]، بينما تقود ريح ملائمة أسطوله بسرعة كبيرة نحو هدفه، ذلك الرسول الذي جلب افيجينيا ليضحي بها؛ لو يفاثا، دون أن يكون مرتبطًا بأي وعد الذي قرر مصير الشعب، قال لابنته: أحزني الآن خلال شهرين على شبابك القصير، وبعدها سأُضحي بك؛ لو كان لبروتوس ولد عادل، ومع ذلك نادي على حرس *المحكمة*[3] لكي يعدمونه ـ فمن سيفهمهم حينئذ؟

وعندما ينتصر آغاممنون، يافثا وبروتوس، في لحظة حاسمة على ألمهم، وخسروا ببطولة المحبوب، وكان عليهم أن يكملوا المهمة خارجيًا فقط، فلن تكون هناك روح نبيلة واحدة في العالم قط، من دون دموع تعاضدٍ من أجل عذابهم، دموع احترام لصنيعهم. لكن لو أضاف أولئك الرجال الثلاثة في تلك اللحظة الحاسمة إلى البطولة، التي حملوا معها

---

(1) عندما كان لوشيوس جونيوس بروتوس(509 ـ 545 ق.م.) قنصلا في روما شارك ولداه تيتوس وتيبيروس في مؤامرة لإعادة القيصر الذي أُطيح به إلى السلطة

(2) في الأساطير اليونانية تجبر آلهة الصيد آرتيمس آغاممنون ليضحي بابنته المفضلة الأميرة افيجينيا قبل أن يسمح له بالسفر إلى طروادة

(3) في الأصل Ad lictorerne

ألمهم، عبارة قصيرة «لن يحدث هذا على أي حال» ـ فمن كان يفهمهم إذن؟ لو أنهم أضافوا كتوضيح: هذا ما نؤمن به بمقتضى اللامعقول «ـ من كان يفهمهم عندئذ بصورة أفضل؟ لأنه مَن لا يفهم بسهولة، أن الأمر كان لا معقولا، لكن من الذي سيفهم أن أحدًا سيؤمن بها؟

الفرق بين البطل التراجيدي وإبراهيم واضح للغاية. البطل التراجيدي يبقى في إطار الأخلاقي. هو يسمح لتعبير الأخلاقي أن يبلغ هدفه في تعبير أسمى عن الأخلاقي؛ إنه يقلل العلاقة الأخلاقية بين الأب والابن، أو البنت والأب، إلى عاطفة التي تملك ديالكتيكها في علاقتها بفكرة السلوك الأخلاقي. هنا، لن يكون هناك أي شك بتعطيل غائي للأخلاقي ذاته.

الموقف مع إبراهيم مختلف. لقد تجاوز في فعله كل الأخلاقي، وكان لديه هدفًا أسمى خارجه، وقد ألغاه بصلة به. فأنا أريد بالتأكيد أن أعرف كيف ربط فعل إبراهيم بالعام، فيما يمكن أن توجد أي نقطة للتواصل بين ما فعله إبراهيم والعام في آخر من ذلك الذي تجاوزه إبراهيم. ليس لإنقاذ شعبًا، وليس للمحافظة على فكرة الدولة أن إبراهيم فعل ذلك، وليس لتهدئة غضب الآلهة. لو كانت قضية غضب الإله، فإنه كان في كل الأحوال، غاضبًا من إبراهيم فقط، ولا صلة لعمل إبراهيم بالعام كليًا، وهي جهدًا ذاتيا صرفًا. ولهذا، بينما البطل التراجيدي يكون عظيمًا بسبب صنيعه الأخلاقي، فإن إبراهيم يكون عظيمًا بسبب فضيلة شخصية خالصة. ليس هناك تعبير أسمى عن الأخلاقي في حياة إبراهيم من ذلك، أن على الأب أن يحب ابنه. الأخلاقي بمعنى الخلقي لا يمكن الحديث عنه. بمقدار ما كان العام حاضرًا، فانه كان مخفيًا بغموض في إسحاق، مخفي كما يقال، في صلب إسحاق، وكان لا بد أن تطلق من فم إسحاق: «لا تفعل هذا، أنت تدمر كل شيء».

لماذا فعل إبراهيم إذن هذا؟ في سبيل اللّه، ومطابق تماما بذلك في سبيل نفسه. إنه فعل هذا في سبيل اللّه، لأن اللّه اقتضى هذا البرهان على إيمانه؛ وهو فعله في سبيل نفسه لكي يكون قادرًا على تقديم البرهان. وحدة الاثنين عُبِر عنها بصورة ملائمة تمامًا في كلمة استخدمت مسبقًا لوصف هذه العلاقة. إنه امتحان، إغواء.[1] إغواء ـ لكن ماذا يعني ذلك؟ كقاعدة، ما يغوي الفرد هو الشيء الذي يمنعه من تأدية واجبه، لكن الإغواء هنا هو الأخلاقي ذاته، الذي سيمنعه من تنفيذ إرادة اللّه. لكن ما هو الواجب؟ الواجب هو ببساطة التعبير عن إرادة اللّه.

هنا تتضح الضرورة إلى مقولة جديدة لفهم إبراهيم جليًا. لا تعرف الوثنية مثل هذه العلاقة بالإلهي. لا يدخل البطل التراجيدي في أي علاقة خاصة مع اللّه، لكن الأخلاقي هو الإلهي، ولهذا تستطيع المفارقة أن تكون في ذلك الأمر متوسطة في العام.

لا يمكن توسُط إبراهيم؛ بكلمات أُخرى، أنه لا يستطيع التحدُث. فحالما أتحدث فإنني أعبر عن العام، وعندما لا أفعل هذا، فلا أحد يتمكن من فهمي. وحالما يريد إبراهيم أن يعبر عن نفسه في العام، فعليه أن يقول إن وضعه هو وضع حيرة روحية، لأنه لا يملك تعبيرًا ساميًا عن العام[2] الذي يعلو على العام الذي انتهكه.

ولهذا، رغم أن إبراهيم أثار إعجابي، فإنه يروعني أيضًا. الشخص الذي ينكر نفسه ويضحي بنفسه بسبب الواجب يتخلى عن النهائي لكي يفهم

---

(1) Fristelse يمكن أن تترجم أيضًا ابتلاء، او سلوك أخلاقي مرفوض

(2) تعبيرًا ساميًا عن العام، أي بمعنى، غرض أخلاقي عالي

اللانهائي وواثق من نفسه على نحوٍ كاف. البطل التراجيدي يتخلى عما هو مؤكد لما هو أكثر تأكيدًا، وعينا المراقب تنظر إليه بثقة. لكن الشخص الذي يتخلى عن العام ليفهم شيئًا ما أسمى الذي هو ليس العام ـ ماذا يفعل؟ أمن الممكن ان يكون هذا شيئًا آخرًا سوى حيرة روحية؟ وإذا كان هذا ممكن، لكن الفرد يرتكب خطئًا، فأيّ خلاص هناك له؟ إنه يعانى كل محنة البطل التراجيدي، وحطم كل فرحه في العالم، تخلى عن كل شيء، وربما حصن نفسه في الوقت نفسه من الفرح الباذخ الذي كان غاليًا عليه بحيث إنه سيشتريه بأيّ ثمن. لا يستطيع المراقب أن يفهمه إطلاقًا؛ ولا تستقر عينيه عليه بثقة. ربما لم يكن من الممكن تحقيق بُغية المؤمن البتة، لأنها مستحيلة. أو إذا أمكن فعلها، لكن الفرد أساء فهم الإله ـ فأيّ خلاص سيكون بالنسبة إليه؟ البطل التراجيدي يحتاج ويطلب الدموع، وحيثما تكون العين الحسودة ناضبة جدًا بحيث لا يمكنها أن تنحب مع اغاممنون، لكن أين هي الروح الضالة التي تملك الجرأة على النحيب لإبراهيم؟ أنجز البطل التراجيدي مهمته في لحظة محددة في الزمن، لكن بمرور الزمن فقد فعل ما هو ليس أقل أهمية: قام بزيارة الشخص المطوق بالحزن، الذي ليس بوسعه التنفس بسبب تنهداته المفجوعة، الذي تضغط عليه أفكاره، مثقلة بالدموع. يظهر له، يقتحم سِحر الأسى، ويفك القيود، يستثير الدموع، والفرد المتألم ينسى معاناته في تلك المعاناة للبطل التراجيدي. لا يستطيع أحد أن ينحب على إبراهيم. يقترب منه المرء *برعب مقدس*[1] مثلما اقترب إسرائيل من جبل سينا. ماذا لو أنه نفسه يكون شديد الاضطراب، ماذا لو أنه ارتكب خطئًا، هذا الرجل المتوحد الذي يصعد جبل موريا، الذي يشرف

(1) في الأصل Horror religious، اي بمعنى دانماركي hellig rædsel

بقمته عاليًا فوق سهول عوليس، ماذا لو أنه لم يكنِ السائر في نومه الذي يعبر الهاوية بأمان، بينما الشخص الذي يقف عند أسفل الجبل ينظر إلى الأعلى، يرتعش بقلق، ومن ثم في اضطرابه ورعبه لا يجرؤ حتى أن ينادي عليه؟ ـ شكرًا، شكرًا مرة أُخرى، للرجل الذي، للشخص الذي غمرته أحزان الحياة وتُرِك عاريًا، يقدم الكلمات، أوراق شجر اللغة التي يخفي بها بؤسه. شكرًا لك، يا شكسبير العظيم، أنت الذي يمكنك أن تقول كل شيء، كل شيء، كل شيء كما هو تمامًا ـ ومع ذلك، لماذا أنت لم تنطق بوضوح كل هذا العذاب؟ أكنت تحتفظ بذلك ربما لنفسك، مثل اسم المحبوب الذي لا يستطيع أحد أن يتحمل أن يذكره العالم لأن الشاعر يشتري سلطة الكلمة هذه ليخبر كل أسرار الآخرين مقابل سرّ صغير، لا يستطيع هو أن يفصح عنه، والشاعر ليس حواريًا، إنه يطرد الشياطين فقط من خلال سلطة الشيطان. [1]

لكن عندما يكون الأخلاقي الآن بطريقة معطلا بشكل غائي، فكيف يوجد الفرد عندئذ الذي عُطِل فيه؟ إنه يوجد كفرد بالنقيض مع العام. فهل هو يأثم، إذن، لأن هذا هو شكل الإثم، من وجهة نظر الفكرة. وهكذا، على الرغم من أن الطفل لا يأثم، لأنه غير واعٍ بوجوده على هذا النحو، فإن وجوده من وجهة نظر الفكرة، هو مع ذلك إثما، والأخلاقي يسوق الحجة عنه في كل الأوقات. لو رُفض أن هذا الشكل يمكن أن يُكرر بطريقة التي لا تكون إثما، فقد نزل الحكم على إبراهيم. كيف وجد إبراهيم؟ كان لديه إيمان. هذه هي المفارقة التي بقي بوساطتها عند الذروة، المفارقة التي يتمكن أن يوضحها إلى أي شخص آخر، لأن المفارقة هي أنه وضع كفرد

---

(1) يطرد الشيطان فقط. انظر مرقس، 22، 15، 3

واحد يضع نفسه في علاقة مطلقة مع المطلق. هل هو محق؟ أن أحقيته مرة أُخرى هي المفارقة؛ لأنه لو يكون هذا، فلن يكون محقًا بمقتضى أن يكون شيئًا عامًا، بل بفعل أن يكون فردًا.

كيف يستطيع الفرد أن يضمن لنفسه أنه محق؟ من السهل جدًا أن يساوي كل الوجود بفكرة الدولة أو بفكرة المجتمع. لو فعل المرء هذا، فإنه يستطيع ببساطة كافية أيضًا أن يتوسط؛ وعليه لن يبلغ المرء المفارقة إطلاقا، بحيث إن الفرد باعتباره فردًا أعلى من العام، الذي أستطيع أن أُعبر عنه رمزيًا أيضًا في عبارة لفيثاغورس، أن العدد الفردي أكثر كمالًا من العدد الزوجي.[1] إذا يوجد هناك مصادفة أي رد على الإطلاق هذه الأيام بخصوص المفارقة، فإنها هي بلا شك كالتالي؛» المرء يقيمها من خلال النتيجة». واعيًا بأنه مفارقة لا يمكن فهمها، البطلَ الذي صار حجر عثرة[2] لعصره سيصرخ بثقة إلى معاصريه «النتيجة ستبرهن أنني كنت محقًا». نادرًا ما سمعت هذه الصرخة في عصرنا، طالما هي لا تنتج أبطالًا ـ هذا هو قصورها ـ ولديه كذلك أفضلية أنها تنتج أشباها[3] قليلين.

---

(1) الفيلسوف وعالم الرياضيات الإغريقي فيثاغورس (570 ـ 495 ق.م.) اعتبر العدد الفردي أكثر كمالًا من العدد الزوجي، لأن العدد الزوجي يمكن تقسيمه إلى نصف العدد الفردي، بينما العدد الفردي لا يمكن أبدًا تقسيمه إلى نصفين متساويين. لهذا فان العدد الفردي، بمعنى ما، غير قابل على القسمة؛ لو أراد المرء ان يقسمه فيسبقى هناك دائمًا شيئا غير مقسوم. وعليه يتبع عن هذا أنه ينبغي اعتبار العدد الفردي أكثر كمالًا من العدد الزوجي.

(2) ترجمة لمفردة forargelse وهي ترجمة تقريبية لتعقيد العبارة ولاحتوائها على معان مركبة متعددة في آن واحد. ويمكن أن تترجم، إساءة، انتهاك، زلة، حجر عثرة، اهانة، سخط، غضب، خزي، فظيع. إلخ.

(3) فضلت ترجمة غير حرفية لـ karrikaturer

عندما نسمع تلك الكلمات في عصرنا: فستقيّم عن طريق النتيجة ـ ومن ثم نعرف حالًا مع من لنا شرف الحديث. إن الذين يتحدثون بهذه الطريقة، هم صنف هائل الذين أصنفهم تحت اسم واحد «مساعدي أساتذة». بضمان في الحياة، فهم يعيشون في أفكارهم، ولديهم وظائف ثابتة ومستقبل مضمون في دولة منظمة جدًا. ويفصلهم مئة عام أو حتى أكثر من ألف عام عن هزّات الوجود، ولا يخافون أن مثل هذه الأمور يمكن أن تتكرر، فما الذي ستقوله الشرطة والصحف عندئذ؟ مهمة حياتهم هي أن يصدروا أحكامًا على الرجال العظماء، وأن يقيموهم طبقًا إلى النتائج. إن مثل هذا السلوك تجاه العظمة يبين خليط من التكبر والبؤس ـ التكبر لأنهم يشعرون أنهم مدعوون ليصدروا احكاما، والبؤس لأنهم يشعرون أن حياتهم لا ترتبط بأي حال مع حياة العظماء. كل شخص يملك محض ذرة من التفكير الراقي[1] لا يمكن أن يصبح دودة رخوة وباردة تمامًا، وعندما يقارب العظمة، فإنه لا يكون أبدًا خال من الفكرة التي منذ خلق العالم كانت مألوفة إلى النتيجة أن تصل أخيرًا، وأنه إذا كان على أحد حقًا أن يتعلم شيئًا من العظيم، فعليه أن يكون منتبها الى البداية بالذات. لو أن أي شخص على وشك أن يقوم بعمل عليه أن يحكم على نفسه طبقا للنتيجة، فإنه لن يبدأ أبدًا. على الرغم من أن النتيجة ربما تمنح الفرح إلى كل العالم،، فإنها لن تساعد البطل؛ لأنه لن يعرف النتيجة إلى أن ينتهى كل شيء، وأنه لن يصبح بطلًا عن طريق ذلك بل بفعل حقيقة أنّه بدأ.

لكن على اية حال فإن النتيجة في جدليتها (بمقدار ما يتعلق برد النهائي على سؤال اللانهائي) هي كليا بتناقض مع وجود البطل. أم هل

---

(1) ترجمة لـ erectiories ingenii

على إبراهيم بمعجزة أن يكون قادرًا على البرهنة أنه كان محقًا بربط نفسه كفرد مع العام؟ إذا كان إبراهيم فعلًا قد ضحى بإسحاق، فهل كان لذلك أقل أحقية؟

لكننا فضوليون حول النتيجة، كما نحن فضوليون حول الطريقة التي يختتم بها كتاب. لا نريد أن نعرف أي شيء عن الفزع، البلاء، المفارقة. نواصل غزلًا جماليًا مع الخاتمة. وهي تصل بصورة غير متوقعة، لكن تأتي أيضًا مثلما جائزة في اليانصيب من دون أي جهد، وعندما نسمع النتيجة، نكون قد بنينا أنفسنا. ومع ذلك فليس حرامي كنائس مقيّد يكون مجرمًا سافلًا كما هو هذا الذي ينهب المقدس بهذه الطريقة، ولا حتى يهوذا، الذي باع سيده مقابل ثلاثين قطعة فضة، يكون أكثر حقارة من الشخص الذي يعرض العظمة على هذا النحو إلى البيع.

إنه أمر معارض إلى طبيعتي أن أتكلم بلا إنسانية عن العظمة، أن أجعلها شكلًا بعيدًا غامضًا ومعتمًا أو أن أدعها تكون عظيمة خالية من الإنسانية التي تكف من دونها عن أن تكون عظيمة، لأنه ليس ما يحدث لي هو الذي يجعلني عظيمًا، لكن ما أفعل، وليس هناك أحد بالتأكيد من يعتقد أن شخصًا ما أصبح عظيمًا من خلال ربحه جائزة اليانصيب الكبيرة. ربما يكون شخص مولودًا في ظروف وضيعة، لكنني لا أزال أطلب منه أن يكون لا إنسانيا جدًا تجاه نفسه، بحيث يتمكن أن يتخيل قلعة الملك من مسافة بعيدة فقط ويحلم بصورة غامضة عن عظمتها، ويحطمها في الوقت نفسه الذي يرفع من شأنها بطريقة حقيرة. إنني أطلب منه أن يكون إنسانا للغاية أن يتعامل بثقة وبكرامة هناك أيضًا. ينبغي أن لا يكون لا إنسانيا جدًا بحيث إنه ينتهك بشكل مخز كل شيء بمداهمة صالون الملك من الشارع

مباشرة- إنه يفقد بهذا العمل أكثر من الملك. على العكس عليه أن يجد الفرح بمراقبة كلّ قاعدة احتشام بفرحٍ وحماسة واثقة، وهو ما سيجعله تماما صادقا وصريحا. وهذا محض تجانس، لأن الاختلاف هنا هو تعبير ناقص جدًا عن البُعد الروحي فقط. أدعو كل شخص أن لا يفكر بصورة لا إنسانية عن نفسه بحيث إنه لا يجرؤ أن يضع قدميه في تلك القصور حيث لا تعيش ذكرى الأفراد المختارين فحسب، بل وايضا أولئك المختارون انفسهم. عليه أن لا يندفع إلى الأمام بلا حياء ويفرض قرابته عليهم. عليه أن يكون فرحاً في كل وقت ينحني أمامهم، لكن عليه أن يكون واثقًا وصريحًا، ودائمًا أكثر من خادمة؛ فمالم يُرد أن يكون أكثر من ذلك، فإنه لن يدخل الى هناك. والشيء الذي سيساعده هو بالضبط الخوف والشقاء اللذين جُرِب العظيم فيهما، فخلافا لذلك، اذا كانت يوجد على الاقل شيء من نخوة فيه، فأنهم سيثيرون حسده الحقيقي. وأيّما يستطيع أن يكون عظيمًا من على بعد فحسب، وأيّما يريد الناس أن يجعلوا بعبارات فارغة وتافهة شيئًا عظيمًا - فإنهم يحولونه بأنفسهم إلى لا شيء.

هل وجد مرةً عظيما في العالم مثلما تلك المرأة المباركة، أمّ الرب، ماريا العذراء؟ ومع ذلك كيف نتحدث عنها؟ أن تقول أنها كانت مفضلة بين النساء لا يجعلها عظيمة، ولو لم يكن غريبًا بالنسبة لأولئك الذين ينصتون ليكونوا قادرين على التفكير بصورة لاإنسانية تمامًا مثل أولئك الذين يتحدثون، فينبغي على كل فتاة شابة أن تسأل: لماذا أنا لست مفضلة أيضًا؟ وإذا لم يكن عندي أي شيء إضافي أقوله، فعليّ بالتأكيد أن لا أرفض مثل هذا السؤال باعتباره أحمقًا؛ لأن كل فرد، من وجهة نظر تجريدية، مقابل التفضيل، يكون معنونًا إليه مثلما الآخر. لنتجاوز الشقاء، الخوف،

المفارقة. أفكاري نقية مثل أفكار شخص آخر، وهذا الذي يمكنه أن يفكر على هذا النحو، يملك بالتأكيد أفكارًا نقية، وإذا لم يكن كذلك، فيمكن أن يتوقع شيئًا مرعبًا، لأن أي فرد جرب مرة تلك التصورات لا يمكنه أن يتخلص منها ثانية، وإذا يأثم تجاهها، فإنها تأخذ ثأرها بصورة فظيعة في غضب صامت، الذي يكون أشدّ هولًا صخب عشر نقّاد شرسين. من المؤكد أن ماريا حملت الطفل بأعجوبة، لكنها مع ذلك حصلت عليه «على طريقة النساء»، ومثل هذا الزمن هو زمن الخوف، الشقاء، والمفارقة. كان الملاك في الواقع روحا خدومة، لكنه لم يكن روحًا مجاملة، الذي ذهب إلى الفتيات الشابات الأخريات في إسرائيل وقال: «لا تحتقرن ماريا، ما حصل لها شيء فوق الطبيعي». لكن الملاك ذهب إلى ماريا فقط، ولم يستطع أحد أن يفهمها. فهل أُعتدي على أية امرأة كما كانت ماريا، وليس صحيحًا هنا أيضًا، إن هذا الذي يباركه اللّه، يلعنه بالوقت نفسه؟ هذا هو رأي الروح عن ماريا، وهي بأي حال ـ ما يثيرني لقوله بل حتى كذلك أكثر إن الناس قيّموها بتفاهة ومداهنة على هذا النحو ـ إنها بأي حال ليست سيدة تتهادى بحليتها وتلعب مع طفل مقدس. وعندما قالت برغم هذا: انظر أنا خادمة الرب ـ فإنها عظيمة عندئذ، وأنا اعتقد، أنه ينبغي أن لا يكون صعبًا كي توضح لمَ اصبحت أم الرب. إنها بحاجة قليلة إلى أي إعجاب دنيوي، بقدر ما يحتاج إبراهيم الدموع؛ لأنها لم تكن بطلة، وهو لم يكن بطلًا، لكن لم أصبح كلاهما أعظم من هؤلاء، ليس بكونهما مستثنيان من الشقاء، والمحنة، والمفارقة اصبحا أعظم من خلالها.

إنه أمر عظيم حقا، عندما يقدم الشاعر بطله التراجيدي من اجل إعجاب الجمهور ويجرؤ أن يقول: «ابكِ من أجله، لأنه يستحق هذا. لأنه أمر عظيم

أن تستحق دموع أولئك الذين يستحقون ذرف الدموع. إنه أمر عظيم أن يجرؤ الشاعر على كبح جماح الحشد تحت السيطرة، أن يخضع الناس ليمتحنوا أنفسهم بصورة فردية كي يرى، فيما أنهم جديرون بالبكاء من أجل البطل، لأن الماء المندلق من المتباكين هو إهانة للبطل. ـ لكن الأعظم من كل هذا هو أن يجرؤ نبيل الإيمان على أن يقول للشخص النبيل الذي يَريد أن ينحب عليه: «لا تبكِ علي، بل ابكِ على نفسك».

نصبح متأثرين، ونحن للعودة إلى تلك الأوقات الجميلة. يقودنا حنين عذب وجداني إلى هدف أُمنيتنا كي نرى المسيح يطوف في الأرض الموعودة. ننسى الخوف، الشقاء والمفارقة. أكانت القضية سهلة على نحو بحيث نخطئها؟ ألم يكن مرعبًا، إن هذا الإنسان، الذي مشى بين الآخرين كان الله[1]، ألم يكن مرعبًا أن تجلس لتأكل معه على المائدة؟ أكانت قضية سهلة لتصبح رسولا؟ لكن النتيجة، القرون الثمانية عشر ـ التي تساعد، التي تساهم في الخديعة الرثة، التي نخدع أنفسنا بها والآخرين. لا أشعر بشجاعة كافية لأتمنى أن أكون معاصرا مع مثل تلك الأحداث، لكنني لا أحكم بقسوة، لذلك السبب، على أولئك الذين ارتكبوا خطأ، ولا أحتقر أولئك الذين رأوا ما كان حقيقة.

لكنني أعود إلى إبراهيم الآن. كان إبراهيم في الفترة قبل النتيجة، إما مجرما في كل دقيقة أو إننا نقف أمام مفارقة التي هي أعلى من كل التوسطات[2]:

ولهذا تتضمن قصة إبراهيم تعطيلًا غائيًا للأخلاقي. فهو كفرد صار أعلى

---

(1) يقصد كيركجورد هنا المسيح ـ الإنسان بهيئة الله

(2) mediationer يمكن أن تترجم أيضا الوساطات، التوسطات، المصالحات

من العام. هذه هي المفارقة، التي لا يمكن توسيطها[1]. كيف دخل فيها، أمر غير واضح تمامًا مثلما كيف بقي فيها. إذا لم يكن هذا هو حال إبراهيم، فليس إبراهيم حتى بطلًا تراجيديا بل قاتلًا. إنه أمر بلا معنى أن تريد الاستمرار بتسميته أب الإيمان، وتتحدث حول هذا إلى بشر لا يهتمون بشيء آخر سوى الكلمات. يمكن أن يصبح الإنسان بطلًا تراجيديا بقواه الخاصة، لكن ليس فارس للإيمان. عندما يسلك إنسان، ما هو بمعنى معين، طريق البطل التراجيدي الشاق، فهناك العديد الذين بوسعهم أن يقدموا له نصيحة، لكن هذا الذي يمشي درب الإيمان الضيق، ليس لديه أحد ينصحه، لا أحد يفهمه. الإيمان معجزة، مع ذلك، لا أحد مستبعد منه؛ لأن هذا الذي يوحد كل الحياة الإنسانية هو العاطفة، والإيمان هو عاطفة.[2]

---

(1) التوسط هنا بمعنى التوفيق بين الأضداد..وهو أيضا نقد غير مباشر لآراء هيغل حول نقض النقيض الذي ينتج عنه شيئًا أعلى بعد التوسط بينهما لتسوية التناقض.

(2) في مكان ما عبر ليسنغ بما يشابه ذلك من وجهة نظر جمالية خاصة. أراد أن يظهر في الواقع في هذه العبارة، أن الحزن يمكن أيضًا أن يولد تعبيرًا ذكيًا. أورد، وذلك في باله، كلمات قالها في ظرف خاص الملك الإنكليزي التعيس، إدوارد الثاني. وعلى النقيض من ذلك، أورد ديدرو: قصة حول زوجة فلاح وملاحظة منها: «
النص في الأصل بالألمانية:

Auch das war witz; und noch dazu witz einer Bauerin; aber die Umstande machten ihn unvermeidlich: Und folglich auch muss man die Entschuldigung der witzigen Ausdrucke des Schmerzes und der Betrubniss nicht darin suchen, dass die Person, welche sie sagt,eine vornehme, wohlezogene. Vertandige, und auch sonst witzige Person sey; denne die Leidenschaften machen alle Menschen wieder gleich: sondern darin, dass wahrscheinlicher Weise ein jeder Mensch ohne Unterschied in den namlichen Umstanden das namliche sagen wurde: Den Gedanken der Bauering hatte eine Konigin haben konnen und haben mussen: so wie das , was dort der konig sagt,auch ein Bauer hatte sagen konnen und ohne Zweifel wurde gesagt haben»: (Lessing'sSammiliche Schrifter bind 30, s.223.)

ويستمر (الترجمة العربية):

تلك كانت أيضا ذكية، بالإضافة إلى أنه ذكاء زوجة فلاح، لكن الظروف جعلتها حتمية. ومن ثم على المرء أن لا يبحث أيضًا عن تبرير للتعابير الذكية عن الألم والحزن في حقيقة أن الشخص الذي قالها كان بارعًا، وذا تعليم جيد، وذكيا، وشخص ذا معرفة أيضًا؛ لأن العواطف تجعل كل البشر متساوين ثانية. لكن من المرجح أن كل شخص بلا استثناء، أمكن أن يقول الشيء نفسه، في الظروف ذاتها. أمكن وانبغى أن تملك ملكة فكرَ زوجةِ فلاح، تمامًا مثلما أمكن الفلاح أن يقول وبلا شك قال ما قاله الملك هناك.

أما القصة التي اوردها الفيلسوف الفرنسي دينس ديدرو (1713 ـ 1784) فهي: كان لفلاحة والدان يعيشان في قرية قريبة منها. ارسلت زوجها في زيارة، لكن صهرها قام بقتل زوجها. وقعت الحادثة في بيت الوالدين حيث يمكن رؤية الزوجة وهي تتشبث بقدمي الزوج الميت بقنوط، بينما تقول باكية: آه، لو أنني فكرت حينها، عندما ارسلتك الى هناك، أن هذين القدمين سيحملانك إلى الموت؟

انظر (Denis Diderots: Entretiens sur le Files Naturel, 1757)

هل هناك واجب مطلق تجاه الله؟

الأخلاقي هو العام، وهو على هذا النحو الإلهي. ولهذا للمرء الحق أن يقول، إن كل واجب هو في الأساس واجب تجاه الله؛ لكن إذا كان المرء لا يستطيع أن يقول أكثر مما يقوله المرء فعلًا، بأنني لا أملك في الحقيقة أي واجب نحو اللّه. يصبح الواجب واجبًا حين يؤول إلى اللّه، لكنني لا أدخل في علاقة مع اللّه في الواجب نفسه. وعلى هذا النحو أنه واجب أن تحب جارك. إنه واجب، بكونه يؤول إلى الله؛ مع ذلك فهو ليس اللّه الذي أدخل معه بعلاقة في الواجب بل الجار الذي أحب. فلو قلت في هذا الصدد عندئذ، إن من واجبي أن أحب اللّه، فإنني أردد في الواقع كلامًا مكررًا[1] فقط، بقدر ما يفهم اللّه هنا بمعنى مجرد كامل باعتباره مقدس ـ بمعنى العام، أي الواجب. كل وجود الجنس الإنساني أكمل نفسه كليا كتام، كمجال تام في ذاته، ومن ثم يكون الأخلاقي في آن واحد ذلك المحدد والمالئ. يصبح اللّه نقطة خفية متلاشية، فكرة واهنة، وتكون قوته في الأخلاقي فقط، الذي يملأ كل الوجود. بقدر ما يتمنى أحد، إذن، أن يحب اللّه بأي معنى آخر من المعنى المشار إليه،

(1) الترجمة الحرفية «حشو كلام» أو «أطناب»

فأنه حينئذ يكون منفعلًا ويحب شبحًا الذي سيقول له، لو أنه يملك القدرة فقط على الحديث: «إبقَ حيث أنت، أنا لا أطلب محبتك.» بقدر ما يرغب أحد أن يحب الله ربما بطريقة أُخرى، فسيكون هذا الحب مشكوكًا فيه، مثل الحب الذي أشار إليه روسو عندما تحدث عن إنسان يحب قبائل[1] في جنوب إفريقيا بدلاً من جاره.

والآن إذا يكون كل هذا صحيحا، واذا لا يوجد شيء غير قابل للقياس في الحياة الإنسانية، لكن أي لاقياسية تكون فقط طبقا الى مصادفة ما، لا ينتج منها أي شيء طالما يكون الوجود منظورا اليه من الفكرة، عندئذ سيكون هيغل على حق. لكن ما لم يكن محقًا فيه هو، أن يتحدث عن الإيمان أو السماح للنظر إلى إبراهيم وعدّه مثل أبيه، لأنه قد أصدر في الحالة الأخيرة حكمًا على إبراهيم والإيمان معًا. في الفلسفة الهيغلية، أن *الظاهري*[2] *أعلى من* الجوّاني (الداخلي)؛ وقد وصِف هذا مرارًا بواسطة مثال. الطفل هو الداخلي[3]، والبالغ هو الظاهري؛ والنتيجة هي أن الطفل يكون محددًا بالضبط بالخارجي، وعلى العكس من ذلك يكون البالغ كخارجي محدد بالداخلي. لكن الإيمان هو المفارقة، حيث يكون الجواني أعلى من لظاهري، أو لنتذكر شيئًا قد قيل سابقا، إن العدد الفردي أعلى من العدد الزوجي.

لأن النظرة الأخلاقية إلى الحياة هي في الواقع مهمة الفرد، أن ينتزع نفسه من قرار الباطني ويعبر عن هذا في شيء ظاهري. وكل مرة يعزف

---

(1) من قبائل جنوب إفريقيا

(2) بالألمانية في الأصل: die entausserung, das innere

(3) بالألمانية في الأصل Das innere

الفرد عن فعله، كلما يريد أن يبقى في الداخل، أو يتسلل إلى المحدد الداخلي للمشاعر، المزاج، إلخ. عندئذ يرتكب خطيئة، ويكون في غواية. مفارقة الإيمان هي أن هناك باطني، الذي لا يكون قابلًا للمقايسة مع الظاهري، الداخلي الذي لا يكون متماثلًا، وهذا ما ينبغي تذكره، مع الأول داخلي جديد. وينبغي عدم تجاهل هذا. سمحت الفلسفة الجديدة لنفسها ببساطة أن تستبدل المباشر بالإيمان.[1] وحين يفعل المرء هذا، فإن من المضحك نكران أن الإيمان كان موجودًا في كل الأزمنة. هذا إنما يضع الإيمان في رفقة عادية للمشاعر، والمزاج، وفرط الحساسية والهستيريا وغيرها. وإذا كان هذا هو الحال، فربما تكون الفلسفة مصيبة في القول، إن على المرء أن لا يتوقف عند ذلك. لكن لا شيء يعطي الفلسفة الحق لاستخدام هذه اللغة. تسبق حركة لانهائية الإيمان، وقتذاك يدخل الإيمان دون توقع[2] فحسب، بمقتضى اللامعقول. وبوسعي أن أفهم هذا بالتأكيد من دون الادعاء من ثم أن لدي إيمانًا. إذا لا يكون الإيمان شيئًا أكثر مما تصرح به الفلسفة أن يكون، فقد مضى سقراط فعلًا إلى أبعد، أبعد إلى حد كبير، بدلًا من العكس، بأنه لم يصل إليه. لقد قام، بمعنى فكري، بحركة اللانهائي. جهله هو الاستسلام اللانهائي. هذه المهمة وحدها هي مهمة ملائمة لقدرات بشرية، حتى لو أن الناس يزدرونها في الوقت الحالي؛ لكن عندما يُفعَل هذا فقط، عندما أفرغ الفرد نفسه في اللانهائي فقط، عندئذ فحسب يبلغ النقطة حيث يمكن للإيمان أن يظهر.

هذه هي مفارقة الإيمان، أن الفرد الواحد أعلى من العام، أن الفرد

---

(1) يقصد الذي يمكن معرفته ورؤيته وله راهنية

(2) في الأصل nec opniate

الواحد ـ لكي نذكر بتمييز دوغمائي نادر في هذه الإيام ـ يقرر علاقته مع العام خلال علاقته بالمطلق، ليس علاقته بالمطلق خلال علاقته مع العام. ويمكن التعبير عن المفارقة بهذه الطريقة: إن هناك واجبا مطلق تجاه اللّه، لأنه في هذه العلاقة من الواجب يربط الفرد نفسه، بصورة مطلقة، كفرد بالمطلق. أن يقال، بهذا الخصوص، إنه واجب أن تحب اللّه، يعنى شيئًا مختلفًا تمامًا ما أشير إليه أعلاه؛ فلو أن هذا الواجب مطلق، عندئذ يُقلَص الأخلاقي إلى النسبي. ولا ينتج من هذا، مع ذلك، أنه ينبغي إلغاء الأخلاقي. بل يأخذ تعبيرًا مختلفًا تمامًا، تعبيرًا مفارقًا، نحو، على سبيل المثال، أن حب اللّه يمكن أن يجلب فارس الإيمان كي يمنح حبه التعبير المناقض تقريبًا لما كان من وجهة نظر أخلاقية واجبًا.

وإذا لم يكن الأمر على هذا المنوال، فليس للإيمان مكان في الوجود، وبهذا يكون الإيمان غواية، ويكون إبراهيم خاسرًا، طالما أنه استسلم لهذا.

هذه المفارقة لا تسمح بالتوسط؛ لأنها تتعلق بالضبط بأن وجود الفرد هو الفرد. وحالما يريد أن يعبر هذا الفرد عن واجبه المطلق في العام، ويصبح واعيًا به في العام، فأنه يقرّ أنه منخرط في غواية روحية، ومن ثم، إن هو يقوم بمقاومتها حقا فأنه لن ينجز ما يسمى الواجب المطلق، وإذا هو لم يفعل هذا، فإنه يأثم، حتى وإن بدا عمله *كواقع*[1] أن يكون ما كان واجبه المطلق. وعليه ماذا كان على إبراهيم أن يفعل؟ لو أنه أراد ان يقول لإنسان آخر: «أنا أحب إسحاق أكثر من أي شيء في العالم، ولهذا فمن الصعب جدا بالنسبة لي التضحية به» ـ لكان الآخر قد هز على الأرجح رأسه وقال: «لماذا تريد، إذن،

(1) ترجمة لعبارة realiter

أن تضحي به؟ أو لو كان الآخر ذكي، فمن المحتمل أنه استشف من خلال إبراهيم، وأدرك أنّه كان يخذل مشاعراً تقف في تناقض صارخ مع صنيعه.

إننا نجد في قصة إبراهيم مثل هذه المفارقة. وعلاقته بإسحاق من وجهة نظر أخلاقية هي هذه، أن على الأب أن يحب الابن. هذه العلاقة الأخلاقية قُلصت إلى أمر نسبي مقابل العلاقة المطلقة بالله. عن السؤال، لماذا؟ لم يكن لدى إبراهيم جواب آخر سوى أنه امتحان، ابتلاء، التي هي، مثلما أشرنا أعلاه، وحدة كونها من أجل اللّه وفي سبيل نفسه. هذان التعريفان يتطابقان في الاستخدام اللغوي العادي أيضًا. وهكذا عندما نرى شخصًا يفعل شيئًا ما لا يتوافق مع العام، نقول، «إنه يفعل ذلك بالكاد في سبيل اللّه». ونعني بهذا أنه يفعله من أجل نفسه. فقدت مفارقة الإيمان الوسيط، أي العام. فمن جهة فإنها تتضمن تعبيرًا عن أقصى أنانية (القيام بعمل المرعب، يقوم به من أجل نفسه)، ومن الجانب الآخر التعبير عن أعظم ولاء مطلق، القيام به في سبيل اللّه. لا يمكن توسط الإيمان ذاته في العام، لأنه في تلك الحالة سيكون ملغيًا. الإيمان هو هذه المفارقة، ويكون الفرد عاجزًا تمامًا عن جعل نفسه مفهومًا لأي فرد آخر. يوهم المرء نفسه، أن الفرد يمكن أن يجعل نفسه مفهوما لفرد آخر، الذي يكون في الوضع نفسه. كانت مثل هذه النظرة متعذرة، لو لم يحاول المرء في زمننا التسلل بطرق مختلفة إلى العظمة. لا يستطيع أحد فرسان الإيمان أن يساعد الآخر. فأمّا أن يصبح الفرد نفسه فارس الإيمان بقبوله المفارقة، أو أنه لن يصبح الفارس أبدًا. الشراكة في تلك المناطق غير وارد تمامًا. وحده الفرد يستطيع أن يقدم لنفسه مرة توضيحًا أكثر صراحة عمّا يمكن أن يكون مفهومًا من قبل إسحاق. وإذا كان الإنسان يستطيع، علاوة على ذلك، أن يقرر ببعض

الدقة بنفسه، بعبارات عامة، ما الذي يمكن أن يفهمه لدى إسحاق (التي ستكون في كل الأحوال أكثر تناقضًا ذاتيًا لا مضحكًا ـ أن يوضع الفرد الذي يقف في الواقع، خارج العام، تحت مقولات عامة، عندما يكون عليه أن يعمل بالضبط كفرد خارج العام)، لن يكون الفرد قادرًا أبدًا على أن يكون مقتنعًا بهذا من خلال الأخرين، بل من قبل نفسه فقط كفرد. ولهذا حتى لو كان إنسان ما جبانًا وخسيسا للغاية ليريد أن يصبح فارس إيمان على أساس مسؤولية شخص آخر، فإنه لن يصبح ذلك أبدًا؛ لأن الفرد فقط يستطيع أن يكون ذلك، كفرد ـ وهذه هي العظمة، التي أستطيع أن أفهمها بصورة جيدة دون أن أصبح منخرطًا فيها، طالما تنقصني الشجاعة ـ لكن هذه هي أيضًا أمر مرعب، التي يمكنني أن أفهمها حتى بصورة أفضل.

كما هو معروف للجميع، يقدم لوقا في 14.26 تعاليما مدهشة حول الواجب المطلق تجاه اللّه: «لو أي إنسان يأتي إلي، ولا يكره أبيه، وأمه، وأخته وأطفاله، وأخوته وأخواته وزوجه أيضًا، فلن يكون من أتباعي». هذ ا قول قاسٍ، من يتحمل أن يسمعه؟ ولهذا السبب، أيضًا، نادرًا ما نسمعه. مع ذلك فإن هذا الصمت مجرد هروب بلا جدوى. بينما يتعلم طالب اللاهوت، إن تلك الكلمات ترد في الإنجيل الجديد، وأنه يجد في واحدة أو أُخرى من الكتب المساعدة التفسيرية المعلومات، *أن تكره* [1] في هذا العبارة وفي بعض العبارات الأخرى، استخدمت بتبني معنى *أضعف* [2] لتعني حب *أقل*، *وأعطِ أفضلية أقل*، *لا تظهر احتراما*، *لا تعتبره شيئا* [3]. إن

(1) ترجمة في الاصل باللاتينية misein

(2) في الاصل per meiosin

(3) باللاتينية في الاصل minus diligo, posthabeo, non colo, nihili facio

السياق الذي تظهر فيه تلك المفردات، لا تبدو على أي حال مؤيدة لهذا التفسير السائغ. ففي الآية التي تليها هناك قصة حول شخص يريد إقامة برج يقوم أولًا بتقدير صارم ليرَ فيما إذا كان هو قادر على إنجازه، لئلا يكون هدفًا للسخرية لاحقًا. الرابط الوثيق بين هذه القصة والآية المُشار إليها أعلاه تبدو أنها تظهر أنه ينبغي أخذ الكلمات بمعناها المرعب الكامل لكي يختبر كل فرد ربما نفسه ليرَ فيما هو يستطيع أن يشيد البناء.

لو أن هذا المفسر الورع والرؤوف، الذي يأمل، عبر المساومة بهذه الطريقة، بتهريب المسيحية إلى العالم، أنه نجح في إقناع إنسان واحد عن أن هذا كان هو معنى هذه العبارة، سواء نحوي، لغوي، ومن خلال القياس، ومن ثم أنه يكون من المؤمل قد نجح في نفس اللحظة بإقناع الإنسان نفسه، بأن المسيحية هي أكثر الأمور بؤسا في هذا العالم. لأن هذا التعليم، الذي في أفضل اندفاعته الشعرية، الذي يفيض فيه الوعي بحقيقته الأبدية بأقوى صورة، لا يملك أي شيء يقوله سوى كلمات صاخبة، التي لا تعني شيئًا، لكنها تصف فقط، إن على المرء أن يكون أقل رحمة، أقل اهتماما، أكثر لامبالاة؛ هذا التعليم الذي يقدم، في هذه اللحظة، مظهرًا بالرغبة لقول شيء مرعب، ينتهي إلى أن يسيل لُعابا بدلًا من إثارة الرعب ـ هذا التعليم لا يكون ذا قيمة بالتأكيد للنهوض من أجله.

الكلمات مرعبة، لكنني متأكد بصورة كافية، أنه يمكن فهمها من دون أن يكون بالضرورة أن الشخص الذي فهمها يمتلك الشجاعة للقيام بما فهمه. مع ذلك ينبغي على المرء أن يكون هناك صدق للغاية ليقر بما قيل، أن يعترف أن ذلك عظيم، حتى وإن تعوز المرء الشجاعة للقيام به. كل شخص يعمل على هذا النحو لن يقصي نفسه من المساهمة في هذه القصة الجميلة، لأنها

بشكل ما تتضمن في الواقع نوعًا من الراحة إلى الإنسان الذي يفتقر إلى الشجاعة للبدء بتشييد البرج. لكن عليه أن يكون صادقًا، وعليه أن يتحدث عن هذا النقص في الشجاعة باعتباره إذلال، طالما الأمر يكون، على العكس من ذلك، فخرًا، بينما شجاعة الإيمان هي الشجاعة الوحيدة الذليلة.

من السهل أن نرى الآن، أنه لو اقتضى أن يكون لهذه العبارة أي معنى، فينبغي فهمها حرفيًا. اللّه هو الذي يطلب حب مطلق. أي إنسان يعتقد، في المطالبة بحب شخص، إن هذا الحب يتم البرهنة عليه من خلال أن يصبح لا مباليًا تجاه كلّ من كان عزيزًا عليه، لا يكون أنانيًا فحسب، بل أحمقًا أيضًا، كل إنسان يطلب مثل هذا الحب في آن واحد يوقع على شهادة موته بقدر ما تركزت حياته في هذا الحب المبتغى. مثلًا، يطلب الرجل من زوجته أن تترك أباها وأمها، لكن إذا عدّه دليلًا على حبها الاستثنائي له بحيث إنها غدت من أجله ابنة خاملة ولامبالية الخ، فهو حماقة من الأحمق. لو أن لديه أية فكرة عن ما هو الحب، فإنه سيرغب أن يكتشف أنها كانت كاملة في حبها كابنة وأخت، وسيرى في ذلك أنها ستحبه أكثر من أي شخص آخر في المملكة.. ولهذا فما تم اعتباره كعلامة للأنانية والغباء في شخص، ربما يمكن أن يُعتبر بمساعدة المفسر كتمثيل قيّم للإله.

لكن كيف يكرههم، عندئذ؟ لا أريد أن أذكر هنا حول الفرق الإنساني بين أن تحب أو أن تكره، ليس لأن لدي الكثير ضده، لأنه مع ذلك تباين عاطفي، لكن لأنه أناني ولهذا غير ملائم هنا. لكن لو أنني أعدّ المهمة كمفارقة، فإنني أفهمها، أي، إنني أفهمها على النحو الذي يفهم بها المرء مفارقة. يستطيع الواجب المطلق أن يقود إنسانا إلى أن يعمل ما ستمنعه الأخلاق، لكنه لا يمكن أن يقود فارس الإيمان للتوقف عن الحب. برهن

إبراهيم على هذا. في اللحظة التي كان على وشك أن يضحي بإسحاق، يكون التعبير الأخلاقي لما يفعل هو التالي: إنه يكره إسحاق. لكن لو أنه فعلا يكره إسحاق، فانه يمكن أن يكون متأكدًا، إن اللّه لم يطلب هذا منه، لأن قايين وإبراهيم غير متشابهين. عليه أن يحب إسحاق بكل روحه. طالما أن اللّه طلب إسحاق، فعليه إن أمكن أن يحبه حتى أكثر، وحينها فقط يمكنه أن يضحي به، لأن هذا الحب لإسحاق في الحقيقة الذي يجعل صنيعه تضحية بتناقضه المفارق مع حبه إلى اللّه. لكن البلوى والفزع في المفارقة، هو أنه، من وجهة نظر إنسانية، عاجز تمامًا عن جعل نفسه مفهوما. فقط اللحظة عندما يكون صنيعه في تناقض مطلق مع أحاسيسه، حينها فحسب يضحي بإسحاق، لكن حقيقة فعله أنه يكون منتميًا بواسطته إلى العام، وهناك يكون هو ويبقى قاتل.

ينبغي، علاوة على ذلك، فهم العبارة لدى لوقا على هذا النحو بحيث إن المرء يدرك أن فارس الإيمان لا ينجز تعبيرا أعلى البتة من العام (كأخلاقي) الذي يمكن أن ينقذ نفسه فيه. وهكذا لو تخيلنا أن الكنيسة ابتغت الإصرار على هذه التضحية من أحد أعضائها، فسيكون لدينا بطلا تراجيديا فقط. لأن رأي الكنيسة لا يختلف نوعيًا عن رأي الدولة، حالما يستطيع الفرد عبر توسط بسيط أن يدخله، وحالما يكون الفرد قد داخل في المفارقة، فإنه لم يبلغ رأي الكنيسة؛ وهو لا يخرج من المفارقة، بل عليه أن يجد إما خلاصه أو لعنته في داخلها. يعبر البطل الكنسي عن العام في صنيعه، ولا يوجد أحد في الكنيسة، ولا حتى أمه أو أبوه، وغيره، سيقصر عن فهمه. مقابل ذلك، فهو ليس فارس الإيمان، ولديه جواب مختلف عن جواب إبراهيم؛ فهو لا يقول إنه امتحان أو غواية يُختبر بها.

كقاعدة يحجم المرء عن الاستشهاد بعبارات مثل هذه التي وردت عند لوقا. نحن خائفون أن ندع الناس ينطلقون، نخاف أن الأسوأ سيحدث حالما يشعر الفرد أنه يريد أن يتصرف كفرد. علاوة على ذلك، يعدّ العيش كفرد أن يكون أسهل الأشياء في العالم، ولهذا ينبغي إجبار الناس على أن يكونوا العام. أما أنا فلا أستطيع أن أشاطرهم لا ذلك الخوف ولا هذا الرأي ولنفس السبب. وهذا الذي تعلّم، أن يوجد كفرد هو أكثر الأشياء رعبًا من كل شيء، عليه ان لا يخشى أن يقول هذا هو أعظم شيء، لكن عليه أن يقول هذا بطريقة بحيث نادرا ما تصبح كلماته شركًا لشخص تائه، بل على العكس تعينه في العام، حتى وإن تفسح كلماته مكانًا صغيرًا إلى العظيم. وهذا الذي لا يجرؤ أن يذكر مثل هذه العبارات، لا يجرؤ كذلك أن يذكر إبراهيم. أن تفكر بأن توجد كفرد قضية سهلة للغاية، يتضمن تنازلًا مريبًا جدًا غير مباشر فيما يخص نفسه؛ لأن هذا الذي يحترم نفسه حقا وقلق من أجل روحه، يكون متأكدا من أن هذا الذي يعيش تحت مراقبته الذاتية فقط في العالم دون تحديد، يعيش بصرامة وعزلة أكثر من بكر في عريش عذريتها. ربما يوجد هناك من الذين يحتاجون إلى الإجبار، الذين لو منحوا الحرية فسيطلقون العنان لأنفسهم في شهوات أنانية مثل حيوانات لا يكبح جماحها، هو أمر حقيقي، لكن على المرء أن يبين بالضبط أن لا ينتمي إليهم بإظهار أنه يعرف كيف يتحدث بخوف ورعشة، وعليه أن يتحدث من منطلق الاحترام نحو العظمة، بحيث لا ينسى ذلك خشية من الأذى، الذي لن يظهر بالتأكيد لو هو يتحدث انطلاقًا من معرفة العظمة، معرفة رعبها، وإذا لا يعرف المرء الرعب، فإنه لا يعرف العظمة كذلك.

دعونا إذن نتأمل بتفصيل أكثر إثر الشدّة والخوف في مفارقة الإيمان.

يتخلى البطل التراجيدي عن نفسه لكي يعبر عن العام؛ أما فارس الايمان فيتخلى عن العام لكي يصبح فردًا. كما قيل، كل شيء يعتمد على وضع الشخص. فالشخص الذي يعتقد أن من السهل نوعا ما أن يكون فردًا، يستطيع على الدوام أن يكون متأكدًا بأنه ليس فارس الإيمان؛ لان العباقرة الضالين والمتسكعين ليسوا رجال إيمان. فارس الإيمان هذا يعرف، على العكس، أنه أمر رائع أن ينتمي إلى العام. إنه يعرف أنه جميل وحميد أن يكون الفرد الذي يترجم نفسه في العام، الفرد الذي، كما يقال، ينتج شخصيا نسخة أنيقة ونظيفة، وسليمة قدر الإمكان، من نفسه، ومقروء من الجميع. هو يعرف أنه أمر باعث للبهجة أن يصبح مفهومًا لنفسه في العام، بطريقة، بحيث إنه يفهم العام، وكل فرد الذي يفهمه يفهم بالمقابل العام فيه، وكلاهما يبتهج في أمان العام. هو يعرف أن من الجميل أن يولد كفرد الذي لديه بيته في الكون، إقامته الأنيسة، الذي يستقبله مباشرة بذراعين مفتوحتين، عندما يرغب أن يبقى فيه. لكنه يعرف أيضًا، إن هناك في مكان أعلى منه يلتف طريقٌ ضيقٌ ومنحدرٌ. هو يعرف، أن من المرعب، أن يولد في عزلةٍ خارج العام، أن يتجول دون أن يقابل متجولًا واحدًا. هو يعرف جيدًا جدًا أين هو، وكيف يرتبط بالناس. فهو، من وجهة نظر إنسانية، مجنون ولا يستطيع أن يجعل نفسه مفهومًا إلى أي أحد. ومع ذلك أن يكون «مجنونًا» هو أكثر تعبير معتدل. إذا لم يُنظر إليه على هذا النحو، فإنه منافق، وكلما ارتقى أعلى في هذا الطريق، كلما يكون مرائيًا مرعبًا أكثر.

يعرف فارس الإيمان، أنه أمر مبهر أن يخضع نفسه إلى العام، إن ذلك يتطلب الشجاعة لعمله، لكن ثمت راحة فيه أيضًا، لأنه بالذات استسلام إلى العام؛ هو يعرف أنه أمر رائع أن يكون مفهومًا من قبل كل عقل نبيل،

وعلى نحو، إن المراقب نفسه يعظّم. ذلك يعرفه، ويشعر كأنه مقيد، وأمكنه أن يتمنى أن هذه كانت المهمة التي قد عهدت إليه. وامكن بنفس الطريقة إبراهيم حتما أن يتمنى أحيانا بأن المهمة كانت أن يحب إسحاق بطريقة كما اعتاد أن يحب أب، مفهومًا للجميع، وتذكره كل العصور. أمكن أن يتمنى، أن المهمة كانت أن يضحي بإسحاق في سبيل العام، وأنه تمكن أن يحمّس الآباء على مآثر عظيمة ـ وكان مرعوبًا تقريبًا من فكرة، إن مثل هذه التمنيات هي بالنسبة إليه مجرد امتحانات، وينبغي معالجتها كذلك؛ لأنه يعرف، أنه طريق أعزل، وأنه لا يفعل أي شيء من أجل العام، وإنما وحده يمتحن ويبتلى. ماذا أنجز إبراهيم من أجل العام؟ دعوني أتحدث بصورة إنسانية حول هذا الأمر، بصورة إنسانية خالصة! لقد احتاج إلى 70 عام كي يحصل على ابن في الشيخوخة. فما يحصله الآخرون بسرعة كافية ويسعدون به لفترة طويلة، احتاج هو إلى 70 عامًا. لماذا؟ لأنه أُختِبر وأُمتحِن؟ أليس ذلك جنونًا؟ لكن إبراهيم آمن، أما سارة فقط ترددت وجعلته يصطحب هاجر كخليلة؛ لكن كان عليه لذلك السبب أيضًا أن يطردها. لقد حصل على إسحاق، ولذا ينبغي أن يُختبر مرة أُخرى. لقد عرف، أنه أمر رائع أن يعبر عن العام، وعظيم أن يعيش مع إسحاق. لكن ليست هذه هي المهمة. لقد عرف، أنه أمرٌ ملكي أن يضحي بمثل هذا الابن من أجل العام، وكان سيجد السكينة فيه، وكان كل شخص سيجد الراحة في استحسان صنيعه، مثلما يستريح الحرف الصائت في اللفظ الخامد.[1] لكن هذه ليست هي المهمة ـ أن يمتحن. القائد الروماني المعروف باسم

(1) القائد الروماني فابيوس ماكسيموس توفي 203 ق. م اعلن عام 217 ق.م. الحرب على قوات هانيبال باستراتيج المماطلة ولذلك سمي بكونكتاتور أي المؤجل.

كونكناتور أوقف العدو من خلال تكتيكه المماطل ـ لكن أي ضرب من المماطلين كان إبراهيم بالقياس إليه ـ لكنه لم ينقذ الدولة. هذا هو مضمون 130 عام. من يتحمله؟ أما كان على عصره، لو كان هناك ما يمكن التحدث عن شيء كهذا، أن يقول» ثمت شيء مماطل في إبراهيم، أخيرًا حصل على ابن، وقد استغرق هذا وقتًا طويلًا، والآن يريد هو أن يضحي به ـ أليس هو مجنونا؟ لو أنه تمكن، على أقل تقدير، أن يشرح لماذا أراد أن يفعل ذلك، لكن الأمر على الدوام هو امتحان». لم يستطع إبراهيم أن يوضح أكثر، لأن حياته مثل كتاب وضع تحت حجز إلهي ولن يصبح أبدًا *ملكية عامة*.[1]

هذا هو المرعب. أيّ فرد لا يستطيع رؤية هذا يمكن أن يكون متأكدًا تماما أنه ليس فارس إيمان؛ لكن هذا الذي يرى هذا لن ينكر أن حتى أكثر الأبطال التراجيديين الممتحنين يمشي كما في رقصة مقارنة مع التقدم البطيء والزاحف لفارس الإيمان. وبعد أن رأى هذا وادرك أنه لا يملك الشجاعة لفهمه، فينبغي ان يكون لديه على الاقل فكرة ما عن المجد الباهر، الذي حققه فارس الإيمان ذلك، بأن يصير مؤتمن اللّه. صديق الرب، و- وأن علي أن أتحدث بصورة إنسانية خالصة ـ أنه يقول «أنت» إلى اللّه في السماء، بينما حتى البطل التراجيدي يخاطبه فحسب بصيغة الشخص الثالث.

وما إن ينتهي البطل التراجيدي قريبًا، وتكون معركته قد انتهت، يقوم بالحركة اللانهائية وهو الآن آمن في العام. لكن فارس الإيمان يكون في حالة أرق، لأنه تحت اختبار مستمر، ويمكن ان يعود بندم الى العام في

---

(1) في الأصل publici juris

كل لحظة، ويمكن ان تكون هذه الإمكانية غاوية تماما كالحقيقة ايضا. لن يتمكن من الحصول على أي معلومة عن ذلك من أي إنسان، لأنه سيكون في تلك الحالة خارج المفارقة.

لدى فارس الإيمان، قبل كل شيء، عاطفة ليكثف في لحظة واحدة كل الأخلاق التي خرقها لكي يطمئن نفسه أنه يحب حقًا إسحاق بكل روحه.[1] إذا لم يكن ذلك، فإنه يكون في حالة ابتلاء روحي. من ثم لديه العاطفة لينتج في لحظة كل هذا اليقين وبطريقة بحيث يكون صحيحًا كما في المثال الأولى. إذا لا يستطيع أن يفعل هذا، فإنه لن يغادر المكان، لأن عليه من ثم أن يبدأ باستمرار من البداية مجددًا. يكثف البطل التراجيدي أيضًا الأخلاقي، الذي انتهكه بصورة غائية، في نقطة واحدة[2]، لكنه يملك في هذا المجال ملاذًا في العام. يملك فارس الإيمان نفسه فقط،

---

(1) ربما علي أن اوضح مرة أُخرى الفارق بين تصادم البطل التراجيدي وبين تصادم فارس الإيمان. البطل التراجيدي يضمن لنفسه أن الواجب الأخلاقي يكون موجودًا كليًا فيه بتحويله إلى أُمنية. هكذا يمكن أن يقول آغامنون: بالنسبة لي دليلي على أنني لم أخرق واجبي الأبوي، هو أن واجبي هو أمنيتي الوحيدة فحسب. ومن ثم لدينا الأمنية والواجب وجها لوجه. مفرحة هي الحياة التي فيها يتوافقان، التي فيها، وأن أمنيتي فيها هي واجبي والعكس أيضًا، ومعظم الناس في الحياة يكون الواجب في الحياة هو ببساطة أن يلتزموا بواجبهم، وأن يحولوه عبر حماسهم إلى أمنيتهم. أما البطل التراجيدي فإنه يتنازل عن أمنيته لكي ينجز هذا الواجب. بالنسبة لفارس الإيمان، الأمنية والواجب متماثلان أيضًا، لكن يطلب من فارس الإيمان أن يتخلى عن الاثنين، عندئذ لن يجد راحة؛ لأنه في النتيجة واجبه. لو أنه يريد أن يلتزم بواجبه وأمنيته فلن يصبح فارس الإيمان؛ لأن الواجب المطلق يقتضي بصورة محددة أن عليه أن يتخلى عنه. وجد البطل التراجيدي تعبيرا أعلى عن الواجب، لكن ليس واجبًا مطلقًا.

(2) بمعنى في نقطة ذات معنى حاسم

وهنا يكمن الشيء المرعب. يعيش أكثر الناس في التزام واجب أخلاقي على نحو، بحيث يسمحون لكل يوم ان يكون له أحزانه، لكنهم لا يبلغون عندئذ أبدا إلى هذا التركيز العاطفي، إلى هذا الوعي الحيوي. للحصول على ذلك يمكن للعام أن يساعد البطل التراجيدي، لكن فارس الإيمان وحيد حول كل شيء. يفعل البطل التراجيدي هذا ويجد في راحته في العام، بينما فارس الإيمان يبقى باستمرار في توتر. يتخلى آغاممنون عن إفيجينيا، ولهذا يجد الراحة في العام، والآن يتقدم ليضحي بها. لو لم يقم آغاممنون بالحركة، لو كانت روحه، في اللحظة الحاسمة، بدلًا من التركيز العاطفي، ضائعة في اللغو العام حول حصول عدد من البنات *وربما أمكن أن يحدث* ذلك بصورة *استثنائية*[1] فهو من الطبيعي ليس بطلًا، بل هو *نزيل في مؤسسة خيرية*[2] لدى إبراهيم تركيز البطل أيضًا، على الرغم من أن الأمر أكثر صعوبة بالنسبة إليه، طالما أنه لا يملك ملاذًا إطلاقا في الكون، لكنه يقوم بحركة إضافية يضم بها روحه ثانية إلى المدهش. لو أن إبراهيم لم يفعل ذلك لكان مجرد آغاممنون، بقدر ما يمكن، خلاف ذلك، توضيح كيف يمكن تبرير الرغبة للتضحية بإسحاق، عندما لا يكون العام بذلك مفيدًا.

فيما إذا يجتاز الفرد حيرة روحية حقًا، أم أنه فارس إيمان، فهو أمر يقرره الفرد وحده. لكن من الممكن أن يستنتج من المفارقة ذاتها عدة دلائل خاصة التي تكون مفهومة أيضًا إلى إنسان ليس فيها. فارس الإيمان الحقيقي هو دائمًا عزلة مطلقة، أما الفارس المزيف فهو طائفي. وهذه

---

(1) بالألمانية في الأصل vielleicht das Ausserordentlich

(2) في الأصل hospitalslem

هي محاولة للانفصال عن درب المفارقة الضيق ويصبح بطلًا تراجيديًا بثمن زهيد. البطل التراجيدي يعبر عن العام ويضحي بنفسه من أجله. لدى السيد جاكل[1] الطائفي بدلاً عن ذلك مسرحه الخاص، بعض الأصدقاء الجيدين والرفاق الذين يمثلون العام تقريبًا كما الشهود العامين في *علبة السعوط الذهبية* يمثلون العدل. لكن فارس الإيمان، من الجهة الأخرى، هو المفارقة؛ إنه الفرد، لا شيء مطلقًا سوى الفرد، من دون ارتباطات وتعقيدات. هذا هو الرعب الذي لا يتحمله الطائفي التافه. عوضًا عن أن يتعلم من هذا أنه عاجز عن القيام بالأمر العظيم، ومن ثم يعترف بهذا بصراحة ـ الشيء الذي لا أستطيع سوى أن أقره بالتأكيد، طالما أن هذا هو ما أقوم به نفسي ـ يعتقد البائس المسكين، أنه من خلال الاتحاد مع آخرين بائسين فقراء، أنه سيكون قادرًا على فعل هذا. لكن هذا ليس هو الحال تمامًا، لا يمكن التساهل بالخداع في عالم الروح. يمضي دَزّينة من الطائفيين ممسكين بعضهم ساعداً بساعدٍ، لا يعرفون أي شيء إطلاقا عن الحائرين العُزل، الذين ينتظرون فارس الإيمان، والذي لا يجرؤ أن يتبعهم، لأن هذا سيكون بالضبط أكثر رعبًا، لو أنه اندفع بتماد في طريقه إلى الأمام. يصمّ الطائفيون بعضهم بعضا بالضجيج والصياح، ويطردون الفزع عنهم بواسطة الصراخ، وتفكر صحبة صاخبة في نزهة أحد[2] تعتقد انها تقتحم السماء، وتعتقد انها تتبع نفس طريق فارس الإيمان، الذي لا يسمع في عزلة الكون صوتًا أبدًا بل يخطو وحيدًا مع مسؤوليته المرعبة.

---

(1) Mester Jakel السيد جاكل شخصية من مسرح الدمى. على أكثر تقدير أن كيركجورد شاهد العرض في حديقة الحيوانات حيث تعود إلى الأحداث الأكثر شعبية في ذلك الوقت.

(2) الترجمة الحرفية هي «صحبة في حديقة حيوان صاخبة

أرشد فارس الإيمان نفسه بمفرده؛ إنه يشعر بالألم بكونه لا يستطيع أن يجعل نفسه مفهومًا للآخرين، لكنه لا يشعر بأي رغبة عابثة كي يرشد الآخرين. الالم هو الضمانة له، لا يعرف رغبة عابثة، كما أن روحه جديّة. يخدع الفارس المزيف نفسه بسهولة بهذه الخبرة المكتسبة في لحظة. هو لا يفهم على الإطلاق عمّا يدور الحديث: إن عليه، بقدر ما يتوجب على فرد آخر أن يسلك الطريق نفسه، أن يصبح هذا الفرد بالطريقة عينها، لذا لا يحتاج إلى إرشاد أحد، ولاسيما إرشاد أحد يُقحم نفسه. هنا ثانية، ينفصل المرء، عاجزًا عن تحّمل شهيد سوء الفهم، عن هذا الطريق، ويختار بشكل ملائم بصورة كافية احترام الخبرة الدنيوية. فارس الإيمان الحقيقي هو شاهد عيان، وليس معلمًا أبدًا، وهناك تكمن الإنسانية العميقة، حيث يوجد هناك شيء أكثر من هذه المساهمة التافهة من أجل ضراء وسراء الآخرين التي تُمجّد تحت اسم التعاضد، بينما هي في الحقيقة لا شيء سوى خيلاء. هذا الذي يريد أن يكون شاهد عيان فقط، يعترف لهذا بأنه ما من إنسان، ولا حتى الإنسان الأقل أهمية، يحتاج إلى عطف شخص آخر، أو يحط من قيمته لكي يرفع آخر من قيمته. لكن لأنه لم يفز ما فاز به هو نفسه بسعر رخيص، فلن يبيعه ايضا بسعر رخيص. إنه ليس تافه بقدر كافٍ ليقبل إعجاب الناس ويدفع لهم مقابلا له قبوله الصامت؛ هو يعرف أن ما هو عظيم حقا يكون متاحا بالتساوي إلى الجميع.

لهذا، فأمّا أن يكون هناك واجب مطلق نحو الله ـ وإذا كان يوجد مثل هذا الإمر، فهي عندئذ المفارقة الموصوفة، أن الفرد باعتباره فرداً هو أعلى من العام وكفرد يقف في علاقة مطلقة مع المطلق ـ أو أيضًا أنه لم

يوجد[1] إيمان قط، لأنه موجود دائمًا، أو أن إبراهيم يكون خاسرًا، أو أن على الإنسان أيضًا أن يوضح العبارة في إنجيل لوقا 14 بطريقة كما فعل المفسر حسن الذوق ذلك، ويشرح بالطريقة نفسها العبارات المشابهة وما يطابقها[2].

(1) ترجمة لـ Været til بمعنى يكون أو صار أو يظهر إلى الوجود. وهنا يريد كيركجورد أن يشير إلى أن الإيمان لم يوجد لأنه كان موجودًا دائمًا

(2) هنا إشارات إلى الكتاب المقدس، العهد الجديد، متي، 19:29 .10:37. إضافة إلى ذلك يقصد رسالة متي الأولى إلى أهل قورنتس 7:9 «الزواج خير من التّحرّق».

هل كان لإبراهيم مسوغ أخلاقي أن يخفي هدفه عن سارة، عن اليعازر، وعن إسحاق؟

الأخلاقي على هذا النحو هو العام، مثلما يكون العام بالمقابل هو المكشوف. الفرد بوصفه محدد روحيًا وحسيًا مباشرة هو المخفي. مهمته الأخلاقية هي عندئذ، أن يخرج من مخبأه ويصبح مكشوفًا في العام. هكذا كلما يريد أن يبقى في الخفاء، فإنه يأثم ويكون في حالة غواية، التي لا يمكنه الخروج منها إلا بالكشف عن نفسه.

وهكذا نقف مرة أخرى عند النقطة ذاتها. إذًا لا يوجد هناك مخبأ له أساسه فيه، بحيث إن الفرد باعتباره فردا يكون أعلى من العام، فلا يمكن الدفاع عن سلوك إبراهيم؛ لأنه تجاهل الاعتبارات الأخلاقية الوسيطة. لكن لو يوجد هناك مثل هذا المخبأ، فإننا سنواجه المفارقة، التي لا تسمح بالتوسط، طالما أنها تكون قائمة بالذات على أساس، أن الفرد بوصفه فردًا هو أعلى من العام، الذي يكون بالذات الوسيط. تفترض الفلسفة الهيغلية أنه لا يوجد مخبأ مبرر، ولا قياسية[1] مبررة. ولهذا فهي متجانسة مع نفسها، حين تطلب الكشف،[2] لكنها ملتبسة، عندما تنظر إلى إبراهيم باعتباره أب

---

(1) ترجمة لـ inkommensurabilitet بمعنى غير قابلة للقياس

(2) Den hegelske Philosophi, jvfr. Anm.t. s.118

الإيمان وتتحدث عن الإيمان. لأن الإيمان هو ليس الآنية الأولى بل هو آنية لاحقة. الآنية الأولى هي الجمالي، وهنا ربما تكون الفلسفة الهيغلية على حق بالتأكيد. لكن الإيمان ليس هو الجمالي، وإلا لن يكون الإيمان قد وجد أبدًا، لأنه موجود دائمًا.

من الأفضل النظر إلى كل القضية هنا بطريقة جمالية خالصة ولذلك الهدف أدخل في بحث جمالي، الذي أدعو القارئ بشكل مؤقت أن يمنح كل اهتمامه، بينما سأكيّف من جهتي تعليقاتي وفقا للموضوعات. المقولة التي أحب أن أنظر فيها عن كثب أكثر هي مقولة *مشوّق*،[1] مقولة التي أصبحت بخاصة اليوم - لأننا نعيش بالذات *في نقطة تحول كبيرة في التاريخ*،[2] ذات أهمية كبيرة، لأنها حقا مقولة لنقطة تحوّل. لهذا على الإنسان الذي شغف بها *بكل* عزيمته[3]، كما يحدث أحيانا، أن لا يستخف بتلك المقولة، لأنها تجاوزته، ولا على الإنسان أن يكون طماعا جدًا بها؛ لان أمرا واحدا مؤكدا، هو أن تصبح مشوّق، وتملك حياة شيقة، هي ليست مهمة لحرفي بارع، بل امتياز مصيري، الذي، مثل كل امتياز في عالم الروح، يمكن شراؤه بألم عميق فقط. وعليه كان سقراط أكثر إنسان عاش ذات مرة مثيرًا للاهتمام، وحياته هي أكثر حياة مثيرة للاهتمام سبقت أبدًا، لكن هذا الوجود كان ممنوحًا له من الإله، وطالما كان عليه أن ينالها بنفسه، لم يكن غريبًا عن المشقة والألم. أن تأخذ مثل هذا الوجود عبثًا لا تصبح لأي فرد الذي يفكر بجدية أكثر عن الحياة، ومع ذلك فليس نرى في

---

(1) يمكن أن تترجم ممتع، مثير للاهتمام، شيق،

(2) ترجمة في الأصل in discrimine rerum. يمكن أيضًا ترجمتها انعطافة في شؤون الإنسانية

(3) في الاصل pro virili

عصرنا مرارا أمثلة بمثل هذه المسعى. مقولة المشوّق (المثير للاهتمام) هي، علاوة على ذلك، مقولة تخوم، هي *منطقة فاصلة*[1] بين الجمالي والأخلاقي.[2] لذلك السبب ينبغي علينا في بحثنا ان ننظر على الدوام في منطقة الأخلاقي، بينما ينبغي تناول القضية بإحساس جمالي وشهوة[3] لكي نعطي بحوثنا وزنا. نادرًا ما تشغل الأخلاق نفسها في أيامنا في مثل هذه القضية. لا بد أن السبب هو أنه لا مكان لها في النظام.[4] لهذا على المرء أن يقوم بها في دراسات منفردة، وعلاوة على ذلك، إذا لم يرغب أن يفعل هذا بإسهاب، يمكن أن يجعلها مختصرة، ويحصل، مع ذلك، على النتائج ذاتها، طالما يملك المرء المسند[5] تحت سلطته؛ لأن مسندًا أو اثنين يمكن أن يخدعا كل العالم. ألا يوجد مكان في النظام لكلمات صغيرة مثل هذه؟

يقول أرسطو في كتابه الخالد *الشعر*[6]: «في الحقيقة أن جزأين من الأسطورة، أي التحوّل المفاجئ والاعتراف حاسمان لتلك الأحداث»

---

(1) في الأصل et confinium

(2) او يمكن ترجمتها إلى منطقة حدود

(3) في الأصل concupiscents

(4) ترجمة لـsystemet. يمكن أن تترجم أيضًا منظومة أو بنية وهي إشارة إلى منظومة هيغل الفلسفية.

(5) هنا تلاعب لغوي تهكمي بالإشارة إلى مكان «المسند «في الجملة.. وأهميته باعتبار اللغة أداة سلطة.

(6) الفيلسوف الإغريقي أرسطو (384 ـ 322) قبل الميلاد. كتابه الشعر في جزأين، في الجزء الأول يحلل أرسطو التراجيديا، وفي الثاني الكوميديا. تم العثور على الجزء الاول فقط. يرى أرسطو التراجيديا باعتبارها الشكل الأكمل والحكاية، وشخصياتها كعناصرها. ويرى أن للتراجيديا تأثير تطهيري في الجمهور.

(الفصل، 11).[1] من الطبيعي أن العنصر الثاني فقط، الاعتراف، هو الذي اشتغل عليه هنا. في كل مكان حيثما يكون هناك حديث عن اعتراف، يكون هناك حديث لهذا السبب ذاته عن كتمان مسبق. مثلما الاعتراف يكون عنصر حل تمامًا، أو عنصر استراحة في حياة الدراما، فالكتمان يكون مكمن عنصر خلق للتوتر. ما طوّره أرسطو في السابق في الفصل نفسه فيما يخص مؤهلات التراجيديا المتنوعة، كل شيء يتعلق بالطريقة والالتقاء في نقطة واحدة، وما كتبه أيضًا عن الاعتراف المفرد والثنائي، فلا أعيره اهتمامًا هنا، حتى وإن فُتنت بجوّانيته وانهماكه الهادئ، وانجذب بخاصة إلى هذا الذي أرهقه لفترة طويلة المعرفة السطحية لكتاب البحوث. ملاحظة عامة ربما يكون مكانها مناسبا هنا. يكون الكتمان في التراجيديا الإغريقية (وما يتبع عن ذلك، الاعتراف) خلودًا ملحميًا قائمًا على مصير يختفي فيه الفعل الدرامي من المشهد، ومنه مصدره الغامض والمظلم. وبسبب هذا تملك التراجيديا الإغريقية تأثيرًا مشابها لذلك الذي يملكه نصب رخامي، الذي يعوزه سلطة العين. التراجيديا الإغريقية عمياء. ولهذا تأخذ تجريدًا محددًا لو توجب أن يكون أحد متأثرًا بها فعلًا. ابن يقتل والده، لكنه لا يعرف ذلك إلا لاحقا أنه كان أبوه. أخت تريد أن تضحي بأخيها، لكنها تدركه في اللحظة الحاسمة. لا تشغل تراجيديا من هذا النوع عصرنا المتأمل. الدراما الحديثة تخلت عن فكرة القدر، وحررت نفسها بطريقة دراماتيكية؛ أنها مبصرة، وتحدق في داخلها، تشربت بالقدر في وعيها الدرامي. السريّة والعلن هما من ثم الفعل الحر للبطل، الذي يكون مسؤولا عنه.

---

(1) في الأصل «duo men oun tou multhou meri, peri taut' esti, peripeteia kai anag-norisis». (kap. 11)

الاعتراف والسرّية هما أيضًا جزء جوهري من الدراما الحديثة. سيكون إسهابا لو نقدم أمثلة حول هذا الأمر. أنا مؤدب كفاية كي أفترض، أن كل فرد في عصرنا ـ الذي يكون شهواني جماليًا، مفحم ومستثار، بحيث إن الحمل يحصل بسهولة كطائر الحجل، الذي يحتاج حسب رأي أرسطو إلى سماع صوت الديك أو طيرانه فوق رأسه ـ أنا أفترض، أن كل فرد، مجرد أن يسمع كلمة «سريّة» سينفض بسهولة دزينة من الروايات والكوميديات من كّم ذراعه. ولهذا أستطيع أن أكون مختصرًا وأقدم على الفور مجرد ملاحظة عامة. لو أن أي شخص يقوم بلعبة الاختفاء، ويزود بذاك القطعة بخميرة درامية، يخفي بعض الهراء، فإننا نحصل على كوميديا. لكن لو أنه كان على عكس ذلك مرتبطًا بالفكرة، فربما سيقترب كثيرًا ليكون بطلًا تراجيديًا. لنعطي مثالًا واحدًا فحسب عن الكوميدي. يضع رجل مكياجًا ويرتدي باروكة. الرجل نفسه، يريد أن يحصل على السعادة عند الجنس اللطيف، وهو متأكد للغاية من النجاح بمساعدة المكياج والباروكة، التي تجعله لا يقاوم إطلاقا. يأسر فتاة ويكون في قمة الفرح. الآن نذهب إلى جوهر الموضوع؛ لو أنه يعترف بالأمر، ألا يخسر كل قدراته الفاتنة، وإذا يكشف عن نفسه كإنسان عادي، بل أنه في الواقع حتى رجل أصلع الراس، ألا يفقد بذلك ثانية محبوبته؟ السريّة هو عمله الحر، الذي يجعله الجمالي مسؤولًا عنه. لكن هذا العلم ليس صديقًا لمنافقين أصلعين، وسيتركه للسخرية. ربما يكون هذا كافيًا فقط لاقتراح ما أعني؛ أن الكوميدي لا يمكن أن يكون هدفًا لاهتمام هذا البحث.

الطريق التي علي أن أسلكها هي أن أتابع ديالكتيكيا السريّ من خلال الجمالي والأخلاقي، لأن الأمر يتعلق بأن نجعل السرية الجمالية والمفارقة يظهران في اختلافهما المطلق.

بعض الأمثلة. فتاة تكون عاشقة بصورة سرية لشخص، لكن دون أن يعترف أحد إلى الآخر بصراحة بحبه إلى الآخر. أجبرها والداها على الزواج من آخر (ربما تكون أيضًا مدفوعة من اعتبارات الإخلاص)، وهي تطيع والديها، وتكتم حبها «لكي لا تجعل الآخر منكودًا، ولن يعرف أحد البتة ما تعاني منه» ـ فتى يافع يمكنه بكلمة واحدة الحصول على موضوع لحنينه وأحلامه القلقة. لكن هذه الكلمة الصغيرة تفضح، ربما في الواقع (من يعرف؟) تحطم عائلة كاملة. فيختار أن يبقى بنبل في الكتمان: «على الفتاة أن لا تعرف عن هذا أبدًا، فربما تجد السعادة لدى آخر». فأي إخلاص ذلك هنا، شخصان، كل على حدة مخفي عن محبوبه المعني، مختفيان الواحد عن الآخر أيضًا! وإلا أمكن أن تسفر عن ذلك وحدة عالية رائعة. ـ سريّتهما فعل حر هما مسؤولان عنه والجمالي أيضًا. لكن الجمالي هو حقل من المعرفة الحساس والأنيس الذي يعرف طرق خيارات أكثر من مساع مكتب رهونات. فما الذي يعمله إذن؟ إنه يقوم بكل شيء ممكن للعشاق. يحصل الشركاء المعنيين في الزواج المرتقب عن طريق الصدفة تلميحا عن قرار الشريك الآخر الشهم. يتوصلان إلى تفسير، يحصل العاشقان على بعضهما ومكانا بين أبطال حقيقيين كذلك؛ فعلى الرغم من أنهما لا يملكان الوقت كي يفكرا بترو في قرارهما البطولي، اعتبرهم الجمالي كأنما قاوموا بشجاعة من أجل هدف على مدى سنوات. لأن الجمالي لا يهتم في الحقيقة كثيرًا حول الوقت؛ فسيمر بسرعة، سواء كان سخرية أو جديّة.

لكن الاخلاقي لا يعرف أي شيء سواء عن تلك الصدفة أو تلك الحساسية. ولا يملك مثل هذا المفهوم الزائل عن الزمن. هكذا تكتسب

القضية مظهرا مغايرا. ليست الأخلاق جيدة للجدال معها، لأنها تملك مقولات خالصة. إنها لا تناشد التجربة، التي من بين كل الاشياء المضحكة تكون أكثر شيء مضحك؛ وفي منجى عن جعل إنسان حكيمًا، أنها تجعله مجنونًا لو أنه لا يعرف أي شيء أعلى من ذلك. ليس لدى الأخلاق مطابقا، ولهذا، ليس هناك توضيحات لاحقة. إنها لا تمزح مع القيم، وتضع عبئًا هائلًا من المسؤولية على أكتاف البطل الهزيلة؛ وتدين كمتعجرف افكاره لرغبته أن يمثل العناية الإلهية في فعله، بل وتدينه أيضًا لرغبته لعمل ذلك بمعاناته. إنها تطالب الاعتقاد في الواقع وامتلاك الشجاعة للقيام بمقاومة لكل آلام الواقع، خاصة تلك الآلام فاقدة الحيوية، التي يجلبها المرء، على مسؤوليته الخاصة، على نفسه. إنها تحذر من امتلاك إيمان في حسابات العقل الخادعة، التي هي أكثر غدرًا من مبلغي الوحي في العصر القديم. إنها تحذر ضد كل سخاء في غير موضعه ـ دع الواقع يقرر الأمر ـ، إذن، حان الوقت لتظهر شجاعة، من ثم تقدم الأخلاق ذاتها كل مساعدة ممكنة. بينما لوكان هناك أي شيء أكثر إثارة عميقة في هذا الثنائي، لو كانا جديّين حول المهمة، جديين للشروع، فسيأتي شيء ما بالتأكيد منهما، لكن الأخلاق لا يمكن أن تساعدهما. لقد أهينت لأنهما يكتمان سرًا عنها، سرًا أخذاه على عاتقيهما وبمسؤوليتهما.

ولهذا دعت الأخلاق إلى الكتمان وكافأته. الأخلاق دعت إلى الإفصاح ومعاقبة الكتمان.

أحيانًا مع ذلك، يدعو الجمالي إلى الإفصاح. يعتقد البطل، عندما يكون فريسة لوهم جمالي، أنه يستطيع انقاذ إنسانًا آخر بواسطة صمته، عندئذ يدعو الجمالي الصمتَ ويكافئه. لكن عندما يتدخل البطل بعمله في حياة

إنسان آخر بصورة مربكة، فإنه يدعو إلى الإفصاح. وصلت الآن إلى البطل التراجيدي وأريد للحظة أن أفكر في *إفيجينا في عوليس*.[1] كان آغاممنون على وشك أن يضحي بإفيجينيا. يطلب الجمالي حينها صمت آغاممنون، طالما سيكون البطل بلا قيمة أن ينشد الراحة من أي إنسان آخر، مثلما عليه تمامًا أن يخفي هذا، رعاية بالنساء، قدر الامكان عنهن. من الجانب الآخر، لكي يكون بطلًا، على البطل أن يمتحن أيضًا في بلاء روحي مرعب الذي تسببته دموع كليمنسترا وإفيجينيا. ما الذي يفعله الجمالي؟ إن لديه مخرجا؛ لديه خادم عجوز على استعداد ليكشف كل شيء إلى كليمنسترا. والآن كل شيء في مكانه. لكن ليس لدى الاخلاق شبيها ولا خادما عجوزًا تحت تصرفه. تتعارض الفكرة الجمالية مع نفسها، حالما ينبغي تطبيقها في الواقع. ولهذا يقتضي الإفصاح. يكشف البطل التراجيدي بذلك شجاعته الأخلاقية بالذات، بأنه ليس فريسة لأي وهم جمالي، حتى هذا الذي يخبر إفيجينيا عن مصيرها. لو أنه يفعل هذا، إذن يكون البطل التراجيدي الابن المحبوب للأخلاق، التي تكون مسرورة جدًا به. لو أنه يبقى صامتا، فربما يكون لأنه يعتقد أنه يجعل الأمر بذاك أسهل على الآخرين، لكن يمكن أن يكون أيضًا، لأنه يجعل الأمر بذاك أسهل لنفسه. لكن البطل التراجيدي يعرف أنه حر من ذلك. لو يصمت فسيتحمل مسؤولية باعتباره فردًا، طالما أنه يتجاهل أيّ حجة التي يمكن أن تأتي من الخارج. لكنه لا يستطيع، كونه بطلًا تراجيديًا، القيام بهذا؛ لهذا بالذات تحبه الأخلاق، لأنه يعبر باستمرار عن العام. يتطلب عمله البطولي شجاعة، لكن جزء من هذه الشجاعة أيضًا هو انه لا يتهرب من أية حجة. والآن صحيح بالتأكيد، أن الدموع حجة

(1) افيجينا في مسرحية عوليس لمؤلفها شاعر التراجيديا الإغريقية يوربيدس (480-406 ق.م)

مرعبة *إلى الرجل*،[1] وهذا الذي لا يؤثر فيه شيء ربما تحركه بصورة كبيرة الدموع. سُمح في المسرحية لإفيجينا أن تنحب؛ في الحياة الحقيقية ينبغي أن يسمح لها مثل ابنة يفثاح أن تنحب لشهرين، ليس في عزلة بل عند قدمي الأب، وتستخدم كل ما تملك من فن «الذي هو دموع فقط»، تلتف حول ركبتيه بدلًا من غصن الزيتون (بيت شعر، 1224). طالب علم الجمال بالكشف لكنه أعان نفسه عن طريق المصادفة؛ طالبت الأخلاق بالإفصاح ووجدت ضالتها في البطل التراجيدي.

فبرغم كل هذه الصرامة، التي يتطلب بها علم الأخلاق الكشف، إلا أنه لا يمكن نكران أن الكتمان والصمت يجعلان الإنسان عظيما لأنهما ببساطة صفات للجوّاني. عندما يهجر آمور (إله الحب) سايك (الروح)[2] يقول لها: ستلدين طفلًا، الذي سيصبح ابن اللّه، إذا اصمتي، لكن ستلدين إنسانا إذا تخونين السرّ. البطل التراجيدي، الذي هو محبوب الأخلاق، هو إنسان خالص، أستطيع أن افهمه أيضًا، وكل نشاطه موجود أيضًا في العلن. لو أمضي أبعد فإنني سأصطدم دائما بالمفارقة، بالإلهي والشيطاني؛ لأن الصمت يكون كلاهما. الصمت شرك الشيطان، وكلما يوجد صمت أكثر، كلما يصبح الشيطان أكثر رعبًا؛ لكن الصمت هو أيضًا الفهم الإلهي المتبادل مع الفرد.

قبل أن أواصل في قصة إبراهيم، أحب، مع ذلك، أن أستحضر بعض الشخصيات الشعرية. علي أن أبقي عليهم بسلطة الديالكتيك عند القمة،

---

(1) في الاصل argumentum ad hominem

(2) إشارة إلى رواية الحمار الذهبي للشاعر الروماني لوسيوس ابوليوس التي يذكر فيها عن امرأة عجوز وهي تقص حكاية آمور(أله الحب) وسايك(أميرة ارضية).

وبالتلويح لهم بنظام الكآبة فربما من الوقوف ساكنين، فعسى أن يكونوا قادرين في فزعهم على أن يكتشفوا شيئًا أو آخر.[1]

يحكي أرسطو في كتابه السياسة قصة عن اضطراب سياسي في دلفي، الذي حصل نتيجة قضية زواج. *يغيّر العريس، الذي تنبأ المنجمون بحصول كارثة له، كنتيجة لزواجه القادم، خطته فجأة، في اللحظة الحاسمة، عندما جاء لجلب العروس* - فيرفض الزواج. لا أحتاج إلى أكثر من هذا.[2] لم

---

(1) كان يمكن أن تكون تلك الحركات والسلوكيات موضوعات لمعالجات جمالية. لكن إلى أي حد الإيمان وكل حياة الإيمان يمكن أن تكون، اتركه غير مقرر هنا. كما هو الأمر دائمًا مفرح لي أن أقدم الشكر إلى أي إنسان أدين له بشيء من الفضل - سأشكر ليسنغ فقط عن العديد من الإشارات عن الدراما Hambugische Dramat-urgie. المسيحية الموجودة في لكنه ركز نظره على الجانب الإلهي الخالص لهذه الحياة (الانتصار الكامل)، ولهذا كانت لديه شكوكا؛ لو أنه أولى اهتماما أكبر ربما إلى الجانب الانساني. (Theologia viatorum).لاهوت عابر السبيل المحض فربما كان قد صاغ حكما آخرا ما قاله مختصر بصورة مفروغ منها، ومراوغ نوعا ما، لكن طالما أنني دائمًا سعيد جدا، عندما أستطيع أن أجد فرصة لتضمين ليسنغ، فإنني أستحوذ عليها مباشرة. لم يكن ليسنغ واحدًا من اكثر عقول المانيا المتبحرة فحسب، ولم يظهر فقط دقة نادرة استثنائية في علمه، بحيث يستطيع المرء أن يعتمد عليه بأمان وعلى تحليله بدون خوف من يكون مغشوشا باقتباسات غير صحيحة ولا سند لها، بعبارات نصف مفهومة مأخوذة من ملخصات لا يعول عليها، أو أن تكون مشوشة بصراخ أحمق عن شيء جديد كان القدماء قد عرضوه بصورة أفضل بكثير - لكن ليسنغ كان لديه أيضا موهبة غير اعتيادية لتوضيح ما فهمه هو نفسه. ومع ذاك توقف؛ في أيامنا يمضي الناس إلى أبعد من ذلك ويشرحون أكثر مما يفهمون هم أنفسهم.

(2) كانت الكارثة التاريخية، طبقا لأرسطو، كما يلي: لكي تنتقم عائلة العروس إلى نفسها، تضع مزهرية من المعبد بين حاجيات بيت العروس ويُحكَم عليه كحرامي معبد. لكن هذا لا اهمية له، فالمسألة ليست في ما أن العائلة ذكية أو غبية في طريقة اخذها الثأر. تكتسب العائلة معنى مثاليا فقط بمقدار ما تُشرك في ديالكتيك البطل. علاوة على ذلك، من المقدر أيضا بصورة كافية أنه انغمر في الخطر بينما يحاول تجنبه من خلال عدم الزواج، وأيضا أنه دخل في اتصال مع الإلهي على نحو مضاعف - أولا عن طريق إعلان المنجمين وثانيًا بإدانته كحرامي معبد.

يمر هذا الحدث في دلفي بالتأكيد من دون دموع. لو أن شاعرًا استخدم الموضوع، فسيثير بلا شك تعاطفًا. أليس من المرعب أن الحب الذي كان منفيًا على الأرجح غالبًا في الحياة سيكون مجردًا من عون السماء الآن أيضًا؟ ألا يخزي هذا المثلَ القديمَ، أن الزيجات معقودات في السماء؟ على العموم، إن كل مشاكل وصعوبات النهائي، التي تريد، مثل الأرواح الشريرة، تفريق العشاق، بينما تكون السماء إلى جانب الحب، ولهذا ينتصر هذا الحلف المقدس على كل الأعداء. هنا تفرّق السماء نفسها، في النتيجة، ما وحّدته السماء ذاتها. من كان يستطيع أن يعرف هذا؟ العروس الشابة على أقل تقدير. منذ لحظة تماما كانت تجلس في غرفتها بكل جمالها، والفتيات اللطيفات يزيننها بعناية، بحيث أمكنهن الإحساس بتبرير عملهن أمام كل العالم، فلم يملُكن الفرح منه بل الحسد ـ نعم، فرح، حيث كان من المستحيل بالنسبة إليهن أن يصبحن أكثر حسدًا، لأنه كان من المستحيل لها، أن تكون أجمل. جلست وحدها في غرفتها وتغيّرت من جمال إلى جمال؛ لأن كل ما جرأ الفن النسائي على إنجازه استخدم ببراعة لتجميل الغالية. مع ذلك كان هناك شيء واحد ينقصها، الذي لم تحلم الفتيات الشابات به ـ خمار، أكثر جمالًا، أخف، ومع ذلك يخفي أكثر من الخمار الذي غطتها الخادمات به، ثوب زفاف لم تعرف أيّ واحدة من الفتيات أي شيء عنه أو امكنها أن تساعدها به. في الواقع، حتى العروس ذاتها لم تعرف كيف ترتديه. كانت هناك قوة لطيفة خفية، التي كانت تحصل على الرضى بتجميل العروس، والتي لفتها بثياب العرس، دون أن تعرف هي أي شيء عن هذا؛ لأنها رأت فحسب، كيف مر العريس ومضى إلى المعبد. لقد رأت باب المعبد يغلق خلفه، فصارت أكثر هدوءًا وغبطة،

لأنها عرفت انه الان يعود إليها أكثر من أي وقت مضى. فتح باب المعبد بابه، خرج، لكنها غضت نظرها بعذرية ولهذا لم تر أن أسارير وجهه كانت مرتبكة. لكنه رأى أن السماء بدت على أغلب الظن أن تكون حسودة من جمال العروس ومن سعادته. انفتح باب المعبد ورأت الخادمات الشابات العريس يخرج، لكنهن لم يلمحن أن ملامح وجهه كانت مضطربة، لأنهن كن منهمكات بجلب العروس. عندها تقدمت بكل تواضعها العذري ومع ذلك كسيدة محاطة بطاقم الفتيات الشابات، اللواتي انحنين باحترام أمامها كما تفعل الخادمة الشابة دائما أمام العروس. على هذا النحو وقفت هي على رأس سرب جميلات وانتظرت ـ لم تدم سوى لحظة؛ لأن المعبد كان قريبًا ـ والعريس قدم، لكنه تجاوز بابها.

لكنني اتوقف هنا. أنا لست شاعرًا، وأتوجه إلى العمل بصورة ديالكتيكية فحسب. على المرء أن يلاحظ أولًا، أن البطل يحصل في اللحظة الحرجة على تلك المعلومة. لهذا غير نادم ولا تشوبه شائبة، وهو لم يربط نفسه بلا مسؤولية بالمحبوبة. ثانيا، إن أمامه حكم إلهي أو بالأصح ضده، وبذلك فلم توجهه حصافة ذاتية مثل العشاق المتقلبين. الشهادة تجعله، لا مشاحة، حزينًا تمامًا مثل العروس، بل وأكثر قليلًا، لأنه هو السبب. من المؤكد حقًا، أن المنجمين تنبؤا بمصيبة *له* فقط، لكن المسألة هي فيما أن هذه المصيبة هي من هذا النوع، بحيث حين تصيبه ستصيب سعادتهم الزوجية أيضًا. ما الذي سيقوم به الآن؟ 1) هل عليه أن يبقى صامتًا ويتزوج، معتقدًا: أن الكارثة لا تأتي ربما على الفور، لقد شددت، على أي حال، على الحب، ولم أخش من أن أجعل نفسي حزينًا، لكن علي أن أبقى صامتًا، وإلا فحتى هذه اللحظة القصيرة تكون ضائعة. هذا يبدو معقولًا ولكنه ليس كذلك

على الإطلاق، لأنه في تلك الحالة قد أهان الفتاة. لقد جعل الفتاة بصمتهِ بمعنى ما مذنبة؛ لو أنها علمت النبوءة فإنها لن تعطي بالتأكيد موافقتها أبدا إلى مثل هذا الاتحاد. ولهذا ففي ساعة عذابه عليه أن يتحمل ليس فقط المصيبة، بل وأيضًا المسؤولية عن بقائه صامتًا، وغضبها المشروع على بقائه صامتًا. 2) هل عليه أن يبقى صامتًا ولا يتزوج؟ في تلك الحالة عليه أن ينغمر في حالة تصوّف، يهلك فيها نفسه فيما يخصّها. ربما صادق الجمالي على هذا. أمكن أن تكون الكارثة حينها مصنوعة بالتطابق مع الواقع، باستثناء أنها قد تأتي بنتيجة في توضيح اللحظة الأخيرة، الذي رغم انه سيأتي لاحقًا، طالما أن وجهة النظر الجمالية تتطلب أن يموت، ألا يجد هذا النوع من المعرفة نفسه قادرًا على إلغاء تلك النبوة المصيرية. لكن مهما يكون هذا التصرف نبيلًا، فإنه إهانة للفتاة وإلى حقيقة حبها. 3) هل عليه أن يتكلم؟ بطبيعة الحال، علينا أن لا ننس بطبيعة الحال، أن بطلنا قليل الشاعرية، ليتخلى عن حبه إليه، وهذا لا ينبغي أن يكون له معنى آخر غير مضاربة تجارية فاشلة. لو أنه يتكلم، سيغدو كل الأمر قصة حب تعيسة بالأسلوب نفسه مثلما اكسل وفالبورغ.[1] سيكونان زوجين تفرقهما

(1) يمكن للمرء هنا ان يتعقب الحركات الديالكتيكية باتجاهات مختلفة. تتنبأ السماء له شقاء شخصيا بسبب زواجه، بحيث أمكنه أن يتخلى عن الزواج، مع ذلك لم يكن بحاجة للتخلي عن الفتاة على ذلك الاساس، بل يعيش بعلاقة رومانتيكية معها، التي كانت اكثر من مقبولة للعشاق. مع ذلك يتضمن ذلك إهانة للفتاة، لأنه في حبه لها لا يعبر عن العام. بيد أنها كانت في الوقت نفسه مهمة للشاعر والأخلاقي معا، الذي يريد أن يدافع عن الزواج. على العموم، سيحصل الشعر، عندما يصبح مهتما بالديني وأعماق الفرد، على موضوعات أكبر أهمية بكثير من تلك التي يشغل نفسه بها الآن. مرات ومرات يسمع الإنسان في الشعر القصة التالية: رجل مرتبط بفتاة، التي كان يحبها ذات مرة، أو ربما لم يحبها أبدًا بصدق، لأنه التقى الآن بفتاة أُخرى، التي هي

السماء نفسها. مع ذلك، ينبغي اعتبار هذا التفريق في الحالة الراهنة مختلفا إلى حد ما، طالما أنه ينتج بالوقت نفسه، عن أفعال الأفراد الحرة. الصعوبة الكبيرة في ديالكتيك هذه الحالة هو بالضبط، أن الكارثة مفترض أن تصيبه وحده. ولهذا فإن هذين الاثنين لا يجدان انطباعا مشتركًا عن معاناتهما، كما يفعل أكسل وفالبورغ، التي تفرقهما السماء بالقدر نفسه عن بعضهما الآخر، لأنهما مرتبطان بمساواة مع بعضهما. لو كانت هذه هي القضية هنا، لأمكن العثور على طريقة للحل. فطالما أن السماء لا تستخدم أية قوة مرئية لتفريقهما بل تترك الأمر لهما، فمن المحتمل أنهما سيقرران معا مجابهة السماء بالإضافة إلى كارثتها.

مع ذلك تطلب الأخلاق منه أن يتكلم. بطولته، عندئذ، تكمن، جوهريًا، في تخليه عن الشهامة الجمالية، التي لا يمكن في *هذه الحالة*[1] تخيلها بسهولة على أنها مشوبة بالاختيال، الذي يكون ضمنيا في كونه مخفيًا، طالما ينبغي أن يكون واضحًا له بالتأكيد أنه يجعل الفتاة حزينة. حقيقةَ هذه

مثال. الرجل يرتكب خطئا في الحياة، أنه الشارع الصحيح، لكن في البيت الخطأ، لأنه في الطابق الثاني عبر الشارع تماما تعيش الفتاة المثال ـ ذلك هو ما يعتبره المرء واجب الشعر. يرتكب عاشق خطئا، رأى الحبيبة مرة على ضوء الشمعة واعتقد أن لها شعرًا أسود، لكنه بعد النظر عن قرب كان لها شعر أصفر ـ مع ذلك، الأخت، هي المثال. ذلك هو ما يعتقده المرء أن الشعر يدور عن. رأيي هو، أن كل رجل كهذا هو ماجن، الذي يمكن أن لا يكون محتملًا للغاية في الحياة، لكن ينبغي الصياح على حالًا وإنزاله من على المسرح، عندما يريد أن يجعل من نفسه مهما في الشعر. العاطفة ضد العاطفة فقط هي التي تولد مواجهة شعرية، وليس التفتيش عن الخصوصيات في العاطفة نفسها. في القرون الوسطى مثلا، عندما تحب الفتاة، من ثم تعترف أن الحب الأرضي هو إثم وتفضل حبا سماويا، فلدينا هنا تصادما شعريا: والفتاة نفسها أيضا شاعرة؛ لأن حياتها تكون في الفكرة.

(1) في الأصل *in casu*

البطولة هي أن لديه افتراضه وأخفاه؛ وإلاّ أمكن أن يكون لدى العديد من الأبطال، خصوصًا في عصرنا، الذي طوّر موهبة لا نظير لها في التزوير، الذي قام بأسمى شيء، القفز على ما يقع بين السطور.

لكن لماذا هذا المخطط، طالما أنني لن أتقدم أبعد من البطل التراجيدي؟ لأنه ربما كان من الممكن، أن يلقي بعض الضوء على المفارقة. كل شيء يعتمد على العلاقة التي يتأهب الزوج فيها لإعلان المنجمين، الذي سيكون بطريقة أو أُخرى حاسمًا لحياته. هل هذا الإعلان هو *ملكية عامة* [1] أم أنه *قضية خاصة* [2] جرى المشهد في اليونان؛ كلام منجم يكون مفهوما للجميع ـ لا اعني بمعنى أن يتمكن الفرد فهم المحتوى قاموسيًا فحسب، بل وأيضًا أن يكون قادرًا على أن يفهم، أن ما ينقل المُنجّم إليه هو قرار السماء. إن قول المنجم ليس مفهومًا من البطل فحسب، بل من الجميع، ولا ينتج عن أي ارتباط خاص بالإلهي. يستطيع أن يفعل ما يريد، فما تُنبِئ به سيحدث، ولن يدخل في علاقة وثيقة مع الإلهي لا عن طريق فعله اي شيء او بإحجامه عن فعل اي شيء؛ لن يصبح هدفًا لرحمة الهية أو سخط إلهي. ستكون النتيجة مفهومة لكل فرد تمامًا مثلما للبطل، وليس هناك شفرة سرية، التي يستطيع البطل وحده يفك رموزها. فلو أنه يريد الكلام فيمكنه فعل ذلك بصورة تامة جدًا، لأنه قادر على جعل نفسه مفهومًا؛ ولو أنه يريد أن يكون صامتًا، فلأنه يريد، بفعل كونه فردًا، أن يكون أعلى من العام، ويريد أن يوهم نفسه بكل أنواع الأفكار الرائعة عن كيف أنّها ستنسى بسرعة هذا الأسى، إلخ. لٰكن إذا لم تكن إرادة السماء قد أعلنت

---

(1) في الأصل *publici juris*

(2) في الأصل privatissimum

إليه بواسطة المُنجّم، لو تناهت إلى معرفته بطريقة خاصة تمامًا، لو دخلت بعلاقة خاصة خالصة معه، عندئذ نكون في حضور المفارقة ـ إذا افترضنا وجود مثل هذا الامر (طالما تأملاتي هنا لها شكل *إشكالية*[1]) ـ عندئذ لا يستطيع الكلام، مهما قد يكون هو راغب لفعل ذلك. لذا لن يستمتع بصمته بل سيعاني من المحنة، لكن هذا في الحقيقة سيكون الضمانة التي كان بررها. وعليه فإن سبب صمته لن يكون طبقا لرغبته بوضع نفسه كفرد في صلة مطلقة مع *العام*، بل لأنه وضع كفرد في علاقة مطلقة مع *المطلق*. وعليه، وبمقدار ما أستطيع أن أرى، سيكون قادرًا على العثور أيضًا على راحة داخلية هناك، بينما سيكون صمته النبيل مشوشًا دائما بمتطلبات الأخلاقي. سيكون مرغوبًا كليًا، لو يحاول علم الجمال أحيانًا أن يبدأ، حيث انتهى منذ سنوات عديدة ـ في وهم الذكاء. حالما أنه قام بذلك، فسيعمل يدا بيد مع الديني، لأن هذا هو القوة الوحيدة التي يمكن أن تنقذ الجمالي من صراعه مع الأخلاقي. ضحت الملكة اليزابيث بحبها إلى الدولة من أجل أكسس بالتوقيع على قرار إعدامه.[2] هذا كان عملاً بطوليًا، حتى وإن كان لبعض السخط يدًا فيه لأنه لم يرسل الخاتم إليها. فكما هو معروف، أنه قام في الحقيقة بذلك، لكن وصيفة الملكة الحقودة، هي التي منعت وصوله. قيل، إذا لم أكن مخطئا،[3] أن اليزابث عرفت بهذا، فجلست

---

(1) في الأصل dilemmatisk

(2) الملكة البريطانية اليزابيث (1558 ـ 1603) سمحت الملكة لأسباب سياسية إعدام الايرل لمدينة اكسس روبرت دوفيري عام 1906، لان خاتم العفو الذي ارسله الى الملكة لم يصلها، حيث وقع الخاتم عن طريق الخطأ يد نبيل نوتينكهام أحد أعدائه وقد منع زوجته من تسليم الخاتم إلى الملكة.

(3) في الأصل ni faller

وأحد أصابعها في فمها لمدة عشرة أيام، تعضّه دون أن تقول كلمة واحدة، ثم ماتت. كان يمكن أن تكون موضوعا لشاعر عرف كيف يقتنص الأسرار من أفواه الناس؛ وإلاّ يمكن من الأفضل استخدامها من أستاذ باليه، الذي يربك الشاعر نفسه مرارًا في أيامنا معه.

الآن أريد أن أتبع مخططًا بموازاة الشيطاني. لذلك بوسعي أن أستخدم الأسطورة عن آونيتا[1] وحوري البحر.[2] حوري البحر هو غاوٍ يظهر من شق خفي، وبشهوة وحشية يقطف ويقبض على زهرة وديعة تقف على الشاطئ بكل روعتها ورأسها مائلًا بتمعن نحو تنهيدة البحر. هذا كان هو تأويل الشعراء حتى الآن. دعونا نقوم بتغيير. كان حوري البحر غاويًا. نادى على آونيتا، وبكلماته المتملقة أثار فيها ما كان مختفيًا. وجدت في الحوري ما كانت تتوق إليه، وما كانت تبحث عنه بينما حدقت إلى الأسفل نحو قاع البحر. آونيتا ترغب أن تذهب معه. ضمها الحوري بين ذراعيه، وألقت آنيتا ذراعيها حول عنقه، واثقة بكل حواسها تسلم نفسها إلى القوي. كان يقف مسبقا عند الشاطئ، جاثم ليغطس في البحر ويغطس إلى الأعماق مع غنيمته. عندئذ نظرت آونيتا مرة أُخرى إليه، ليس بشكل يائس، ولا فخورة بمظهرها الحسن، ولا نشوانة بالرغبة، بل بثقة مطلقة، وبتواضع مطلق، مثل الزهرة المتواضعة فكرت أن تكون نفسها، وبهذه النظرة فوضت كل مصيرها بثقة مطلقة إليه. وانظر! لم يعد البحر يهدر، وسكن صوته الوحشي؛ وتخلت عنه عاطفة الطبيعة ـ التي هي قوة

---

(1) وتلفظ بالدانماركية Agneta

(2) آونيتا وحوري البحر واحدة من الأحياء الشعبية القديمة التي تناقلوها شفويا من جيل الى جيل.

حوري البحر، ويسود هدوء هناك هدوء مميت ـ ولا تزال آونيتا تنظر إليه بهذه الطريقة. من ثم ينهار حوري البحر. لا يكون قادرًا على مقاومة قوة البراءة، يخونه جوهره الطبيعي، وليس بوسعه إغواء آونيتا. فيأخذها إلى البيت ثانية، ويوضح لها، أنه أراد فحسب أن يريها، كم هو البحر جميل، عندما يكون هادئًا، وتصدقه آونيتا. من ثم يعود وحيدًا، ويكون البحر مهتاجًا، لكنه لم يكن مهتاجًا مثلما يأس حوري البحر. يمكنه أن يغوي آونيتا، بوسعه أن يغوي مئات من آونيتا، إنه قادر على أن يجعل أية أيّ فتاة مفتونة ـ لكن آونيتا انتصرت، وخسرها حوري البحر. كغنيمة فقط يمكنها أن تكون له؛ فهو لا يقدر أن يمنح نفسه بإخلاص لأي فتاة، لأنه في الواقع مجرد حوري بحر. لقد منحت لنفسي الحرية بتعديل[1] حوري البحر إلى

(1) يمكن أن تعالج هذه الأسطورة بطريقة أخرى أيضًا. فعلى الرغم من حوري البحر أغرى فتيات عديدة سابقًا، فقد كان مترددًا بإغراء آونيتا. فهو لم يعد حوري بحر، أو، إذا سمحت، أنه حوري بحر بائس مسكين، الذي كان قد استقر منذ فترة طويلة من الآن في أعماق البحر وتعذب. لكنه يعرف ـ كما تخبرنا الأسطورة في الواقع ـ إنه يمكن إنقاذه بحب فتاة بريئة. لكنه يملك ضميرًا سيئا فيما يتعلق بالفتيات، ولا يجرؤ الاقتراب منهن. من ثم يرى آونيتا. بينما كان مختفيا بين نباتات الماء، رآها تتمشى، مرات عديدة، على طول الشاطئ. آسره جمالها، وقارها الهادئ؛ لكن روحه مفعمة بالحزن، وليس برغبة وحشية. وعندما تمتزج تأوهات حوري البحر بهمس نباتات الماء، ترهف سمعها تجاهه، عندها تقف هادئة وتصغي وتفقد نفسها في الأحلام، إنها أحب من أية امرأة أخرى وحتى جميلة تماما مثل ملاك الخلاص، الذي يلهم حوري البحر الثقة. يتشجع حوري البحر، يقترب من آونيتا، يفوز بحبها، ويأمل بنجاته. لكن آونيتا ليست فتاة هادئة ساكنة؛ لقد تمتعت بهدير البحر، ومنحتها تأوهات الأمواج سعادة فحسب لأن العاصفة في الأعماق هدرت بشدّة. كانت تريد أن تذهب وتبتعد، وأن تندفع بقوة في اللانهائي مع حوري البحر، الذي تحبه ـ وبذاك تلهب حوري البحر. ازدرت تواضعه فيستيقظ الآن كبرياؤه. يهدر البحر وتزبد الأمواج يضم حوري البحر آونيتا بين ذراعيه ويغوص في الأعماق معها. لم يكن بهذا الجموح

حد ما. وقد غيرت آونيتا بصورة جوهرية قليلًا أيضًا؛ لأن آونيتا لم تكن في الأسطورة بلا ذنب تمامًا، طالما أنه هراء بحت ولعبة وإهانة بصورة عامة للجنس الأنثوي أن نتخيل غواية تكون فيه الفتاة بريئة تمامًا، كليًا، ومطلقًا. تكون آونيتا في الأسطورة، لكي أحدّث مصطلحاتي بعض الشيء، امرأة تتطلع إلى المشوّق، وكل فرد على ذلك النحو يمكن أن يكون دائمًا متأكدًا أن ثمتّ حوري بحر على مقربة؛ لأن حوريي البحر يكتشفون هذا النوع بنصف عين مفتوحة ويندفعون خلفهم مثل سمك القرش خلف طريدته. ولهذا فإن من الحماقة جدا القول ـ أو ربما إنها شائعة، التي ساعد حوري البحر بانتشارها ـ إن ما تسمى بالثقافة تحمي فتاة من الغواية. كلا، الحياة أكثر عدالة وانصافا، وتوجد هناك وسيلة واحدة، وتلك هي البراءة.

نريد الآن أن نمنح حوري البحر وعيًا بشريًا، وكونه حوري بحر يدل على وجود سابق بشري، ونتيجة لهذا كانت حياته وقعت حياته في شرك.. لا شيء هناك يمنعه من أن يكون بطلًا؛ لأن الخطوة التي يتخذها الآن تصالحية. لقد أنقذته آونيتا، وسُحِق الغاوي، وقد سلّم إلى قوة البراءة، ولا يمكنه أن يغوي ثانية. لكن قوتان تتصارعان على الفور عليه: توبة، آونيتا وتوبة. لو أن التوبة وحدها تستحوذ عليه، يكون مختفيا؛ وإذا آونيتا والتوبة يستحوذان عليه فإنه يكون مفضوحًا.

لكن إذا تقبض التوبة (وحدها) الآن على حوري البحر ويبقى مختفيًا، فإنه يجعل آونيتا حزينة بالتأكيد؛ لأن آونيتا أحبته بكل براءتها، حتى عندما

قط، لم يكن مفعمًا بمثل هذه الشهوة أبدًا؛ لأنه كان يأمل في هذه الفتاة بخلاصه. سرعان ما ازداد مللّه من آونيتا، لكن لم يعثر أحد أبدًا على جثتها؛ لأنها صارت حورية بحر، التي تغوي الرجال بأغانيها.

بدا لها أن يكون متغيرًا، مهما يكن أخفاها بصورة جيدة، فإنها ما تزال تعتقد أنها كانت حقيقة تمنى فحسب أن يريها سكون البحر الجميل. خلال ذلك يصبح حوري البحر في عاطفته حتى أشد شقاء؛ لأنه أحب آونيتا بشتّى العواطف، ولديه بالإضافة إلى ذلك ذنب جديد عليه أن يتحمله. من المحتمل أن الشيطاني سيوضح في التوبة الآن، إن هذا في الواقع عقابه، وكلما يعذبه أكثر، يكون أفضل.

لو أنه يستسلم إلى هذا الشيطاني، فربما يقوم عندئذ بمحاولة إضافية لإنقاذ آونيتا، تمامًا مثلما ينقذ أحد، بمعنى محدد، إنسانا باللجوء إلى الشر. هو يعرف أن آونيتا تحبه. لو أنه يستطيع فقط أن ينتزع هذا الحب منها، سيمكن عندئذ إنقاذها بطريقة ما. لكن كيف؟ حوري البحر حساس جدًا ليحسب أن اعترافًا صادقًا سيثير كراهيتها. ربما سيحاول أن يستفز كل العواطف السود فيها، يهزأ منها، ويجعل حبها مسخرة، وإذا أمكن، أن يحرك كبرياءها. لن يوفر على نفسه أي عذاب، لأن هذا هو التناقض العميق في الشيطاني ويوجد هناك بمعنى محدد خيرٌ كثير جدًا في الشيطاني أكثر مما في الناس السطحيين. وكلما تكون آونيتا أنانية، كلما سيكون سهلًا أكثر خداعها (لأنه فقط عديمو، من الناس، الخبرة جدا، الذي يعتقدون أن من اليسير خداع البراءة، فالوجود عميق جدًا، وأسهل شيء بالنسبة للذكي أن يستغفل الأذكياء)، لكن الأكثر رعبًا ستكون عذابات حوري البحر. كلما يدبر خداعه ببارعة، كلما ستخفي آونيتا معاناتها باحتشام عنه؛ فهي ستستخدم كل وسيلة، التي لن تكون دون تأثير ـ أيّ، لا لتطرده بل لتعذبه.

سيكون حوري البحر بمساعدة الشيطاني، لهذا، الفرد الذي كان باعتباره فردًا أعلى من العام. لدى الشيطاني نفس الخواص كما للإلهي، أي، يكون

الفرد قادرًا على أن يدخل في علاقة مطلقة معه. هذا هو النظير، والجزء المضاد إلى المفارقة الذي نتحدث عنه. إنه يحمل لهذا تطابقًا محددًا، الذي يمكن أن يكون مُضَلِّلا. وهكذا، فكل العذاب الذي يعانيه حوري البحر في صمت يبدو دليلًا على أن صمته كان مبررًا. مع ذلك، فليس هناك أي شك، إنه يستطيع الكلام. وعليه لو أنه يتكلم، يمكن أن يصبح بطلًا تراجيديا، في رأيي بطلًا تراجيديًا عظيمًا. قليلون ربما سيفهمون ماذا تكوّن العظمة.[1] لذا سيملك الشجاعة ليحرر نفسه من كل خديعة بأن بوسعه أن يجعل آونيتا سعيدة بفنه؛ إنه سيملك الشجاعة، من وجهة نظر إنسانية، ليسحق آونيتا. أود أن أضيف هنا عَرض ملاحظة سايكولوجية. كلما تطورت آونيتا بصورة أنانية، كلما ستكون خديعة الذات جلية. لم يكن متعذرًا، في الحقيقة، أن يستطيع دهاء حوري البحر الشيطاني في الحياة الفعلية من أن ينقذ آونيتا فحسب، من وجهة نظر إنسانية، بل تمكن أيضًا أن يستخرج شيئًا استثنائيا منها، لأن الشيطاني يعرف كيف ينتزع القوى من حتى أضعف الناس، ويمكن أن تكون نياته وبطريقته الخاصة طيبة جدًا تجاه الإنسان.

---

(1) بمماحكته المألوفة. تم انقاذ حوري البحر عبر آونيتا وينتهى كل شيء بزواج سعيد. زواج سعيد! هذا سهل للغاية يتناول الجمالي أحيانا موضوعًا مشابها لو كان على الأخلاقي، بالمقابل، أن يلقي خطبة في العرس فإنني أتصور أن الأمور ستكون مختلفة. يلقي الأخلاقي عباءة الحب على حوري البحر، وبذلك يكون كل شيء منسيًا. وهو امر مستعجل أيضًا أن يفترض أن الأشياء تحدث في الزواج كما تجري الأمور في مزاد، حيث يباع كل شيء على حالته عندما تدق مطرقة الدلال. إنه يسعى فحسب إلى أن يحصل العاشقان على بعضهما، أما البقية لا أهمية لها. عليه أن يرى فحسب، ماذا يحدث بعد ذلك؛ لكن ليس لديه وقت لذلك، أنه مشغول تمامًا وعلى الفور بأن يجمع عاشقين جديدين معا. علم الأخلاق هو أكثر علم منكر للإيمان من بين كل العلوم. أي فرد أحبه سيصبح بمعنى واحد حزينًا؛ بينما هذا الذي لم يحبه أبدا يكون ويبقى غبيا.

يقف حوري البحر عند قمة ديالكتيكية. لو أُنقِذ من الشيطاني بتوبة، فهناك طريقان محتملان. فأما أن يتمكن من حبس نفسه، والبقاء في الخفاء، لكن دون اعتمادٍ على ذكائه. في تلك الحالة فإنه لن يدخل كفرد في علاقة مطلقة مع الشيطاني، بل يجد سلامًا في مفارقة معارضة، إن الإلهي سينقذ آونيتا. (على هذا النحو أرادت العصور الوسطى أن تجعل الحركة؛ لأن حوري البحر يكون طبقًا لطريقة تفكيرها منقولًا إلى الدير بشكل مكشوف). أو يمكن إنقاذه من قبل آونيتا. ينبغي أن لا يفهم من هذا بطريقةٍ، كما لو سيُنقَذ بحب آونيتا من أن يكون غاويًا في المستقبل (تلك محاولة إنقاذ جمالية، التي تتجنب دائمًا المسألة الرئيسية، أيّ الاستمرارية في حياة حوري البحر)؛ لأنه يكون في هذا المجال مُنقذا؛ يتم انقاذه بمقدار ما يصبح بيّنا. وعندئذ يتزوج آونيتا. عليه مع ذلك أن يلجأ إلى المفارقة. بكلمات أُخرى، عندما يكون الفرد بالذات قد خرج بذنبه من العام، فإنه يستطيع أن يعود فقط بمقتضى كونه دخل كفرد في علاقة مطلقة مع المطلق. هنا أود أن أقدم تعليقًا، الذي يقول أكثر مما قيل سابقًا حول أي نقطة. [1] ليس الإثم هو الآنية الأولى، الإثم هو آنية لاحقة. يكون الفرد في الإثم مسبقا من ناحية المفارقة الشيطانية هو أعلى من العام، لأنه تناقض من العام أن يريد أن يطلب نفسه من هذا يعوزه *شرط لازم*.[2] لو فكرت الفلسفة أيضًا، من بين أمور أخرى، أنه أمكن ان يخطر على بال إنسان

---

(1) حتى هذه النقطة تجنبت بعناية كل اعتبار لمسألة الإثم وحقيقته. كل شيء تركز على إبراهيم، ولا إزال أستطيع تناوله بمقولات مباشرة، أي، بقدر ما أستطيع أن أفهمه. لكن حالما يظهر الإثم إلى العلن، ستنهار حينئذ الأخلاق بالذات على التوبة؛ لأن التوبة هي أعلى تعبير اخلاقي، لكن لأنها كذلك فهي أعمق تناقض أخلاقي ذاتي.

(2) في الأصل condition sine qua non

أن يريد أن يعمل حسب تعاليمها، فسيحصل على كوميديا غريبة منها. الأخلاق التي تتجاهل الخطيئة، هي علم عقيم تمامًا، لكن حالما تسلم جدلًا بالخطيئة، فإنها تكون للسبب نفسه تجاوزت ذاتها. تعلم الفلسفة، أنه ينبغي ألغاء الآنية[1]. هذا صحيح بصورة كافية، لكن ما هو ليس صحيحًا هو أن الإثم هو الآنية مباشرة أكثر مما يكون الإيمان بصورة مباشرة الآنية.

حالما أتحرك في هذه المجالات، فكل شيء يكون يسيرًا، لكن لا شيء مما قيل هنا، يوضح قضية إبراهيم؛ لأن إبراهيم لم يصبح فردًا من خلال الإثم ـ على العكس كان رجلًا صالحًا، الذي اختاره اللّه. لهذا فإن أي نظير إلى إبراهيم لن يصبح جليًا حتى بعد أن يُجلَب الفرد إلى وضع يكون فيه قادرًا على تحقيق العام، والآن تكرر المفارقة نفسها.

لهذا أستطيع فهم حركات حوري البحر، بينما لا أستطيع أن أفهم إبراهيم، لأن حوري البحر يبلغ عن طريق المفارقة بالذات نقطة الرغبة لتحقيق العام. لو بقي مختفيًا وشرع في كل عذابات التوبة، يصبح عند ذاك شيطانًا، ويكون على هذا النحو محطمًا. لو بقي مختفيًا لكنه لا يفكر بحصافة أن يكون قادرًا على العمل لتحرير آونيتا لكونه تعذب في استرقاق التوبة، والتالي يجد بلا شك سلاما، لكنه يكون خاسرًا إلى هذا العالم. لو أنه يصبح مكشوفًا، لو يتيح لنفسه أن تُنقذه آونيتا، عندها يكون أعظم إنسان يمكنني أن أتصوره؛ لأن الجمالي فقط، الذي يعتقد بشكل طائش أنه يطري سلطة الحب من خلال جعل مُبدد يكون محبوبًا من فتاة بريئة ويُنقذ نتيجة لذلك. الجمالي فقط، الذي يدرك الخطأ، ويعتقد أن الفتاة هي

---

(1) أو «المباشرة»

البطلة بدلًا من أن يكون حوري البحر. ولهذا لا ليس بوسع حوري البحر أن يخص آونيتا من دون أنه يقوم، بعد القيام بحركة التوبة اللانهائية، بحركة إضافية أخرى، حركة بمقتضى اللامعقول. يستطيع بقوته الخاصة أن يقوم بحركة التوبة، إلا أنه يستخدم أيضًا كل قدرته على الإطلاق لذلك، ولهذا من المستحيل أن يتمكن ثانية بقوته الخاصة أن يعود ثانية ويفهم الواقع. حين لا يملك المرء عاطفة كافية للقيام بهذه أو تلك الحركة، عندما يعمل المرء بغير اتقان خلال الحياة، يتوب قليلًا ويعتقد أن كل شيء سينتهي على ما يرام، عندئذ يتخلى المرء عن العيش في الفكرة مرة وإلى الأبد، وبهذه الطريقة يستطيع بسهولة كبيرة أن يبلغ الأعلى ويساعد الآخرين على بلوغ الأعلى أيضًا ـ أعني، يضلل نفسه والآخرين بالاعتقاد أن أمورًا تحدث في عالم الروح مثلما في يحدث كل شيء في *لعبة* [1]، عن طريق الصدفة. لذا فمن الممتع التفكير، كم هو غريب أن الشك حول خلود الروح يمكن أن يكون منتشرًا جدًا؛ لكن هذا الذي قام حقًا بالحركة اللانهائية فحسب، نادرًا ما يشك. نتائج العاطفة هي الوحيدة الصادقة، أيّ، الوحيدة المُقنِعة. لحسن الحظ أن الحياة هنا أكثر عطفًا، وأكثر إخلاصًا مما يدّعيه الحكماء، لأنها لا تستثني أحدًا حتى الأكثر وضاعة؛ ولا تسخر من أحد، فوحده المستغفل في عالم الروح مَن يمكن أن يستغفل نفسه. هذا هو رأي الجميع ـ وبمقدار ما أجرؤ أن أتيح لنفسي بإصدار حكم حول هذا، فهذا هو رأيي أيضًا ـ أن تدخل في الدير ليس هو الأسمى. لكنني في كل الأحوال لا أعتقد على ذلك الأساس أن كل واحد في عصرنا، حين لا يذهب أي إنسان إلى الدير، هو أعلى من الأرواح العميقة والصادقة التي وجدت راحة هناك. كم عدد الذين

(1) في الأصل Gnavspil

لديهم عاطفة كافية في زمننا ليفكروا هذه الفكرة ومن ثم يحكمون على أنفسهم بصدق؟. ذات الفكرة أن تكون منصفًا حول الوقت بهذه الطريقة، أن تأخذ الوقت لتبحث بدأب لا يكلّ كلّ فكرة سرية منفردة، بحيث إذا لم يقُم المرء بالحركة في كل لحظة على أساس ما هو أكثر نبلًا وأكثر تقديسًا فيه، فربما يمكن أن يكتشف بفزع ورعب، [1] إذا لم يكن بطريقة أخرى، فبالفزع ـ العواطف المدلهمة المختفية في كل حياة إنسانية، بينما ينسى بسهولة جدًا، عندما يعيش في شراكة مع آخرين، وبسهولة يتخلص من هذا، توقف في طرق عديدة جدًا، وحصل على الفرصة كي يبدأ من جديد ـ هذه الفكرة وحدها، مفهومة باحترام لائق، أمكن، كما أعتقد، أن تهذب أفرادًا عديدين في عصرنا الذين يعتقدون مسبقًا، أنهم بلغوا أعلى نقطة. لكن هذا الأمر ذات أهمية قليلة بالنسبة للإنسان في عصرنا، الذي يعتقد أنه بلغ الأسمى، بينما في الحقيقة لم يوجد عصر تعرض إلى السخرية بصورة كبيرة مثل عصرنا. ومن المتعذر أن ذلك لم يحدث مسبقًا بحيث إن جيلنا عن طريق تناسله الذاتي [2] قد أنجب بطله، الشيطان، الذي وضع في قطعة مسرحية مرعبة على عجل، بحيث تجعل كل الجيل يضحك وينسى أنه يضحك على نفسه. أو ما هي القيمة التي تمتلكها الحياة في الحقيقة أكثر من تضحك منها ـ عندما يكون المرء قد بلغ الأعالي مسبقًا عند عمر

---

(1) ذلك لا يعتقد الإنسان به في عصرنا الجاد، ومع ذلك، وبغرابة كافية، أنه حتى في هذا الوثنية الأصلية الأكثر طيشًا والأقل تأملًا، فقد أشار هذان الممثلان الحقيقيان لوجهة النظر اليونانية عن الحياة «اعرف نفسك»، لمح كل بطريقته بذلك، من خلال الغوص في أعماقه ذاتها، يكتشف المرء نزعة إلى الشر. لا حاجة بي بالتأكيد إلى القول إنني أفكر بفيثاغورس وسقراط.

(2) في الأصل generatio æquivoca ويمكن أن تترجم أيضًا «الجيل العفوي»

العشرين؟ وأية حركة عالية قد اكتشفها العصر، منذ أن تخلى الناس عن دخول الأديرة؟ أليست حكمة دنيوية بائسة، حصافة وجُبن، الذي يجلس في مكان الشرف، الذي يوهم الناس بشكل جبان في التفكير بأنهم حققوا الأسمى، وينهيهم بمكر عن تجريب حتى الأقل؟ الشخص الذي عمل حركة الدير، بقت لديه حركة واحدة فقط، وهي حركة اللامعقول. كم عدد الذين في عصرنا يفهمون ما هو اللامعقول؟ كم عدد الذين يعيشون على نحوٍ، بحيث إنهم تنازلوا عن كل شيء، أو حصلوا على كل شيء؟ كم عدد الذين يكونون صادقين جدا فحسب، بحيث أنهم يعرفون ما هم قادرون على عمله وما هم غير قادرين على عمله؟ أليس صحيحًا أنه إذا يوجد أمثال هؤلاء على الإطلاق، فيمكن العثور عليهم غالبًا بين الأقل تعليمًا وجزئيًا بين النساء؟ يفضح عصرنا عيبه بنوع من قراءة المغيب، تمامًا مثلما يكشف شيطاني عن نفسه تمامًا من دون أن يفهم نفسه، لأن العصر يستدعي مرات ومرات الكوميدي. إذا كان ذلك حقًا ما يحتاجه جيلنا فسيحتاج المسرح إذن، مسرحية جديدة جُعل موت أحد فيها من أجل الحب مضحكًا، هل سيكون مفيدًا ربما للعصر لو حدث مثل هذا الشيء بيننا، لو كان على العصر أن يشهد على حدث كهذا، لكي يستطيع أن يحصل على شجاعة مرة ليؤمن بقوة الروح، شجاعة كي يتوقف خنق الجانب الأحسن من نفسه بشكل جبان، ويخمدها بحسد في الاخرين ـ خلال الضحك. هل سيكون ضروريًا لزمننا حقا أن يملك حضورًا [1] مضحكا لمُتحمسٍ لكي نجد شيئًا ما كي نضحك عليه، أم بالأحرى ألا نكون بحاجة إلى مثل هذه الشخصية المتحمسة في الواقع لتذكيره بما قد نسيه؟

---

(1) في الأصل *Erscheinung*

لو هناك حاجة إلى حبكة مماثلة بل وحتى أكثر إثارة، لأن عاطفة التائب لم يطلق عنانها، أمكن للمرء أن يستخدم قصة من كتاب *طوبيا*.[1] أراد الشاب طوبيا الزواج من سارة، ابنة راغال وإدنا. لكن الفتاة كانت محاطة بأجواء مأساوية. زُوِجت لسبع رجال كلهم ماتوا في بيت العروسة. بالنسبة لحبكتي، يكون هذا خللا[2] في القصة، لأن التأثير الكوميدي لا يمكن تجنبه تقريبًا في الفكرة عن محاولات الفتاة العقيمة السبع كي تتزوج، رغم أنها كانت على وشك النجاح، على وشك مثل تلميذ فشل سبع مرات في امتحاناته الأخيرة. في كتاب طوبيا تكون اللهجة في مكان آخر، ولهذا فإن الرقم العالي مهم، وحتى بمعنى محدد تساهم في المأساة، لأن الشاب شهامة طوبيا تكون بكل عظمة، جزئيًا لأنه الابن الوحيد لوالديه (6:14)، وجزئيًا لأن المظهر المروع يفحم نفسه كليًا. وبالنتيجة ينبغي أن يستبعد. سارة، عندئذ، فتاة لم تقع في الحب أبدًا، التي لا تزال تملك كنز فتاة سار، رهنها المذهل الهائل على الحياة، *تفويضها الكامل عن السعادة*[3] ـ *أن* تُحب رجلًا من كل قلبها. ومع ذلك فإنها أكثر حزنًا من الجميع، لأنها تعرف أن الشيطان الشرير الذي يحبها سيقتل عريسها في ليلة الزواج. لقد قرأت عن أحزان كثيرة، لكنني أشك أنه يوجد حزن عميق في مكان ما مثل هذا الحزن في حياة هذه الفتاة. لكن إذا جاء الحزن من الخارج، يمكن مع ذلك أن يوجد السلوان. إذا فشلت الحياة أن تزود إنسان بذلك الذي يمكن أن يجعله سعيدًا، فإنها ماتزال معزية ان يعرف أنه يستطيع أن

---

(1) كتاب طوبيا هو بين الكتب الدينية المنتحلة في الإنجيل القديم

(2) في الأصل *fregne*

(3) بالألمانية في الأصل *vollmachtbrief zum glucke*

يحصلها. لكن أي حزن هذا لا يسبر غوره، بحيث لا يمكن لأيّ مقدار من الزمن أن يطرده، ولا يمكن لأي مقدار من الزمن أن يداويه ـ أن يعرف أنه لن يكون نافعًا إذا فعلت الحياة كل شيء. يخفي كاتب إغريقي في سذاجته البسيطة بلا حدود الكثير عندما يقول: «لأنه لا أحد على الإطلاق نجا من الحب بعدُ، ولن يكون أحد، أبدًا مادام يوجد جمال، أبدًا مادام العيون ترى»[1] (لونغي، *باستورواليا*).[2] العديد من الفتيات اللواتي أصبحن تعيسات في الحب، لكنها على الرغم من هذا صارت بأي حال تعيسة؛ كانت سارة كذلك قبل أن تكون هي ذلك. إنه أمر قاسٍ أن لا يجد الإنسان هذا الذي يسلم نفسه إليه، لكن من المحزن جدًا بصورة لا توصف أن لا يكون قادرًا على أن يسلم نفسه. تسلم فتاة شابة نفسها، وحينها قيل: الآن، إنها لم تعد حّرة. إلا أن سارة لم تكن أبدا حرّة، ومع ذلك، لم تسلم نفسها أبدًا. إنه أمر قاس حقا أن على فتاة ان تسلم نفسها لأحد وتكون مخدوعة بحبها، لكن سارة كانت مخدوعة قبل أن تخضع نفسها. أي عالم حُزن لا يكون سيأتي كنتيجة لزواج طوبيا أخيرًا من سارة! أية طقوس زواج، وأية استعدادات! لم تخدع فتاة مثلما خدعت سارة؛ لأنها خدعت بأكثر شيء مبارك من كل الأشياء، الثروة المطلقة، التي حصلت عليها حتى افقر الفتيات، خُدعَت من الولاء المؤكد، المكبوت، اللامحدود، غير المقيد، ففي البداية ينبغي أن يكون هناك دخانًا من موضع القلب وكبد السمكة على الجمرات الملتهبة. وكيف تودع الأم ابنتها، التي هي نفسها خدعت

---

(1) في الأصل «pantos gar oudeis Erota epfugen I feuksetai mechri an kallos I kai ofthalmoi Bleposin».

(2) لونغي كان أحد السوفسطائيين الإغريق في القرن الرابع أو الخامس بعد الميلاد. وهو مؤلف لنص إيروتيكي بعنوان «دفني وجلو». وهذا النص مأخوذ من «رعويات»

تمامًا مثلما من كل شيء، عليها أن تخدع الأم بأكثر الأشياء جمالًا. لكن اقرأ القصة. أعدّت إدنا الصالة وادخلت سارة ونحبت، واستقبلت دموع ابنتها ـ وقالت لها: «كوني شجاعة يا ابنتي! ليمنحك رب السماء والأرض السعادة بدلًا عن هذا الحزن! كوني شجاعة يا ابنتي». والآن حلت لحظة الزواج. نواصل القراءة ـ ولو من اجل الدموع «لكن عندما أغلق الباب وكانتا معًا، نهض طوبيا من السرير وقال،» انهضي، يا أختي، وسنصلي إلى الرب ليكون رحيمًا بنا» (8،4).

لو قرأ شاعر هذه القصة وكان عليه أن يستخدمها، فإنني أراهن مئة ضد واحد؛ بأنه سيجعل كل شيء مركزًا على طوبيا الشاب. هذه الشجاعة البطولية أن يكون راغبًا ليخاطر بحياته في مثل هذه الخطر البين ـ كما تذكرنا القصة مرة أُخرى، لأن راغال قالت في الصباح التالي بعد العرس إلى إدنا: ارسلي إحدى الفتيات لترى فيما إذا هو لا يزال على قيد الحياة، فإذا هو ميت، يمكنني أن أدفنه، لا أحد سيعرف هذا» (8،4) ـ هذه الشجاعة البطولية يمكن أن تكون الموضوع. أخاطر باقتراح موضوعًا آخرا. بالتأكيد أن طوبيا تصرف بأناقة، وبشكل حازم، وبنبل، بل كل رجل، الذي لا يملك شجاعة لفعل ذلك هو مخنث، الذي لا هو يعرف ما هو الحب، أو ما معنى أن تكون رجلًا، أو ما هو القيم للعيش من أجله؛ هو لم يفهم حتى الغرابة الصغيرة، أن من الأفضل أن يعطي من أن يأخذ، ولا يملك اي محاكاة للغرابة العظيمة التي تكون أكثر صعوبة إلى حد بعيد أن تستلم من أن تعطي، أي لو أن أحدًا يمتلك الشجاعة أن يعمل خارجا وفي ساعة الشقاء لا يبرهن على جبن. لا، إن سارة هي الشخصية البطلة. إنها الشخصية التي أريد أن أقاربها كما لم أقارب أي فتاة أو شعرت بإغراء في الفكر لمقاربة

أي أحد قد قرأت عنه. فكم من الحب إلى للّه يتطلب ليكون راغبًا للسماح إلى نفسه لتشفى، عندما يكون المرء منذ البداية ذاتها بكل براءة فاسدًا، منذ البداية ذاتها نموذجا لإنسان محطم. أيّ نضوج أخلاقي ليتحمل المسؤولية على عاتقه للسماح إلى الحبيب لعمل شيء ينطوي على مخاطرة كبيرة! أي تواضع أمام الآخر! أي إيمان بالله، بحيث إنها لن تكره في اللحظة اللاحقة، الرجل نفسه التي هي مَدينَة له بكلّ شيء!

تصور أن تكون سارة رجلًا، ويكون الشيطان حاضرًا مباشرة. الطبيعة النبيلة والفخورة تتحمل كل شيء، لكن شيء واحد لا تتحمل ـ أنها لا تتحمل الشفقة. فثمت إهانة فيها، التي يمكن أن تصيب الفرد بقوة أعلى فقط؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يكون أبدًا هدفًا له بنفسه. إذا هو إثم، فيمكن أن يتحمل العقاب من دون قنوط، لكن أن يكون من دون ذنب من رحم أمه، ومع ذلك أن تكون مقدرًا له كضحية للشفقة، فهي رائحة طيبة في أنفه ـ لا يستطيع أن يتحملها. للشفقة ديالكتيك غريب؛ في لحظة تتطلب الذنب، وفي لحظة أخرى ترفضها، ولهذا أن يكون مقدرًا عليه بالشفقة يغدو أمرًا مرعبًا تدريجيًا، كلما تكون مصيبة الفرد متوجهة بصورة أكبر إلى الروحي؟ لكن ليس لدى سارة ذنب، لقد رُميَت كفريسة لكل معاناة ومن ثم إضافة إلى ذلك عليها أن تتعذب بالشفقة الإنسانية، فحتى أنا، الذي أنظر غليها بإعجاب أكثر مما أحبها طوبيا، حتى أنا لا أستطع أن أذكر اسمها من دون أن أقول: هذه الفتاة المسكينة!

تصور ان تكون سارة رجلا، دعه يعرف لو أحب فتاة، ستأتي روح الجحيم وتقتل الحبيب في ليلة الزواج. من المحتمل أنه يختار الشيطاني؛ يحبس نفسه في داخله ويتكلم بالطريقة التي تتكلم بها الشخصية الشيطانية

في السر: «شكرا، أنا لست صديقًا للاحتفالات والتعقيدات؛ إنني لا أطالب إطلاقا بلذة الحب، يمكنني أن أكون في الواقع ذا اللحية الزرقاء[1] الذي ينال بهجته من رؤية الفتيات يُمتن في ليلة الزواج.» عموما نعرف القليل جدًا عن الشيطاني، على الرغم من أن هذا الموضوع يملك مطلبًا صادقًا ليكتشف خاصة في عصرنا، وعلى الرغم أن المراقب، يستطيع ـ لو أنه يعرف أي شيء على الإطلاق عن إيجاد صلة مع الشيطاني ـ أن يستخدم أي إنسان عمليًا، على الأقل بشكل مؤقت. يكون وسيبقى شكسبير في ذلك الشأن دائما بطلًا. ذلك الشيطان المرعب، أكثر شخصية شيطانية التي وصفها شكسبير، بل والتي وصفها بطريقة فذّة ـ غلوسيستر (لاحقًا *ريشارد الثالث*) ـ ما الذي حوّله إلى شيطان؟ من الواضح، أنه لم يستطع تحمل الشفقة التي انصبت عليه منذ الطفولة. من ولوجه في المشهد الأول من *الملك ريشارد الثالث يملك* قيمة أكثر من كل الأنظمة الأخلاقية، الذي لا يملك أيّ تلميح عن كوابيس الحياة أو تفسيرها.

.. ich, roh geprätg, und aller reize bår,

Vor leicht sich dreh'nden nymhen mich zu brüsten;

Ich, so verkürzt um schönes ebenaB,

Geschändet von der tückischen natur,

Enstellt, verwahrlost, vor der zeit gestandt

In diese welt des athmens, haalb fertig

---

(1) وهذه من قصته «النبيل ذو اللحية الزرقاء» التي أخذها وقام بتحويرها عن حكاية شعبية مشهورة. Charles Perault (1628 - 1703) الكاتب الفرنسي

Gemacht. Und zwar so lahm und ungeziemend

daB hunde bellen, hink' ich wo vorbej.

انا، الذي وطِئت بفظاظة،

أصبو إلى جمال المحبوب

كي أختال أمام حورية تتهادى لعوب؛

انا، الذي اجتزأت من هذه النسبة العادلة،

بخداع هذه الطبيعة المرائية

وصفت ملامح وجهي. خرجت إلى العالم مبكرًا

مركولًا من رحم الأم،

نصف مكتمل، مشلول تمامًا، وغير كامل

بحيث تنبح الكلاب عليّ عندما أتردد عليها.

شخصيات مثل غلوسيستر لا يمكن للإنسان أن ينقذها بتوسطها داخل فكرة المجتمع. الأخلاق تقوم في الحقيقة بالضحك فقط منها، كما سيكون سخرية من سارة بالنسبة للأخلاق حين تقول لها: لماذا لا تعبرين عن العام وتتزوجين؟» مثل هذه الشخصيات تكون أصلا في المفارقة، وهي ليست أقل كمالا على الاطلاق من الآخرين؛ عدا أنها امّا أن تكون ملعونة في المفارقة الشيطانية أو يتم انقاذها في الالهي. ابتهج الناس وقت بعد آخر أن الساحرات، الأقزام[1] والعفاريت إلخ، هي مخلوقات ممسوخة، ولكل إنسان بلا شك ميل، عندما يرى مسخًا، أن يلحق به فكرة الانحطاط

(1) Nisser لم أجد مقابلاً لها بالعربية وهي عبارة عن تماثيل، أو مخلوقات قزمية، يحتفل بها في أعياد الميلاد ولها مغزى دينيًا.

الأخلاقي على الفور. فأي ظلم هائل! طالما أن الصلة ينبغي أن تكون معكوسة، أن الحياة ذاتها أفسدتهم، مثلما تجعل زوجة الأب الأطفال ضالين. الشيطاني، الذي لا يلام الفرد نفسه عليه، يملك بدايته بكونه وضع أصلًا خارج العام بواسطة الطبيعة أو الوضع التاريخي. ولهذا فإن يهودي كومبرلاند[1] هو أيضًا شيطان، بالرغم من أنه يعمل الخير. وهكذا فالشيطاني يمكن أن يعبر عن نفسه أيضًا كاحتقار للبشر، احتقار، وهو ما ينبغي ملاحظته، الذي لا يقود الشيطاني ذاته ليعمل باحتقار؛ على العكس، هو لديه عزيمته في وعيه بأنه أفضل من كلّ الذين يصدرون أحكامًا عليه.

ينبغي أن يكون الشعراء هم أوّل تقريبًا من يحذر حول مثل هذه القضايا. اللّه وحده يعلم أية كتب يقرأ الشباب النظّامين في هذه الأيام.! بلا شك، دراستهم تتكون على الأرجح من تعلم القوافي عن ظهر قلب. اللّه يعلم، أيّ أهمية لهم في هذا الحياة! في هذه اللحظة لا أعرف، فيما أنهم صالحون لأي شيء سوى أن يقدموا لنا دليلًا تربويًا عن خلود الروح، طالما يمكن للمرء أن يقول عنهم إلى نفسه، ما قاله باغسن[2] عن شاعر المدينة كيلَفاله: لو أنه يصبح خالدًا، فكلنا نصبح خالدين. ما قيل هنا عن سارة بصورة رئيسية فيما يتعلق بالعرض الشعري، وبافتراض شعري خيالي كذلك، له قيمته الكاملة، عندما يريد المرء أن يتعمق باهتمام سايكولوجي، معنى القول القديم: «لم يُوجد هناك عبقري عظيم أبدًا من دون بعض لمسة جنون».

---

(1) عُرِضت مسرحية ريشارد كومبرلاند(1732 ـ 1811) «اليهودي» على المسرح الملكي الدانماركي في السنوات 1795 ـ 1834. وهي مسرحية كوميدية من خمسة مشاهد يصور فيها بكونه إنسانًا بخيلًا ومرابيا، لكنه كان في السر محسنًا كبيرًا.

(2) الشاعر ينس عمانوئيل باغسن(1764 ـ 1826)

لأن مثل هذا العُته هو معاناة العبقري في الحياة، وهو التعبير، إذا أجرؤ أن أقول ذلك، عن الحسد الإلهي، بينما الملمح العبقري نفسه هو تعبير عن الأفضلية. وهكذا فالعبقري يكون مشوشًا منذ البداية في علاقته بالعام ويوضع في صلة بالمفارقة ـ فيما إذا كان هو في يأس حول محدوديته (التي تحوّل بنظره قدرته الكلية إلى عجز) يبحث عن تطمين، ولذلك لا يرغب أن يقرّ محدوديته لا إلى اللّه أو الإنسان، أو أنه يطمئن نفسه دينيا بحب الرباني. هنا هي الموضوعات السايكولوجية، التي يمكن للإنسان أن يمنح حياته كاملة لها، كما أعتقد، بسعادة، ومع ذلك لا نسمع كلمة واحدة عنها. ما هي العلاقة بين اختلال العقل والعبقرية؛ هل يمكن تشكيل الأول من الثاني؟ بأيّ معنى وإلى أيّ حد يكون العبقري سيدًا على خبله؟ لا مشاحة، أنه يكون، إلى حد ما، سيده، وإلاّ فإنّه سيكون في الحقيقة مجنونًا. لأن مثل هذه الملاحظات تتطلب، مع ذلك، درجة عالية من العبقرية والحب، لأن مراقبة الإنسان المتفوق يكون صعبًا جدًا. وإذا أولينا اهتمامًا إلى هذا الأمر في قراءة بعض المؤلفين من العباقرة العظماء، ربما يكون من الممكن، مرة واحد فقط، وإن بصعوبة كبيرة، أن تعثر على القليل.

كي نتناول حالة أُخرى، دعونا نتخيل فردًا يريد انقاذ العام بواسطة اختفائه وصمته. يمكنني أن استخدم إلى هذا أسطورة فاوست. فاوست شكّاك.[1] مرتد عن الروح الذي يموت. هذا هو تفسير الشاعر، على الرغم

(1) إذا لم يرغب أحد أن يستخدم شكاكًا، فيمكنه أن يختار شخصية مماثلة، مثلا، متهكم، الذي رأى بنظرته الثاقبة سخرية الحياة، والذي تيقن من خلال فهم خفي لقوى الحياة ما يحتاجه المريض. هو يعرف أنه يملك سلطة الضحك، لو أنه يرغب استخدامها، يكون واثقًا من نجاحه، وفي الواقع، حتى ما هو أكثر، واثقا من سعادته. إنه يعرف أن صوتًا ما سيعلو ضده ليمنعه، لكنه يعرف أنه الأقوى. يعرف، أنه لا يزال ممكنا تقديم

من تكرار هذا مرة بعد الأُخرى، بأن كل عصر له فاوسته، ما يزال الشعراء واحدًا إثر الآخر يسلكون بإصرار هذا الطريق المطروق. دعونا نقوم بتغيير بسيط. فاوست شكاك بمعنى *رفيع*[1]؛ لكنه يملك طبيعة شفوقة. حتى في فهم غوته لفاوست فإنني أفتقد رؤية سايكولوجدية عميقة في الأحاديث السريّة للشك مع نفسه. في عصرنا، حيث قد جرب الجميع، في الواقع،

البشر ليبدو جادين للحظة، لكنه يعرف أيضا، انهم يحنون بسرية إلى الضحك معه؛ هو يعرف أنه ما يزال ممكنا أن يجعل المرأة تمسك المروحة أمام عينيها عندما تتحدث، لكنه يعرف ايضا، انها تضحك خلف المروحة. يعرف، أن المروحة ليست معتمة تمامًا، هو يعرف، أن الإنسان يستطيع ان يكتب كتابة غير مرئية عليها، يعرف إنه عندما تهز المرأة بالمروحة نحوه فلأنها فهمته. إنه يملك بصورة لا يشوبها الخطأ معلومات عن الطريقة التي بها يتسلل الضحك إلى شخص ويعيش مختفيا في الإنسان، وعندما يتخذ هناك مسكنا ذات مرة، فإنه يراقب وينتظر. دعونا نفترض على نحو ارستوفانيس، على نحو فولتير، مع تغيير طفيف، لأنه هو ايضا من طبيعة رحيمة، أنه يحب الحياة، يحب الناس، وهو يعرف، أنه حتى وإن توجب ان ينتفع جيلا شابا محررا من تأنيب الضحك، يعني الى العديد في عصره انحطاطا وخرابا. فيبقى صامتا أو ينسى بقدر ممكن كيف يضحك. ربما هناك العديد من الذين لا يفهمون على الإطلاق الصعوبة، التي اتحدث عنها. أنهم على الأرجح يعتبرون انها شهامة على نحو جدير بالإعجاب أن يبقى صامتًا. لا أتفق على الاطلاق، لأنني أعتقد أن أي فرد متربيا، لو أنه لم تكن لديه الشهامة ليبقى صامتًا، يكون خائنا للحياة. ولهذا أطلب هذه الشهامة منه؛ لكن لو أنه يملك هذه الشهامة، هل يجرؤ أن يبقى صامتًا؟. الأخلاق فرع خطر من العلم، وكان ممكنا بالتأكيد، أن ارستوفانيس قرر انطلاقًا من اعتبارات أخلاقية صرفة، أن يسمح للساخر أن يطلق أحكامًا على عصره الضال. لا يمكن النبل الجمالي لن يساعد؛ لأن المرء لا يجازف المرء بمثل هذه الأمور على هذا النتيجة. لو أنه ابتغى أن يبقى صامتًا فعليه أن يدخل في المفارقة. ـ هناك حبكة أُخرى أود أن أقترحها، مثلًا، لدى أحد الناس تفسيرًا لحياة بطل، لكن ذلك الذي شرحها بطريقة يرثى لها، ومع ذلك، لدى جيل كامل من عصره الثقة المطلقة في هذا البطل، دون أن يشك بأي شيء من هذا القبيل.

(1) في الأصل kat'eksochen

الشك، لم يقم شاعر حتى الآن بحركة في هذا الاتجاه. أشعر كأنني أقدم لهم سندات مالية ملكية ليكتبوا عليها، ليسجلوا كل ما جربوه في هذا الشأن ـ وسيكتبون بالكاد أكثر مما يضمه الهامش الأعلى.

فقط عندما يعيد المرء فاوست إلى نفسه، عندئذ فقط يمكن أن يأخذ الشك ملمحا شعرية؛ حينها فقط يكتشف حقا كل عذابات الشك في نفسه. ومن ثم يعرف أنها الروح التي تحفظ الوجود، لكنه يعرف أيضًا، أن هذا الأمن والفرح، اللذين يعيش فيهما البشر لا تقوم على سلطة الروح بل يمكن تفسيرهما بيسر باعتبارهما بركة بلا تأمل. كشكاكٍ، *مثل الشكاك*، أنه أسمى من كل هذا، وإذا أراد أحد ان يخدعه بإيهامه أنه خاض تجربة الشك، فإنه يستشف بسهولة خلاله؛ لأن أي واحد قام بحركة في عالم الروح، ومن ثم حركة أزلية، يمكنه أن يسمع على الفور من الرد فيما إذا كان المتحدث مُجرّبًا ومُختبرا أم مونشنهاوسن.[1] ما استطاع عمله تيمورلنك بالهونيين،[2] يعرف فاوست أن يفعله مع شكّه ـ يثير الناس ويرعبهم، يجعل العالم يهتز تحت أقدامهم، يفرق الناس في كل اتجاه، وأن يجلب صيحة الخطر بحيث تسمع في كل مكان. وإذا هو فعل ذلك، فهو إذن ليس تيمورلنك، بمعنى محدد أنه يملك سلطة الفكر ومخوّل للعمل بهذه الطريقة. لكن فاوست يملك طبيعة شفوقة، إنه يحب الحياة، ولا تعرف روحه أي حسد، ويدرك أنه لن يكون قادرًا على

---

(1) هو كارل فردريك هايرونيموس (1720 ـ 1797). وهو بارون ألماني عرف بحكاياته المدهشة، التي أُعيد قصها بأشكال متنوعة.

(2) تيمورلنك هو ملك المنغوليين الذي عاش في الفترة (1370 ـ 1405)، أما الهونيون فهم قبائل منغولية

ايقاف هذا الغضب، الذي يمكن أن يبثه بالتأكيد،، ولا يطمح لأي تكريم هيروستراتيكي [1] - بقي صامتا، وأخفى شكّه في روحه باعتناء أكبر من الفتاة التي تخفي ثمرة الحب الآثمة في قلبها، وهو يحاول ويستطيع كذلك أن يمشي بخطو متجانس مع الآخرين، لكن ما يجري في داخل نفسه، يستهلكه داخليًا وبهذه الطريقة يجعل نفسه ضحية إلى العام.

عندما تثير أحد الرؤوس غريبة الأطوار أحيانا زوبعة الشك، نسمع الناس يشتكون: يا ريت لو أنه صمت «فاوست يحقق هذه الفكرة. هذا الذي لديه تصور عمّا يعني لإنسان أن يعيش على الروح يعرف أيضًا ماذا يعني جوع الشك، ويعرف أن الشكاك يجوع كثيرًا للغاية إلى خبز الحياة اليومي مثلما يتوق إلى غذاء الروح. مع ذلك، إن إمكانية أن تكون كل محنة فاوست حجة صالحة بحقّ، فهو ليس الزهو الذي اكتسبه، ولهذا علي أن أتخذ إجراءً احتياطيًا، الذي يكون سهلا بالنسبة لي كي أبتكره؛ فمثلما جرجوريس ريميني[2] كان يلقب بمعذبِ *الرُّضع*،[3] لأنه وافق على لعنة الأطفال الرّضع، وعلى هذا النحو يمكن أن يغويني أن أسمي نفسي *معذب الأبطال*[4]؛ لأنني مبتكر جدًا حين يتعلق الأمر بتعذيب الأبطال. يرى فاوست ما رغريتا، لكن ليس بعد أن اختار اللذة؛ لأن فاوستي لا يختار

---

(1) شرف التدمير. أشعل هيروستراتيس النار في معبد ارتيمس في افيسوس في الليلة نفسها التي ولد فيها الاكسندر العظيم(356 قبل الميلاد)، لكي يجعل من نفسه خالدًا

(2) جريجوريوس ريميني فيلسوف ولاهوتي إيطالي توفى في 1358 لقب «معذب الرضع «لأنه أكد أن الأطفال الرضع الذين يموتون من دون أن يتعمدوا يعتبرون آثمين حتى الأزل.

(3) في الأصل totor infantium

(4) في الأصل totor heroum

اللذة أبدًا، هو لا يرى مارغريتا في قعر مرآة ميفستوفيلس، بل في كل براءتها المحبوبة، وطالما احتفظت روحه بالحب للبشر، يستطيع بكل سهولة أن يقع في حبها أيضًا. لكنه شكاك، الشك قد حطم الواقع بالنسبة إليه. لأن فاوستي مثالي جدًا، بحيث إنه لا يكون أحد أولئك العلماء الشكاكين، الذين يشكون ساعة واحدة في كل فصل دراسي في الكاتدرائية، لكن خلافًا لذلك فإنهم قادرون على فعل كل شيء آخر، كما يفعلون في الواقع حتى هذا من دون مساعدة الروح أو بمقتضى سلطتها. إنه شكاك، الشكاك يتحرق كثيرًا جدًا إلى خبز الفرح اليومي، مثلما يتطلع إلى غذاء الروح. لكنه مع ذلك يبقى مخلصًا إلى قراره، ويبقى صامتًا، ولا يتحدث إلى أحد الناس حول شكّه، ولا عن حبه إلى مارغريتا.

غني عن القول أن فاوست شخصية مثالية جدًا كي يرضَى بالثرثرة، بحيث لو أنه تحدث لتسبب بنقاش عام، أو أن كل القضية ستمر دون أي نتائج، أو ربما هذا أو ربما ذاك. (هنا، كما سيرى كل شاعر على الفور، يوجد العنصر الكوميدي الخامد في الحبكة، أي، وضع فاوست في علاقة تهكمية مع تلك حمى التمثيليات الهزلية، التي تطارد في أيامنا الشك، وتقدم حججا خارجية للبرهنة على أنهم حقا قد ارتابوا ـ مثلًا، شهادة دكتوراه ـ أو يقسمون على أنهم شكّوا بكل شيء، أو يبرهنونه من كون أنهم قد التقوا مرة في رحلتهم بشكاك، أولئك الرسل المستعجلين والعدائين في عالم الروح الذين يلتقطون من إنسان على وجه السرعة خبرًا صغيرًا عن الشك، ومن إنسان آخر شيئا عن الإيمان، ثم *يتاجرون*[1] بأفضل طريقة معتمدين على فيما تريد الرعية رملًا ناعمًا أم رملًا خشنًا. فاوست

(1) في الأصل wirtschafte،

هو شخصية مثالية جدًا كي يطوف في خفّين. كل من ليس لديه عاطفة لا حدود لها ليس مثاليًا، وهذا الذي لديه عاطفة لانهائية فقد أنقذ روحه من فترة طويلة جدًا من مثل هذا الترهات. بقي صامتًا لكي يضحي بنفسه ـ أو أنه يتكلم بوعي أنه سيرمي كل شيء إلى الفوضى.

لو بقي صامتا، عندئذ تدينه الأخلاق، قائلة: «عليك أن تعترف بالعام، وتقوم بذلك بالذات من خلال التحدث، وأن لا تجرؤ على أن تكون لديك عاطفة عن العام». ينبغي عدم نسيان هذه الملاحظة حين يُدان الشكاك أحيانًا بصورة قاسية لأنه تكلم. أنا لا أميل للحكم على مثل هذا السلوك برفق، لكن هنا مثلما في أي مكان آخر، يتعلق الأمر بأن الحركات تحدث بصورة طبيعية. في أسوء الظروف والأحوال، الشكاك ـ حتى وإن يجلب من خلال الحديث كل إشكال الكوارث الممكنة على العالم ـ فإنه ما يزال مفضلًا على تلك الأفواه الحلوة البائسة، التي تذوق كل شيء، والتي تريد أن تشفي الشك من دون أن تعرفه، والتي تكون لذلك، كقاعدة، السبب المباشر لانتشار شك خارج عن السيطرة وصعب التحكم فيه ـ لو أنه يتحدث، يلقي حينئذ كل شيء في فوضى؛ وحتى إذا لم يحصل هذا، فلن يعرف ذلك حتى لاحقًا، ولا يمكن أن تساعد النتيجة أحدًا، لا في لحظة الفعل أو فيما يتعلق بالمسؤولية.

لو يبقى صامتًا على مسؤوليته، عندئذ يعمل على الأغلب الظن بصورة شهمة، لكنه سيضيف بلاءً روحيًا قصيرًا إلى آلامه الأخرى؛ لأن العام سيعذبه باستمرار ويقول: كان عليك أن تتكلم، كيف يمكنك أن تكون متأكدًا أن قرارك لم يكن ملقنا من اختيال مخفي؟

لكن اذا كان يمكن للشكاك أن يصبح، على خلاف ذلك، الفرد، الذي

باعتباره فردًا يكون في علاقة مطلقة مع المطلق، ومن ثم يحصل على تفويض عن صمته. ينبغي عليه في تلك الحالة أن يحوّل شكّه إلى ذنب. وفي تلك الحالة يكون في المفارقة، لكن عندئذ يكون شكّه قد شُفي، حتى وأن يحصل ربما على شكّ آخر.

حتى الإنجيل الجديد سيقر مثل هذا الصمت. علاوة على ذلك، هناك عبارات في الإنجيل الجديد تمدح التهكم، شريطة أنه يستخدم لإخفاء الأفضل. لكن هذه الحركة هي، مع ذلك، حركة مساوية تماما لحركة التهكم مثلما أية حركة أُخرى تقوم على افتراض أن الذاتية تكون أعلى من الواقع. هذا شيء لا يريد أحد في عصرنا معرفة أي شيء عنه؛ ولا يريد الإنسان إطلاقا أن يعرف عن التهكم أكثر مما قاله هيغل، الذي لم يفهم منه، بغرابة إلى حد كاف، إلا القليل منه، وحمل في الواقع ضغينة ضده، والذي لدى عصرنا سبب معقول بعدم التسليم؛ لأن عليه أن يحمي نفسه من التهكم. تقول خطبة الجبل: فإذا صمتَ، فادهن رأسكَ واغسِل وجهكَ، لكيلا يظهر للناس أنّك صائم.[1] تقدم العبارة شهادة بيّنة أنه لا يمكن قياس الذاتية بالواقع، وحتى إن لها الحق، في الواقع، أن تخدع. لو أن الناس الذين يطوفون هذه الأيام باحاديث مبهم عن فكرة الرعية، سيقرأون الإنجيل الجديد، ربما سيهتدون إلى إفكار أخرى.

لكن إبراهيم الآن ـ كيف تصرف؟ لأنني لم أنس، وربما يريح القارئ الآن ان يتذكر، انها كانت هذه هي النقطة التي هدف كل النقاش السابق ان يقود اليها. لا لأن إبراهيم أصبح لذلك مفهومًا بصورة أكبر، لكن لكي يصبح

(1) الإنجيل الجديد، متي، 6:16 ـ 17

إبهامه ربما أكثر وضوحًا،[1] لأنني، كما قلت، لا أستطيع أن أفهم إبراهيم ـ أستطيع أن أبجلّه فقط. لقد أُشير أيضًا إلى أن أيّ واحد من المراحل الموصوفة لم تتضمن نظيرا لإبراهيم؛ لقد تم التوسع فيها كذلك فقط، كأنما لتوضح من وجهة نظر مجالها الخاص، حدود المنطقة المجهولة بواسطة نقاط الاختلاف. إذا كان هناك أي سؤال عن نظيرٍ، فينبغي أن تكون مفارقة الخطيئة، لكن هذا ثانية يقع في مجال آخر، ولا يمكن تفسير إبراهيم وتكون هي نفسها أكثر سهولة للتوضيح من إبراهيم.

ولذلك لم يتكلم إبراهيم، لم يتحدث إلى سارة، ولا إلى اليعازر، أو مع إسحاق، لقد تجاوز هذه السلطات الأخلاقية الثلاث؛ طالما الأخلاقي لم يكن بالنسبة لإبراهيم يملك تعبيرًا أعلى من الحياة العائلية.

علم الجمال يسمح، وفي الواقع يتطلب، صمت الفرد، إذا هو عرف أنه من خلال بقائه صامتًا يستطيع أن ينقذ آخرًا. هذا يبين مسبقا بصورة كافية، أن إبراهيم لا يقع ضمن مجال علم الجمال. لم يكن صمته على الإطلاق من أجل أن ينقذ إسحاق؛ التي هي في الواقع كل مهمته، أن يضحي بإسحاق في سبيل اللّه ومن أجله، فعلم الجمال هو العثرة، لأنه قادر على أن يفهم أنني أضحي بنفسي لكنني لا أضحي بأحدٍ آخر في سبيلي. البطل الجمالي كان صامتًا. بينما أدانته الأخلاق لأنه كان صامتًا بحكم خصوصيته الطارئة. كانت بصيرته الإنسانية هي التي أجبرته أن يبقى صامتا. الأخلاق لا تسامح هذا. كل معرفة إنسانية لذلك هي مجرد وهم، الأخلاق تتطلب حركة لانهائية، تتطلب كشفا. البطل الجمالي يمكن، إذن، أن يتكلم لكنه لا يريد.

---

(1) في الأصل desultorisk

البطل التراجيدي الحقيقي يضحي بنفسه وكل شيء يملكه من أجل العام؛ عمله، وكل حركة فيه تعود إلى العام، أنه ظاهر، وهو في هذا الظهور فهو ابن الأخلاق المحبوب. هذا لا ينطبق على إبراهيم؛ هو لم يفعل أي شيء للعام ومختفٍ.

والآن نقف وجها لوجه مع المفارقة. إما أن يتمكن الفرد كفرد أن يقف في علاقة مطلقة مع المطلق، ومن ثم لا يكون الأخلاقي هو الأعلى، أو أن إبراهيم قد خسر؛ إنه ليس بطلا تراجيديا ولا بطلًا جماليًا.

هنا ثانية قد يبدو أنّ المفارقة هي الأسهل والأكثر ملائمة من كل شيء. مع ذلك، علي أن أُكرر، أن أي شخص يبقى مقتنعًا بهذا لا يكون فارس الإيمان، لأن الشدّة والفزع هما التبرير الوحيد الممكن، حتى وإن لا يمكن تبريرهما على العموم؛ وألا تبطل المفارقة.

التزم إبراهيم الصمت ـ لكنه بما أنه لا يستطيع أن يتكلم. وهنا يكمن الأسى والفزع. حتى ولو انني أواصل الكلام ليل نهار من دون توقف، إذا لم أستطع أن أجعل نفسي مفهومًا عندما أتكلم، ومن ثم فأنا لا أتكلم. هذه هي الحال مع إبراهيم. يمكنه أن يقول ما يريد، لكن هناك شيء واحد لا يمكنه أن يقوله، وإذا هو لا يستطيع أن يقول ذلك ـ أيّ، أن يقوله بطريقة بحيث إن شخصًا آخرًا يفهمه ـ ومن ثم فهو لا يتكلم. الراحة التي يقدمها الكلام أنه يترجمني إلى العام. الآن بوسع إبراهيم أن يصف حبه لإسحاق بأغلب الكلمات الجميلة، التي يمكن أن توجد في أية لغة. لكن هذا ليس هو الأمر، الذي يشغل باله، أنه أمر أعمق، أنه ماضٍ للتضحية به، لأن هذا امتحان. لا أحد يمكن أن يفهم هذا الأمر الأخير، وعلى هذا النحو يمكن لأي إنسان أن يسيء فهم السابق فقط. لا يعرف البطل هذه المحنة. لديه

في الدرجة الأولى العزاء، أن كل حجة مضادة لها استحقاقها، بحيث إنه منح كل شخص فرصة ليعارضه: كليمنسترا، إفيجينتا، اخيل، الجوقة، كل مخلوق حيّ، كل صوت من قلب الإنسانية، كل ذكي، كل فكرة مفزعة، داهية، رثائية، اتهامية. ويمكن أن يكون متأكدًا من أن كل شيء مسموح بقوله ضده، قد قيل بقسوة ومن دون رحمة ـ وأن يتشاجر مع كل العالم هو سلوان، لكن أن يتشاجر مع نفسه شيء مرعب. عليه أن لا يخاف من أن يكون قد أغفل أي شيء، بحيث إن عليه، ربما لاحقا، أن يصرخ، مثل الملك ادوارد الرابع عند سماع خبر موت كليرنس:

Wer bat für ihn? Wer kniet' in meinem grimm

Zu Füssen mir und bat mich überlegen?

Wer sprach von bruderpflicht?

Wer spach von Liebe. (2.Akt 1.scene).[1]

مَن اشتكاني له؟ مَن سجد لي، في غضبي،

ورجاني أن أفكر جيدًا؟

مَن الذي تحدّث عن الأخوة؟

مَن عن الحب؟

لا يعرف البطل التراجيدي مسؤولية العزلة المرعبة. إضافة إلى ذلك، لديه السلوان، بحيث يمكنه أن ينحب ويشتكي مع كليتمنيسترا وإفيجينا ـ تمنح الدموع والنشيج الراحة، بينما الأنين المكتومة فهي عذاب. يستطيع

(1) القصيدة في الأصل بالألمانية.

آغاممنون أن يركز كل وجوده بسرعة في اليقين على أنه قادم على عمل، ومن ثم ما يزال لديه الوقت ليواسي ويشجع. ليس بوسع إبراهيم عمل هذا. عندما يتأثر قلبه، عندما تقدم كلماته مواساة مباركة لكل العالم، لا يجرؤ على تقديم السلوى، ألم تقل سارة، اليعازر، إسحاق له: «لماذا تريد أن تفعل هذا، إذن؟ يمكنك في كل الأحوال أن تمتنع؟» واذا هو أراد في محنته أن يخفف العبء عن نفسه وضم إلى نفسه كل ذلك الذي كان محبوبا إليه قبل أن يتقدم نحو النهاية، فربما تكون النتيجة المرعبة أن تكون أن سارة، اليعاز أو إسحاق سيستاؤون منه ويعتقدون أنه مرائيًا. إنه لا يستطيع الكلام؛ إنه لا يتحدث أيّة لغة بشرية. على الرغم من أنه فهم كل لغات العالم. وحتى لو أنه فهم كل لغات العالم، وحتى لو أن أولئك الذين أحبهم فهموها أيضًا، فأنه مع ذلك لم يتمكن من الكلام ـ إنه «يتكلم بلغة ربانية»[1]، إنه يتكلم بألسنةٍ.[2]

يمكنني أن أفهم هذه المحنة. يمكنني أن أعظّم إبراهيم. لستُ أخشى أن يقرأ إنسانًا هذه القصة فتغريه فيريد بطيش أن يكون فردًا. لكنني أعترف أيضًا، إنني لا أمتلك الشجاعة لذلك، وإنني سأتخلى بفرح عن كل احتمال للمضي أبعد، حتى لو كان الأمر ممكنًا، وليكن متأخر جدًا، أن أصل إلى ذلك المدى البعيد. يستطيع إبراهيم أن يتوقف في أية لحظة، يستطيع أن يتوب عن كل الأمر باعتباره شكًا، عندها يكون قادرًا على الكلام، ومن ثم سيفهمه الجميع ـ لكنه حينئذ لم يعد إبراهيم.

لا يستطيع إبراهيم الكلام. لأنه لا يستطيع قول ذلك الذي سيوضح

---

(1) انظر الإنجيل الجديد، الرسالة الأولى للقديس بولس اله أهل قورنتس، 14:23 .
(2) أيّ يتكلم بلغات عديدة

كل شيء (وبذا يكون مفهوما): أنه اختبار مثل ذلك، لاحظ أرجوك، على نحو حيث يكون الأخلاقي الغواية ـ هذا الذي وضع على هذا النحو، هو مهاجر من الحيز العام. لكن يمكن أن يقول عن الشيء القادم حتى أقل. يقوم إبراهيم بالضبط، كما تم تطويره بصورة كافية سابقًا، بحركتين. إنه يقوم بحركة إذعان لانهائية، ويتخلى عن إسحاق، وهذا أمر لا يفهمه أحد، لأنه مشروع خاص. لكن بعد ذلك يقوم في كل لحظة بحركة الإيمان. هذا هو عزاؤه. لأنه بالذات يقول: «لكن هذا لن يحدث، أو إذا حدث، فإن الرب سيعطيني إسحاقَ جديدًا بحكم اللامعقول. يصل البطل التراجيدي، على أي حال، إلى نهاية القصة. تخضع إفجينيا إلى قرار أبيها، هي ذاتها تقوم بحركة إذعان لانهائية، وهما الآن يفهمان بعضهما الآخر. إنها قادرة على فهم آغاممنون لأن الخطوة التي اتخذها تعبر عن العام. لكن لو أراد آغاممنون من الجانب الآخر أن يقول لها: «حتى وإن يطلبك الإله كضحية، فما يزال ممكنا، إنه لا يطلبه بحكم اللامعقول بالذات» ـ عندئذ سيكون باللحظة نفسها، غير مفهوم إلى إفجينيا. لو استطاع أن يقول هذا بحكم حسابات بشرية، ستفهمه إفجينيا بالتأكيد. لكن كنتيجة لم يقم آغاممنون بحركة الإذعان اللانهائية، وبذلك فهو ليس بطلًا، ومن ثم يكون قول العرّاف مجرد كلام رحالة وكل الحدث ملهاة.

لذلك لم يتحدث إبراهيم. كلمة واحدة فقط منه حُفِظت، إجابته الوحيدة إلى إسحاق، التي يمكن أن تكون أيضًا برهان كافٍ أنه لم يتكلم سابقًا. يسأل إسحاق إبراهيم أين يكون الحمل للمحرقة. وقال إبراهيم: اللّه يرى لنفسه الحَمَلَ للمحرقة، يا بُنيَّ![1]

(1) انظر الإنجيل القديم، سفر التكوين، 22:8

أريد أن أتأمل هنا تلك الكلمات الأخيرة لإبراهيم عن كثب. من دون تلك الكلمات، سينقص كلّ الحدث عندئذ شيء ما. لو كانت الكلمات مختلفة، لربما ينحل كل شيء في فوضى.

لقد كان هدف تأملي في أغلب الأوقات ما إذا ينبغي أن يحصل البطل التراجيدي، بالغًا الذروة أمّا في المعاناة أو العمل، على الكلمات الأخيرة. هذا يعتمد، حسب ما أرى، على مجال الحياة الذي ينتمي إليه، سواء تملك حياته معنى فكريًا، أو ما إذا معاناته أو عمله يكونان في علاقة مع الروح.

لا مشاحة أن البطل التراجيدي في لحظة بلوغه الذروة، مثلما أي إنسان آخر لا يكون محرومًا من الكلام، بوسعه أن يقول بعض الكلمات، ربما بعض الكلمات الملائمة، لكن السؤال هو كم يكون مناسبًا له كي يقولها. لو أن مغزى حياته هو عمل خارجي، ليس لديه ما يقوله، إذن، ومن ثم فكل شيء يقوله هو، في الجوهر، ثرثرة عقيمة، يضعف من خلالها تأثيره، بينما الأعراف التراجيدية تلزمه أن ينجز واجبه صامتًا، سواء يتكون من عمل أو معاناة. ولكي لا نذهب بعيدًا، سأتناول أقرب مثال وثيق الصلة بالموضوع. لو أن آغاممنون نفسه، وليس الكلخاس[1] كانوا قد سحبوا السكين ضد إفجينيا، فسيكون قد أذل نفسه فقط، لو أنه قد قال في اللحظة الأخيرة بعض الكلمات، لأن معنى صنيعه كان واضحًا، رغم كل ذلك، للجميع، وكانت عملية التقوى، الشفقة، الإحساس، والدموع، كملت، حياته أيضًا، عندئذ، ليس لديها علاقة ـ أي، أنه لم يكن معلمًا أو شاهد الروح. مع ذلك، لو أن أهمية حياة البطل موّجهة إلى الروح، وقتذاك سيضعف نقص القول تأثيره.

(1) Klachas في الأصل ويعني في الميثولوجيا اليونانية الرجل البرونزي. وهو بمثابة عرّاف، وهو الذي أشرف على التضحية بافجينيا

هذا، الذي عليه قوله، ليس بعض الكلمات المناسبة، ليس شذرة بلاغة. مغزى كلامه، بدلًا عن ذلك، هو إنّه أتمّ نفسه في اللحظة الحاسمة. ينبغي أن يكون لدى بطل مثقف من هذا النوع، وأن يتمسك بالكلمة الأخيرة. مطلوب منه أن يملك نفس الموقف المتبدل المناسب لكلّ بطل تراجيدي، لكن كلمة واحدة مازالت مطلوبة. لو أن بطلًا تراجيديًا كهذا يبلغ الذروة في معاناته (في الموت)، يصبح عندئذ بتلك الكلمة الأخيرة خالدًا قبل أن يموت، بينما لا يصبح البطل التراجيدي العادي خالدًا إلا بعد موته.

يمكن أن استخدم سقراط كمثال. كان بطلًا تراجيديًا مثقفًا. لقد أخبروه بحكم الموت عليه. في تلك اللحظة يموت، لأن هذا الذي لا يفهم أن هذا يستدعي كل عزيمة الروح كي يموت، وأن البطل يموت دائمًا وقبل أن يموت لن يتقدم إلى حد بعيد في وجهة نظره عن الحياة. مطلوب من سقراط كبطل الآن، أن يكون هادئًا ورصينًا، لكن كبطل تراجيدي مثقف فيطلب منه، أن تكون لديه، في تلك اللحظة الأخيرة، العزيمة الروحية الكافية ليكمل نفسه. لهذا لا يستطيع، مثلما فعل البطل التراجيدي العادي، أن يركز على ضبط النفس في حضور الموت، لكن عليه القيام بهذه الحركة بسرعة ممكنة، بحيث يكون في اللحظة نفسها، وبوعي فوق هذا الصراع. ويؤكد نفسه. لو كان سقراط صامتًا على هذا النحو في أزمة الموت، لكان قد أضعف تأثير حياته، وأيقظ ريبة عن أن مرونة التهكم فيه لم تكن قوة عالمية، بل مجرد لعبة كان عليه أن يستثمر مرونتها في اللحظة الحاسمة: طبقا لمعيار معاكس، لكي يعين[1] نفسه بشكل مثير للشفقة.

(1) يمكن أن تكون هناك آراء مختلفة، مثلاً، أي من أقوال سقراط قد تكون حاسمة، حيث يمكن أن تختلف الآراء حولها، طالما أن افلاطون قد حوّل سقراط، وبطرق

ما لمحتُ إليه باختصار هنا، لا ينطبق في الحقيقة على إبراهيم، إلى الحد الذي يفترض المرء أن أحداً ربما يعثر بواسطة التشابه على كلمة مناسبة لإبراهيم، لكنها تطبق الى الحد بحيث يرى المرء ضرورة تحقيق إبراهيم نفسه في اللحظة الأخيرة، لا بسحب السكين بصمت، بل بامتلاك كلمة كي يقولها، ويرى أنه كأب للإيمان يملك معنى مطلقًا من ناحية الروح. ما سيقوله حول ذلك لا أستطيع أن أكوّن أيّ فكرة مسبقًا؛ فبعد أن قالها، أستطيع بلا شك فهمها، ربما بمعنى محدد أفهم إبراهيم في ما قيل، من دون أن أكون بذاك قد دنوت منه أكثر مما دنوت إليه العرض الآنف. لو لم يوجد هناك أي قول ختامي من سقراط، لكنت قد تصورت نفسي في مكانه وصغتُ واحدا، وإذا لم اكن قادرا بنفسي على ذلك، فسيتدبره شاعر. لكن لا شاعر بوسعه ان يبلغ إبراهيم.

قبل أن أستمر في تأمل كلمات إبراهيم الختامية عن كثب، عليّ أولًا أن أجلب الانتباه إلى صعوبة أن يصل إبراهيم لقول أي شيء على الإطلاق. الشقاء والفزع في المفارقة كانت تكمن بخاصة، كما وضِحَ أعلاه، في الصمت: إبراهيم لا يستطيع الكلام.[1] وهكذا، يكون تناقضا ذاتيا أن تطلب

مختلفة، شعريًا. اقترح ما يلي: أُعلِن حكم الموت عليه في تلك اللحظة نفسها التي يموت فيها، في اللحظة نفسها ينتصر على الموت ويكمل نفسه في الرد المشهور، إنه تعجب لكونه قد أُدين وحكم عليه بأغلبية ثلاثة أصوات. لم يستطع أن يمزح بسخرية أكبر مع كلام فارغ في الساحة، أو مع ملاحظة حمقاء من غبي مما مع حكم الإعدام الذي حكم عليه بالموت.

(1) إذا كان هناك أي تشابه على الإطلاق، فهو التشابه الذي قدمه مشهد موت فيثاغورس، فقد كان عليه أن يكمل في لحظاته الأخيرة، الصمت، الذي تمسك به دائمًا، ولهذا قال: من الأفضل أن تقتل على أن تتكلم»

انظر: ديوجانس اللايرتي الذي عاش على الأرجح في النصف الأول من القرن الثالث ب.م.، وهو مؤلف كتاب حياة الفلاسفة Diogens, 8th para, §39.

منه أن يتكلم، ما لم يريده أحد الخروج من المفارقة ثانية، على نحوٍ، بحيث إنه يلغيها في اللحظة الحاسمة، وبذلك يكف أن يكون إبراهيم ويلغي كلّ السابق. وعلى هذا النحو، لو كان على إبراهيم أن يقول إلى إسحاق في اللحظة الحاسمة: «إنك أنت المقصود»، فهذا سيكون ببساطة ضعف. فلو أنه يتمكن البتة الكلام، لتوجب عليه التكلم منذ وقت طويل قبل هذا، وسيكمن الضعف، عندئذ، في عدم امتلاكه نضوج الروح والتركيز ليفكر خلال كل العذاب بصورة مسبقة، بل لكان قد درأ شيئا منه، بطريقة، بحيث كان العذاب الفعلي أكثر من المتخيل. بالإضافة إلى ذلك، عبر التكلم بهذه الطريقة، فإنه سيعرض عن المفارقة، ولو أنه حقًا أراد أن يتكلم مع إسحاق، فقد كان عليه أن يغير وضعه إلى شك. وإلا فإنه لم يستطع أن يقول اي شيء، ولو فعل ذلك، فلن يكون حتى بطلًا تراجيديا.

بيد أن كلمة إبراهيم الختامية قد حُفِظت، وطالما بوسعي أن أفهم المفارقة، فإنني أستطيع أيضًا أن أفهم وجود إبراهيم الكامل في تلك الكلمة. أولًا وقبل كل شيء، إنه لم يقل أيّ شيء، وفي ذلك الشكل يقول ما توجب عليه قوله. ارتدى جوابه لإسحاق شكل التهكم، لأن التهكم دائما، عندما أقول شيئا، ومع ذلك لا أقول أي شيء. يسأل إسحاق إبراهيم لاعتقاده أن إبراهيم يعرف. لو أجاب إبراهيم حينها: «لا أعرف شيئًا»، لقال اللاحقيقة. إنه لا يستطيع أن يقول أي شيء، لأن ما يعرفه، لا يستطيع قوله. ولهذا يرد،» يا ولدي، اللّه بنفسه سيقدم الحَملَ إلى المحرقة ». من هنا نرى الحركة المضاعفة، كما وصفت سابقًا، في روح إبراهيم. لو أن إبراهيم تخلى عن إسحاق في إذعان فحسب ولم يفعل شيئًا إضافيا، فإنه قد قال اللاحقيقة؛ لأنه يعرف في الحقيقة، أن اللّه يطلب إسحاق كضحية،

وهو يعرف أنه نفسه في هذه اللحظة بالذات راغب للتضحية به. ولهذا فأن إبراهيم، وبعد أن قام بهذه الحركة، قد قام عند كل لحظةٍ بحركة لاحقة، قد قام بحركة الإيمان بحكم اللامعقول. وهكذا فإنه لم يقل اللاحقيقة؛ لأن من الممكن، مع ذلك، وبحكم اللامعقول، إن اللّه ربما يفعل شيئا مختلفًا تمامًا. ولهذا فإنه لم يقل اللاحقيقة، ولا هو قال أيّ شيء، لأنه يتكلم بلسان أجنبي. هذا يصبح حتى أكثر وضوحا عندما نفكر، أنه كان إبراهيم ذاته، الذي كان عليه أن يضحي بإسحاق. لو كانت المهمة مختلفة، لو كان الرب قد أمر إبراهيم أن يجلب إسحاق إلى جبل موريّا، من ثم يدع صاعقته تضرب إسحاق وتأخذه كضحية بتلك الطريقة، سيكون إبراهيم على حق أن يتكلم بمعنى مباشر *بالألغاز*[1] كما فعل، لأنه عند ذاك لم يستطع بنفسه أن يعرف ماذا كان يحدث. لكن كما طرحت المهمة على إبراهيم، فعليه نفسه أن يعمل، ومن ثم، عليه أن يعرف في اللحظة الحرجة ما يتوجب عليه ذاته أن يعمل، ونتيجة لذلك، عليه أن يعرف، أنه ينبغي التضحية بإسحاق. وإذا هو لم يعرف ذلك بصورة مؤكدة، فلم يقم بحركة الإذعان اللانهائية، وبذلك لا تكون كلماته بالتأكيد كاذبة، لكنه يكون أيضًا بعيدًا جدًا عن أن يكون إبراهيم، ويملك أهمية أقل من بطل تراجيدي - إنه في الواقع رجل *حائر*[2] الذي لا يقدر على أن يحسم أره بطريقة أو بأخرى، ولذلك السبب يتكلم دائما بالغازٍ. لكن متردد[3] *مثل ذلك، هو، مع ذلك، مجرد محاكاة* ساخرة للبطل التراجيدي.

---

(1) في الأصل Ænigmatisk

(2) في الأصل *uresolveret* وتأتي أيضًا بمعنى حائر، غير حازم، متردد، في حيرة إلخ.

(3) في الأصل *hæsitator*

هنا يكون من الواضح أيضًا، أنه لا يمكن للمرء ربما أن يفهم إبراهيم، لكن فقط بالطريقة التي يفهم بها المفارقة. ربما أستطيع من جهتي أن أفهم إبراهيم، لكنني أدرك جيدًا أنني لا أملك الشجاعة للتحدث على هذا النحو، ليس أكثر مما أمتلك من الشجاعة لأعمل كما فعل إبراهيم؛ لكنني لا أقول إطلاقا لذلك، إن العمل ذو أهمية تافهة، طالما أنه، على العكس، العمل الوحيد المدهش.

ماذا حكم عصرنا الآن على هذا البطل التراجيدي؟ إنه كان عظيمًا، وإنه يبجّله. وإن هذا التجمع المحترم من النبلاء، القضاة، الذين يعينهم كل جيل ليصدر حكمًا على سابقيه، توصلوا إلى الحكم نفسه. لكن مع ذلك، لم يكن هناك أحد استطاع أن يفهم إبراهيم. مع ذلك، فما الذي أنجزه؟ لقد بقي وفيا لحبه. لكن أي إنسان يحب اللّه لا حاجة به إلى الدموع، ولا التبجيل؛ وينسى المعاناة في الحب، بل ينسياها حقا بصورة كاملة، بحيث لا يبقى بعد ذلك حتى أقل أثر من معاناته، إذا لم يذكرها اللّه ذاته، لأن اللّه يرى في السر ويعرف المحنة ويعدّ الدموع ولا ينسى أيّ شيء.

فإما أن تكون هناك مفارقة، بحيث أن الفرد باعتباره فردا يكون في علاقة مطلقة مع المطلق، أو يكون إبراهيم خسرانا.

خاتمة

عندما هبطت اسعار البهارات ذات مرة في هولندا، قام التجار بإلقاء بعض الحمولات في البحر لرفع الأسعار. كان ذلك مبررًا، ربما حتى ضروريًا. هل نحتاج إلى شيء مشابه في عالم الروح؟ هل نحن متأكدون بأننا حققنا الأعلى، بحيث لم يتبق هناك شيء لنا سوى لنوهم تنفسنا في التفكير إننا لم نصل بعد إلى ذاك المدى، نحصل ببساطة على شيء نملأ الوقت به؟ هل يحتاج الجيل المعاصر من مثل هذا الضرب من خديعة الذات؟ هل ينبغي تربيته في الفضيلة على طول ذلك الخط، أم أنه غير كامل بصورة مناسبة في فن خديعة الذات؟ أو ألا يحتاج، بالأحرى، جديّة صادقة التي تشير بعفة ولا خوف إلى المهمات، جديّة صادقة، التي تحافظ على المهمات بحب، التي لا تربك البشرَ في أن يريدوا بلوغ الأعلى بسرعة جدًا، بل تحافظ على المهمات شابة وجميلة وفاتنة للنظر إليها، وتدعو الجميع مع أنه صعب أيضًا ومبهر للنبلاء (لأن الطبيعة النبيلة تبهرها الصعوبة فقط)؟ مهما يتعلم جيل من جيل آخر، فإنه لن يستطيع أبدًا، أن يتعلم من الجيل السابق الإنسانية بصورة جوهرية. كل جيل يبدأ في هذا الشأن بشكل بدائي، ولا يملك مهمة أخرى غير تلك التي تعود إلى أي جيل سابق، ولن يتقدم أبعد، طالما أن الأجيال السابقة لا تخون المهمة وتخدع نفسها. هذه الحقيقة الإنسانية هي العاطفة، التي يفهم فيها أحد

الأجيال الجيل الآخر بصورة كاملة أيضًا ويفهم نفسه. على سبيل المثال، لم يتعلم ايّ جيل من جيل آخر كيف تحب، لا يكون اي جيل قادرًا على أن يبدأ من أية نقطة أُخرى سوى من البداية، وليس لدى أيّ جيل لاحق مهمة أقصر من الجيل السابق، وإذا رغب أحد ما أن يذهب أبعد، ولا يتوقف، مثلما فعل الجيل السابق، عن الحب، فهذه حماقة وكلام عقيم.

لكن أسمى عاطفة في الإنسان هي الإيمان، وهنا لا يبدأ أي جيل من أية نقطة إلا من حيث بدأ سابقيه، كلّ جيل يبدأ من البداية، ولا يمضي الجيل اللاحق أبعد من السابق، طالما بقي الجيل اللاحق وفيا لمهمته ولم يتخل عنها. أن يكون هذا متعبًا فهو بالتأكيد أمر لا يستطيع جيل واحد أن يقوله، لأن الجيل يملك في الحقيقة المهمة ولا ناقة له في الأمر ولا جمل، في واقع أن لدى الجيل السابق المهمة نفسها، إلا إذا افترض الجيل الخاص، أو الأفراد فيه بصلافة المكان، الذي يعود إلى الروح التي تحكم العالم والتي تملك الصبر أن لا يصبحوا تعبين. لو بدأ الجيل بفعل ذلك، فهذا خطأ، وليس من المدهش من ثم، لو أن كل الوجود يبدو أنه خاطئ تجاهه؟ لأنه لا يوجد أحد بالتأكيد، الذي وجد الحياة أكبر ضلالًا من الخياط الذي صعد، حسب الحكاية الخرافية، حيًا إلى السماء ومن هناك نظر إلى العالم. حالما يقلق الجيل نفسه حول مهمته فقط، وهي أعلى مرحلة يبلغها، عندئذ لن يغدو متعبًا؛ لأن المهمة كافية دائمًا لكل الحياة الإنسانية. عندما يكون الأطفال في يوم عطلة قبل الساعة 12 قد لعبوا كل الألعاب، ويقولون الآن بلا صبر: إلا يوجد هناك من يفكر بلعبة جديدة؟ هل يبرهن هذا من ثم، أن هؤلاء الأطفال أكثر تطورًا وتقدما من الأطفال من الجيل نفسه أو الجيل الأسبق الذين يجعلون اللعبة المعروفة تدوم كل اليوم؟ أم أنها تظهر على

خلاف ذلك، أن أولئك الأطفال ينقصهم ما أود أن أطلق عليه الجديّة المحبوبة التي تعود إلى اللعب؟

الإيمان هو أسمى عاطفة في الإنسان. وربما يوجد هناك العديد في كل جيل، الذين لم يصلوا إلى الايمان مرة، لكن لا أحد يمضي أبعد. فيما يوجد هناك أيضًا العديد في عصرنا، الذين لم يكتشفوه، لا أقرره أنا. أجرؤ على أن أشير إلى نفسي فقط، من دون أن أخفي أن أمامه طريقًا طويلة عليه أن يقطعها، دون أن يتمنى لذلك أن يخدع نفسه أو ما هو عظيم بجعله تافهًا، مرضَ أطفالٍ، الذي يأمل الإنسان أن يتجاوزه بأسرع ما يمكن. لكن لدى الحياة مهمات كافية، حتى للشخص الذي لم يصل الإيمان أيضًا، وعندما يحب تلك المهمات بصدق، فلن تكون حياته عندئذ خاسرة، حتى وإن لا يمكن مقارنتها أبدًا مع حياة أولئك الذين أدركوا وفهموا الأعلى. لكن هذا الذي يصل الإيمان (ما إذا يكون موهوبًا بصورة كبيرة أو محدود الأفق، لا فرق) لن يصل إلى ثبات في الإيمان، بل أنه سيُصدم، لو أن أحدا قال له هذا، مثلما سيسخط الحبيب لو قال أحد، إنه وصل إلى سكون في حبه، لأنه سيرد،» أنا لست ساكنًا إطلاقا في حبي، لأنني أملك حياتي فيه». وعلى الرغم من ذلك فإنه لن يمضي أبعد، ولا يواصل إلى شيء آخر، لأنه عندما يكتشف هذا، عندئذ يكون لديه توضيح آخر.

«على الإنسان أن يستمر، على الإنسان أن يستمر ». هذه الحاجة إلى المواصلة قديمة جدًا في العالم. هيرقليطس[1] الغامض، الذي خزّن أفكاره

---

(1) يسمى أيضًا هيرقليطوس الباكي(540 ـ 480 قبل الميلاد).هو فيلسوف يوناني عاش قبل سقراط. لم تواجه نظريته حول حركة الأشياء بقبول أو فهم.وكان يكتب بصورة غامضة. تركت فلسفته تأثيرها فيما بعد على سقراط وافلاطون وارسطو.

في كتاباته وكتاباته في معبد ديانا (لأن أفكاره كانت درعه في الحياة، ولهذا علقها في معبد الإلهة). قال هيرقليطس الغامض،» لا يستطيع المرء أن ينزل في النهر نفسه مرتين».[1]كان لدى هيرقليطس الغامض مُريدًا، لم يبق واقفًا عند ذاك، بل واصل، وأضاف: لا يمكن للإنسان أن يفعله حتى مرة واحدة.[2] مسكين هيرقليطس أن يكون له مثل هذا المريد! صُححت هذه المقولة الهيرقليطسية، من خلال هذا التطوير إلى مقولة إيلاتية، التي ترفض الحركة، ومع ذلك فقد تمنى ذلك المُريد أن يكون تابعًا فقط إلى هيراقليطس، الذي مضى أبعد، وليس العودة إلى ما تخلى عنه هيراقليطس.

الدنمارك 2018. ديسمبر
ترجمة قحطان جاسم

---

(1) في الأصل«*Chai potamou roi apeikadzon ta onta legei hos dis es ton auton potamon ouk embaiis*.»انظر Platon's Cratyllus § 402a. وبهذا يشبه الحياة مع التيار في النهر، حيث يقول إن الإنسان لا يستطيع أن يسبح في الماء نفسه مرتين

(2) انظر Tennemann Geschichte der Philosophie bind 1, side 220

قحطان جاسم

- باحث في علم الاجتماع السياسي، شاعر ومترجم.
- صدرت له العديد من الدواوين الشعرية والدراسات النقدية والكتب المترجمة.

هذا الكتاب

صدر كتاب سورن كيركَورد «الخوف والرعشة» عام 1843 في اليوم نفسه الذي صدر كتابه «التكرار». وهو واحد من الكتب التي صدرت بأسماء مستعارة. والاسم المستعار لهذا الكتاب هو «يوهانس دي سلينتيو»، أو يوحنا الصامت. وعنوان الكتاب هو إشارة إلى رسالة القديس بولس إلى أهل فيليبي.

يعود كيركَورد في هذا الكتاب، مرة أخرى، إلى قضية تحتل مكانًا جوهريًا في فكره، العلاقة بين الإيمان والعقل، بين الضرورة والحرية، بين القدر والإرادة.

القصة تدور في الأساس حول إبراهيم واستعداده للتضحية بابنه إسحاق بأمر من اللّه. وكان ذلك بمثابة امتحان لا لقوة إيمان إبراهيم فحسب، بل وأيضًا لإرادته كإنسان.

ويعدّ كيركَورد هذا الامتحان اللحظة الفاصلة لبلوغ ما يسميه بالمرحلة الدينية. إن الإيمان بالنسبة لكيركَورد ليس عقيدة أو طقوسًا تقام بصورة جماعية أو مشاهد احتفالية، بل معاناة فردية يعيشها الفرد وحده تمامًا، وخلال هذه المعاناة والآلام التي يمر بها المؤمن يمكنه أن يبلغ درجة المؤمن الحقيقي. إضافة إلى ذلك، أنّ على المؤمن أن يتخلى عن كلّ شيء دنيوي.

ورغم أن الكتاب يتخذ من قصة إبراهيم ذات المغزى الديني منطلقا لها، لكن كيركَورد يعالج العديد من القضايا الفلسفية والنفسية التي تواجه الإنسان في وقتنا الحاضر أيضًا، بل التي تواجهه في كلّ الأوقات، كما أنه يستخدم تجاربه الذاتية ومعاناته الخاصة في سياق الأحداث.

عادة ما يؤول محتوى الكتاب بأنه يضع الديني أعلى من الأخلاقي، مادام إبراهيم قد اختار إطاعة اللّه بشكل مطلق والتضحية بابنه إسحاق بدلًا من أن يستمع إلى موقفه الأخلاقي إزاء ذلك الفعل، مع ذلك، يمكن رؤية اختيار إبراهيم بطريقة أخرى؛ كنتيجة لتحولٍ يجعله في حالة إيمان متناقض ينتظر المستحيل: أن يحافظ على إسحاق، أو يسترجعه ثانية. وهكذا تتبدل تأويل الفكرة من الخضوع الأصولي الصارم إلى اللّه إلى توقع ممكن لحب اللّه.

صدر كتاب سورن كيركگورد "الخوف والرعشة" عام ١٨٤٣ في نفس اليوم الذي صدر فيه كتابه "التكرار". وهو واحد من الكتب التي صدرت بأسماء مستعارة. والاسم المستعار لهذا الكتاب هو "يوهانس دي سلينيو"، أو يوحنا الصامت. وعنوان الكتاب هو إشارة إلى رسالة القديس بولس إلى أهل فيليبي.

يعود كيركگورد في هذا الكتاب، مرة أخرى إلى قضية تحتل مكاناً جوهرياً في فكره، العلاقة بين الإيمان والعقل، بين الضرورة والحرية، بين القدر والإرادة. القصة تدور في الأساس حول إبراهيم واستعداده للتضحية بابنه إسحاق بأمر من الله. وكان ذلك بمثابة امتحان لا لقوة إيمان إبراهيم فحسب، بل وأيضاً لإرادته كإنسان.

ويعد كيركگورد هذا الامتحان اللحظة الفاصلة لبلوغ ما يسميه بالمرحلة الدينية. إن الإيمان بالنسبة لكيركگورد ليس عقيدة أو طقوساً تقام بصورة جماعية أو مشاهد احتفالية، بل معاناة فردية يعيشها الفرد وحده تماماً، وخلال هذه المعاناة والآلام التي يمر بها المؤمن يمكنه أن يبلغ درجة المؤمن الحقيقي. إضافة إلى ذلك، على المؤمن أن يتخلى عن كل شيء دنيوي.

ورغم أن الكتاب يتخذ من قصة إبراهيم ذات المغزى الديني منطلقاً لها، لكن كيركگورد يعالج العديد من القضايا الفلسفية والنفسية التي تواجه الإنسان في وقتنا الحاضر أيضاً، بل التي تواجهه في كل الأوقات، كما أنه يستخدم تجاربه الذاتية ومعاناته الخاصة في سياق الأحداث.

لوحة الغلاف: The Sacrifice of Isaac Michelangelo Merisi, detto il Caravaggio(Caravaggio, Milano1571 - Porto Ercole, Grosseto1610)

ISBN 978-9-9226078-2-5
9 789922 607825
www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain
dar.alrafidain
dar alrafidain دار الرافدين